وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

إشكالية توظيف المصطلح النقدي في المقاربة التداولية ـ كتابات طه عبد الرحمن وجميل حمداوي أنموذجا

أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه (ل.م.د)

تخصص: نقد ومناهج

إعداد الطالب:
عبد القادر فرجاني

إشراف:
د/ صادق خشاب

السنة الجامعية : 2019 /2020

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة يحي فارس بالمدية
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة و الأدب العربي

إشكالية توظيف المصطلح النقدي في المقاربة التداولية ـ كتابات طه عبد الرحمن و جميل حمداوي أنموذجا

لجنة المناقشة		
الأستاذ	الجامعة	الصفة
أ.د. محمد زوقاي	جامعة المدية	رئيسا
أ.د. صادق خشاب	جامعة المدية	مشرفا ومقررا
أ.د. علي حميداتو	جامعة البليدة 2	مناقشا
د. محمد مكاكي	جامعة خميس مليانة	مناقشا
د. مولاي متقدم	جامعة المدية	مناقشا
د. فيروز بن رمضان	جامعة المدية	مناقشا

إعداد الطالب :
- عبد القادر فرجاني

إشراف الدكتور :
- صادق خشاب

السنـة الجامعيـة : 2019 / 2020


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و امتنان

أشكر الله عزوجل الذي جعل عملنا خالصا لوجهه إنه ولي التوفيق ، و أتقدم بالشكر الجزيل و العرفان بالجميل إلى أستاذي المشرف : الدكتور صادق خشاب الذي منحني الكثير من وقته بتفضله قراءة هذا العمل ، دون أن ننسى رئيس المشروع الدكتور محمد زوقاي ، و أعرب عن خالص امتناني لأستاذتي الغالية : فطيمة بن ربيعي التي لم تبخل علي بتوجيهاتها القيمة و آرائها السديدة ، و كذلك لأستاذي العلاء بن ساعد الذي أفعمني بالإرادة و لم يبخل علي بشيء .الشكر الجزيل الذي لا يقدر بثمن أسديه لأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الموقرين على تكبدهم عناء قراءة هذا العمل و تصويبه. و بارك الله في كل من أسدى لي نصيحة أو تذكرني بكلمة دعاء في ظهر الغيب.

﴿ ألف شكر لكم جميعا ﴾

الإهداء

إلى أمي الحنون وأبي العزيز أطال الله

عمريهما

إلى ابنة أختي الغالية : نسيبة - قطر الندى

إلى إخوتي و أخواتي

إلى أساتذتي و أصدقائي

إلى الطلبة و القراء

أهدي ثمرة هذا الجهد المتواضع.

مقدمة

تتجسد ضمن المؤلفات العربية على تنوع مجالات دراستها إشكالات تمس هويتها ، كان لها الحضور المكثف والطاغي هي : توظيف المصطلحات النقدية في المقاربة التداولية ، و صعوبة ترجمة المفاهيم الأجنبية إلى الثقافة العربية ، لذا نجد القارئ العربي لم يكتمل أمامه المشهد الخاص بالمقاربات المعاصرة ، هذا التفكير الذي تجسده كتابات المصري عزت جاد محمد الذي يرى أن المصطلح النقدي جعل بعض المفكرين في وضع وسطي لمؤيد ومعارض لكثير من الأفكار و توسعت فجوات الخلاف بينهم ، إلا أن البعض الآخر سعى إلى تحرير المصطلحات و المفاهيم بالشكل الذي يسهم في تقويم التراث وتحقيقه – بصورة تجعله موازيا لتصورات المنجز الغربي ، و لم يكن اختيارنا لهذا الموضوع بدافع التبعية للثقافة الغربية، أو إلى تفضيل جانب على آخر، و إنما كان قائما على قناعتنا بضرورة المساهمة –و لو بالقليل– في إبراز الصعوبات التي تواجه توظيف المصطلح وفق المقاربات النقدية في المؤلفات العربية ، و تجدر الإشارة إلى أن هذا البحث لم يكن بإمكانه أن يدعي الشمولية الكاملة في تناوله لهذا الموضوع سواء من حيث الاتساع أو العمق، فهو لا يطرح كل الصعوبات المتعلقة بمسألة المصطلح النقدي والتراث، و لما رأينا الحاجة إلى وضع قراءات في المصطلح النقدي وتوظيفه ضمن المقاربة التداولية التي تكمن أهميتها في أنها سهلة الأسلوب، واضحة المعنى، تقرب القواعد من إفهام القراء، و تضع العناء عنهم، حاولنا المساهمة – ولو بشيء بسيط – بدراسات وفق آلية نقد – النقد محاولين الإجابة عن الإشكالية الرئيسية المتمثلة كمايلي : ما الاشكالات التي تواجه توظيف المصطلح النقدي وفق المقاربة التداولية من خلال كتابات

الأديب المغربي " طه عبد الرحمن " و وجهات نظر " جميل حمداوي " ؟ و تولدت عن هذه الإشكالية الرئيسة جملة من التساؤلات الفرعية كالآتي: ما القراءات النقدية التي استعملها طه عبد الرحمن في معالجته التأصيلية لمصطلحات المقاربة التداولية ؟ و ما القراءات التي وسم بها التراث وتقويمه ؟ ما هي السمة الرئيسة التي ميزت تصورات جميل حمداوي في معالجته للتداولية ؟ و إلى أي مدى ساهمت قراءات طه عبد الرحمن في التأصيل للمصطلحات التداولية و النموذج التراثي ؟ و إلى أي مدى شكلت وجهات نظر جميل حمداوي فعالية في المقاربة التداولية ؟ و ما البديل الذي يمكن اقتراحه لهذه الاشكالات؟ إن الهدف من وراء دراستنا هو الكشف عن الاشكالات التي تواجه توظيف المصطلح النقدي وفق المقاربة التداولية ، لذلك جاء بحثنا هذا موسوما بـ " توظيف المصطلح النقدي وفق المقاربة التداولية من خلال كتابات الأديب المغربي " طه عبد الرحمن " و وجهات نظر " جميل حمداوي " . و قد حاولنا الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال جملة من الفرضيات الآتية:

– طرح طه عبد الرحمن مجموعة من الإشكالات ذات الصلة بالمصطلحات النقدية التي شغلت الفكر العربي – باعتباره ناقدا و أديبا متخصصا.

- طرح طه عبد الرحمن العلاقة بين الثقافة العربية والثقافة الأجنبية، وهذا ما كان نابعا من معرفته بهما معا.
- طرح طه عبد الرحمن نظرة جديدة مغايرة لتوظيف المصطلحات في إطار المقاربة التداولية عكس ما يصوره كثير من الدارسين.

- أولى طه عبد الرحمن قيمة كبرى للتراث و دعا إلى تقويمه ، و تحرير مصطلحاته ومفاهيمه ، اضافة إلى مناهضة الفكر التجزيئي له.
- ساهمت وجهات نظره الموسوعية جميل حمداوي في إغناء و إثراء كثير من المجالات المختلفة كعلم النفس والأنثروبولوجيا ، النقد و الأدب و غيرها ، أما اعتمادنا كان منصبا على توليفة من المناهج ، فاعتمدنا على منهج الوصف و آلية التحليل ، لمعالجة مختلف الإشكالات و المسائل المنوطة بالمصطلح النقدي في المقاربة التداولية ، و ذلك ضمن المؤلفات الآتية :
- فصل من كتاب التكوثر العقلي أو اللسان والميزان
- كتاب تجديد المنهج في تقويم التراث
- التداوليات و تحليل الخطاب لجميل حمداوي

كما اتبعنا آلية نقد – النقد من خلال المنهجية الآتية :

- تحديد هوية المفهوم الأجنبي و المقابل العربي المقترح له و التعليق عليه و مناقشته ، وذلك بالاستناد إلى معايير و طرائق وضع المصطلح و اختياره ثم تقديم وجهة النظر الخاصة بنا بغية تحقيق النتائج المرجوة من دراستنا ، و ليكون بحثنا غنيا اعتمدنا على مجموعة من المصادر التي أطرت منهجيته نذكر بالدرجة الأولى :
- تجديد المنهج في تقويم التراث و فصل من التكوثر العقلي –اللسان و الميزان لطه عبد الرحمن .

- التداوليات و تحليل الخطاب لجميل حمداوي ، إضافة إلى بعض المراجع و الدراسات السابقة التي كتبت حول هذا الموضوع نذكر منها : – إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ليوسف وغليسي
- نظرية المصطلح النقدي لعزت جاد محمد
- نظرية النص الأدبي لعبد المالك مرتاض ، أما عن الدراسات السابقة نجد :– إشكالية ترجمة المصطلح اللساني و السيميائي من الفرنسية إلى العربية معجم المجيب لأحمد العايد أنموذجا – مشروع تعليمية اللغات و المصطلحاتية – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، إعداد الطالبة : بن مالك أسماء ، إشراف الدكتور : زبير دراقي ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان 2013–2014.
- إشكالية ترجمة المصطلح النقدي في مسرد المصطلحات لكتاب مناهج النقد الأدبي المعاصر للدكتور سمير حجازي – مشروع تعليمية اللغات و المصطلحاتية – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، إعداد الطالبة : حياة سيفي ، إشراف الدكتور : زبير دراقي ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان 2013–2014.

و يشتمل هذا البحث على مقدمة و فصل تمهيدي و ثلاثة فصول و خاتمة .

مقدمة : اشتملت على الجوانب التأسيسية للموضوع و أسباب اختياره و منهجه و المؤلفات التي كتبت حول هذا الموضوع .

فصل تمهيدي: تناولنا فيه واقع الفكر في البلاد العربية من حيث الإشكالات التي تواجه الدارسين في محاولاتهم وصل ما انقطع من التراث بما يحويه من مفاهيم ومصطلحات ، ثم التمهيد للموضوع من خلال التطرق إلى أثر تيارات البنوية في الفكر العربي.

الفصل الأول و بعد امتلاك المادة العلمية نصوص نقدية سواء تتعلق بالمصطلح النقدي و التداولية ، تناولنا فيه مدخلا إلى المصطلح النقدي عبر التعرض لـ :

- مفهومي النقد و المصطلح ثم الجمع بينهما تحت مسمى المصطلح النقدي
- آليات صياغة المصطلح النقدي، و كتكملة لمسار التيار البنيوي آثرنا التعرف على تيارات ما بعد البنوية كمرجعية نقدية ساهمت في نشوء المقاربة التداولية التي تشكل صلب دراستنا من خلال إدراك أسس التحليل التداولي و قضاياه النقدية والفلسفية مع الإشارة إلى المنجزات الفلسفية والفكرية المؤثرة في تكوين الدرس التداولي و إبراز مظاهره من منطق الثقافة الغربية و الدراسات التراثية العربية، أما الفصل الثاني: تمثل في قراءة لكتاب تجديد المنهج في تقويم التراث ، من خلال الوقوف على ما يلي :

- تحديد دلالة مصطلح التداولية عبر الاستناد إلى معايير انتقاء المصطلحات .

- محاولة تأصيل مصطلحات المجال التداولي من خلال القيام بدراسة نقد – نقدية كما أسلفنا الحديث عنها سابقا .

- الفصل الثالث : عالجنا فيه مسألة الترجمة التي أضحت قضية تؤرق الدارسين و المشتغلين بهذا المجال ، و الحديث عن أزمة المصطلح النقدي في الفكر العربي ، ثم

تطرقنا إلى قلق العبارة انتقالا إلى قلق الجملة فغموض الترجمة و أغراضها (تعبيري – دلالي – اصطلاحي – تأويلي و تداولي) من خلال قراءة نقدية لفصل من كتاب التكوثر العقلي – اللسان و الميزان – لطه عبد الرحمن.

- الفصل الرابع : فقد كان بمثابة قراءة في مؤلف التداوليات وتحليل الخطاب لجميل حمداوي عبر معالجة تأصيلية لمصطلح التداولية و باقي المصطلحات المتعلقة بها ، و أخيرا دعوة صريحة إلى الانطلاق في رحلة المفاهيم من أجل تحرير المصلحات و تقويم اعوجاجها .
- خاتمة: تضمنت أهم النتائج التي أفضى إليها بحثنا.
- يشكل التراث محورا مهما في الكتابات المعاصرة، وجب العناية به و التأصيل له بمعطيات تجعله مكافئا للحداثة الغربية دون الذوبان فيها كلية .
- حاول طه عبد الرحمن التأصيل لرحلة المفاهيم كحل للحد من إشكالات المصطلحات التداولية ، فأظهر جملة من الانتقادات في صورة الاعتراض على النماذج المجزئة للتراث ، كما يطرح البديل المتمثل في إعادة وصل ما انقطع منه وتحرير المصطلحات وتقويم اعوجاجها و يبقى مجال هذا البحث مفتوحا لمعالجته من زوايا أخرى، كما لا يخلو البحث من صعوبات، تتقدمها صعوبة التطبيق على المدونات – محل الدراسة – باعتبارها تتضمن إشارات و رموزا يصعب إدراكها في وقت قصير، بالإضافة إلى صعوبة فهم أعمال طه

عبد الرحمن – على وجه الخصوص – لما تحمله من أفكاره الواسعة ، و صعوبة التمكن من آليات الدراسة ، إلا أن هذه الصعوبات لم تقف حاجزا أمام إكمال مسارنا.

و في الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر الله و نحمده على ما من به من فضل علينا لإتمام هذا الجهد ، و الشكر الجزيل موصول إلى أستاذي المشرف الدكتور" صادق خشاب " على ما قدمه لي من توجيهات و نصائح ثمينة و تتبعه لهذا العمل باستمرار ، أرجو من الله أن يبارك له في عمره وعمله وأن ينتفع به ، و إلى الأساتذة أعضاء اللجنة المناقشة على تفضلهم قراءة هذا العمل و قبول مناقشته.

فصل تمهيدي: مهاد التأصيل للفكر العربي

- واقع الفكر في البلاد العربية
- النقد و صوره في المنجز الغربي

1-فصل تمهيدي : مهاد التأصيل للفكر العربي

1-1- واقع الفكر في البلاد العربية

إن المتتبع لواقع الفكر في البلاد العربية دون التقيد بمفرضات استقلالية منهج نقدي عن منهج نقدي آخر، يلحظ أن المتلقي العربي لم يكتمل أمامه المشهد المعاصر الموسوم بالمقاربات النقدية ، فمثلا نجد جل الممارسات النقدية في مؤلفات الكتاب لا تكاد تقف على رأي واحد و كثير من التسارعات في الانتقال من منهج إلى منهج آخر في التعامل مع تلك المقارنات التي تقام بين الاتجاهات النقدية المختلفة ، أو التي تحدث بين اتجاهين يمثلان: فكرا أو موقفا أو رؤية واحدة، هذا الحراك النقدي كان من الصعب تقييده بتصور محدد ، و سبب ذلك راجع لعدة عوامل اعترضت مسار الكتاب منها، تدني قراءاتهم في الوسط النقدي، إذ « تختلف صورة النقد العربي باختلاف الأجيال –و ليس من المرغوب فيه أن تبطل بعض المطالب غيرها في قسوة . مطالب الأجيال مشروعة (...) الواقع أن مبدأ الحوار بيننا و بين النقد العربي لم ينقطع، لكن السمة العامة للحوار اختلفت »[1]، ليكون التفسير مرتبطا بتصور مفاده أن إقامة أي مجال معرفي- و لحظة التعريف به، و الارتقاء به إلى مصاف النظرية – يستلزم تحديد فضاء اختصاصه، إذ أنه كلما تزايدت الملاحظات حول وجود نقلة نقدية ، كلما تزايد إنكارها بصورة روتينية تجعل الإشكالات تنهال دفعة واحدة دون إشعارات معرفية ، ليدرك محمد عابد الجابري في مؤلفه المعنون بالمسألة الثقافية في الوطن العربي ضمن فصله (العقلانية النقدية) بعمق سر ذلك الإحساس بالمرارة التي

1 مصطفى ناصف، النقد العربي – نحو نظرية ثانية، سلسلة ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - عالم المعرفة – الكويت، د.ط، مارس 2000، ص.07.

كان يسخر بها المفكرين من الدعاوى النقدية والأحكام المسبقة التي يتبناها دعاة الانقطاع عن التراث ، و تدعو أيضا إلى اليأس من الواقع الفكري والوقوع تحت وطأة التقليد؛ « تقليد القدماء، تقليد الغرب، إننا مستعدون لتبني أية أفكار تأتينا على هوانا في لحظة من اللحظات ومستعدون لتركها وتبني أخرى تحت هذا الدافع أو ذاك » [1]، تتلخص أزمة الفكر العربي في نقطة هامة مفادها تكوين الإنسان العربي صورة معتمة عن الحياة و المعرفة و الوجود و الذات اللصيقة بالحياة الاجتماعية و الثقافية لتكون رؤية وصل ما انقطع من التراث أي؛ إعادة قراءته بآليات جديدة تكاملية محطات إستشرافية لتقديم نماذج ثقافية عربية بدلا من الاستعارة والاقتباس عن مقاربات فكرية غربية ، أما المفكر السوري مطاع صفدي فيتحدث في مؤلفه نقد العقل الغربي– الحداثة وما بعد الحداثة – عن إشكالات العقل العربي ، فـ « الخطاب الفكري العربي الجاهز حافل بالأجوبة عن كل الأشياء، و ليس فيه سؤال واحد، يتنطع لوضع الحلول قبل طرح المشكليات، يهاجم العالم بكل الوثوقيات التي لديه قبل أن يطرح على ذاته و على العالم من حوله، من يكون هو، و من يكون الآخر الذي عليه أن يستوعبه قبل أن يعرفه، و أن يستولي عليه، و لا يدري أين، و أين موطنه » [2] ، إن السؤال المقلق و المثير للقلق حول علاقة الخطاب الفكري العربي بباقي خطابات العالم: يكمن في عدم امتلاكه لأفضلية نقدية وفكرية داخل وخارج

1 محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.3، بيروت، لبنان، 2006، ص.285.

2 مطاع صفدي، نقد العقل الغربي- الحداثة و مابعد الحداثة- مركز الإنماء القومي، د.ط، رأس بيروت، لبنان، 1990، ص.26.

واقعه التي تجعل المرء متميزا قادرا على الحكم و التقدير الفعلي لقيمة الأشياء بعيدا عن التنطع لوضع و اقتراح الحلول قبل طرح الإشكالات ، ذلك من أجل إدراك دور الخطاب الفكري الغربي في واقعنا ، و كمساهمين في إنتاجها و تأطيرها، لا كمتفرجين خارجيين فقط، وينبغي القول أن المفكر العربي لم يتمكن من الاحتفاظ بهوية فكرية أمام الافتراضات التي تفرزها الفلسفات الغربية، لنراه تائها وسط إنجازاتها، حيث يصف لنا عبد العزيز حمودة وضعه من خلال دراسته الموسومة بـ" المرايا المقعرة– نحو نظرية عربية نقدية " – على لسان شكري عياد ،«... أما في عالمنا العربي، فالقديم مجهول أو شبه مجهول، و الجديد ضعيف مترنح، الأرض عنيدة و السماء شحيحة، الكاتب الصارخ في برية، و القارئ كضال في صحراء، التحديات لا حد لكثرتها و لا لضخامتها» [1]، كذلك يعيد كل من الناقدين التشديد على الحجج والآراء و التطورات الفكرية التي تؤكد بأن المتلقي العربي أصبح يعيش حالة وسطية أو **تيها نقديا** * ، فإذا أتينا إلى رسم ملامح إنسان التيه النقدي، هذا الإنسان الأخير، سنجد أنفسنا أمام معرض صور لا حدود لها في التجارب النقدية للقرن العشرين (**إنسان التيه**) ، إذ حاولت كثير من المؤلفات رسم ملامحه، رغم كونه يكاد يكون إنسان بلا ملامح، يعيش غبنا أحاله في التعامل مع كل ما يأتيه مستوردا غربيا من مقاربات نقدية ، دونما التمكن من آليات ووسائل تعينه على الفهم المشروع لها، و هنا

1 عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة-نحو نظرية نقدية عربية- عالم المعرفة، الكويت، د.ط، أوت 2001، ص.52.

* التيه النقدي : حالة بينية (وسطية) تلازم المثقف في تعامله مع مفرضات واقعه الفكري ، و منجزات الآخر المختلف عنه ، فإن « اختيار بعض المثقفين العرب دخول ذلك التيه بإرادتهم، بل في مكابرة واضحة في أحيان كثيرة، خاصة في مواجهة الأصوات الأخيرة الرافضة لتلك التبعية العمياء»، ينظر: عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه- دراسة في سلطة النص- عالم المعرفة، د.ط، نوفمبر2003، ص.354.

أيضا تبدو درجة القلق التي تنتاب المفكر بصورة تلقائية إلى معنيين متناقضين جوهريا، إنها من وضعية أولى تتذبذب في خلفية مثقلة من منجزات غربية يبحث خلالها المثقفون العرب عن التلقي الإيجابي لها ، و من وضعية ثانية إلى علاجات يائسة أكثر فأكثر في محاولتهم التناسق مع المقولات التي تفرضها المنظومة الغربية، و حين يعترفون أن مسار التلقي سيبوء بالفشل، تراهم دون شعور منهم يقرون أن مشروعهم النقدي وحده قادر على جعل المفكرين الغربيين يأخذوهم على محمل الجد كأصحاب نظريات و مشاريع نقدية، وهذا ما نلمسه بالذات في عدم قدرتهم على مراجعة ومساءلة كياناتهم المنجزة لأن « العقل العربي الذي تحدث عن النهضة لم يمارس ما يكفي من النقد على نفسه، لقد مارس سلاح النقد في ميادين مختلفة، لكنه لم يمارس نقد سلاح الفكر»[1]، لقد كان الحديث مشوقا و ملفتا للنظر في القيام بنهضة للعقل العربي يراجع من خلالها فكره وتصوراته و كل ما أنتجه المتخصصون في البحث الأدبي و الإنفراد بخصوصية النموذج الأمثل الذي يؤهل للخوض في ممارسات نقدية دون التخوف مما سينجر عن ذلك من نتائج ، و كان المشروع التقويمي يهدف إلى الارتكاز على التراث القومي و الرغبة في استقراءه و تحديثه وهذه رغبة مشروعة ، لكن في لحظة من اللحظات بدا التفكير غير منطقي ، فكان المشروع في حد ذاته استشعار الأزمة التي ستصبح جزءا من هوية المفكر العربي ، فأصبحت الأرضية الفكرية تهتز تحت أقدامهم و كأن أحدا يحركها من الداخل و الخارج، و أصبحوا في أمس

1 محمد عابد الجابري، مواقف-إضاءات وشهادات- دار النشر المغربية، الكتاب الخامس عشر، ط.1، ماي2003، ص.76.

الحاجة إلى أن يعيدوا لها سكينتها ليعود الثبات لأقدامهم ، فلم يصبروا على وضعهم و أقبلوا على الثقافة الغربية مستلهمين منها مرجعياتها وخلفياتها في تسرع و دون ترو، ولعل ما نلمسه في معالجة موضوع بنية النقد العربي للتصورات المختلفة التي لا معرض لحدودها حول مسألة التأصيل الفعلي له، سببه راجع إلى أثر الفكر الغربي وما أفرزته مناهجه التي تتبنى وفق مستويين : **تيارات البنوية و تيارات ما بعد البنوية** ، و إن التيار الذي يهمنا في هذا المقام هو المعطى البنيوي .

1-2-النقد وصوره في المنجز الغربي: تعد محاولات إدراك مهاد التأصيل للفكر العربي و طبيعته مواقف جد مهمة لفهم الأرضية التي شكلت وجوده ، فلقد تعمقت الرؤية لتصل إلى فكرة الانزياح التي هي مزاوجة الفكر العربي بين الأصالة والمؤثرات الأجنبية ، فلا تكاد تخلو جل الجلسات الفكرية من الاستشعار بإشكالات الفكر العربي، و لذلك كان من المهم دفع المفكر العربي إلى الإشتغال بقضايا النقد والأدب لإعادة التفكير في هذا الواقع البيني و كيفية الخروج من مفرضاته، و كثير من المؤلفات تدور حول نظريات النقد والأدب و نماذجها و بعض التحديات التي قد تواجه صعوبة تكييفها مع الواقع العربي ، ومما لا شك فيه أن أنظمة الخطابات الفكرية تتأثر تأثرا بالغا بحركية التطور للفكر الإنساني وممارساته من منطق أن البشرية تعرف اليوم ثورات لم تعهدها من قبل آثرت بشكل أو بآخر على نظام الخطاب الفكري ومكوناته وعناصره في ظل وجود تحديات ثقافية و حضارية، فـ « الناقد العربي يعاني – و لا يريد أن يعترف أنه يعاني –من ظاهرة غير

صحية، أملتها دواع و مواقف متباينة ومتباعدة ، من التراث و حداثة الغرب الصناعي، تنحصر عموما في رفض التحول الحقيقي و الحتمي، الذي يضيف إلى منتوج السلف و اجتهاداتهم ما ابتدعته معارف الحداثة ، حتى تتضح الأشياء بأسرارها و تعقيداتها »[1]، لتتشكل بنية الفكر النقدي وفق منظور: الاستلهام من التراث ، لكن تشكيلها النهائي يتطلب الاعتماد المكثف على ما ينتجه الفكر الغربي من آراء ومقولات تحديدا من عصر النهضة إلى يومنا هذا، إذ أن « نهضت الميتافيزيقا الغربية على تقسيمات تدغدغ الذات و تروي عطشها المزعوم في التفوق، و تؤكد أفضليتها على الآخر، لذا مدت الذات بجسور مصطنعة تربطها بالإغريق، انطلاقا من حمى البحث عن ماض عريق و أصول ذهبية » [2]، لقد أدرك بعض من المفكرين العرب الفجوات التي جعلت الفكر الغربي يؤكد أفضليته عليهم ، لكن كان الإدراك متأخرا كثيرا فبدأوا بالرجوع إلى التراث العربي القديم ، ثم انتقلوا إلى تقليد هذا الفكر و محاولة محاكاته، إذ إنهم لم يبذلوا جهدا في سبيل فهم خصوصياته ، هكذا أصبح الفكر العربي ينصت لكل ما يصدر عن الفكر الغربي فزاد انبهارهم بكل ما تطاله أيديهم لتخلف هذه الرؤى جوا من الاضطرابات الفكرية ، فانقسم الدارسون بموجبها بين مؤيد لتبني منجزات الفكر الغربي من دون مراجعته ، و آخر معارض

1 مصطفى درواش ، ثقافة العولمة والحوار النقدي الحداثي/ هل من استراتيجية ؟ ، جامعة مولود معمري / تيزي وزو، بلحسين محمد، عيساني محمد، النقد العربي القديم في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، كتاب جماعي، مطبوعات المركز الجامعي أحمد بن يحي الونريسي، تسمسيلت 2015، ص.02.

2 حسن شحاتة ،الذات والآخر في الشرق والغرب- صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، القاهرة، ط.1، 2008، ص.27.

له ينطلق من فكرة مفادها المساواة بين سيرورة التراث و الاعتماد على منجزاته بعد مراجعتها و وضعها تحت محك النقد الجاد ، و يبقى أن نتساءل: هنا عن مجرد الميل لتبني مقاربة أو نظرية نقدية يعني الانتماء إليها أم الانتماء الكامل لحرية المبدع أم في اختياره الفكري ؟ يستوحي الباحث في ممارساته الفكرية دائما المرجعيات الغربية لتشيع مشكلات مماثلة أخرى في هذا الميدان و لعل أهمها ما يرتبط بقضية المصطلح النقدي و نذكر منها:

1-2-1-النظرية البنوية: أعطت النظرية البنوية تصويرا أكبر من حجمه للقارئ، وأهملت صورة مبدع النص الأدبي و صوته " **The Death of the Author** " * ضمن ما يعرف **بموت المبدع أو المؤلف**، التي استحسنها عبد الغذامي في مؤلفه الموسوم بثقافة الأسئلة- مقالات في النظرية و النقد، قائلا : «... مفهوم الموت هنا لا يعني الإزاحة و الإفناء، و لكنه يعني تمرحل القراءة موضوعيا من حالة الاستقبال إلى التذوق ثم إلى التفاعل و إنتاج النص، و هذا يتحقق موضوعيا بغياب المؤلف، فإذا ما تم إنتاج النص بواسطة القارئ- أو لنقل إعادة إنتاجه من باب تلطيف العبارة – فإنه من الممكن حينئذ أن يعود المؤلف إلى النص ضيفا عليه- كما يقول بارث »[1]، إنه من غير الممكن أن لا يتأثر عبد الله الغذامي بتحليلات رولان بارث، إذ أن أهم ما تأثر به هو فكرة موت المؤلف انطلاقا من إزاحة سلطته

* موت المؤلف The Death of the Author: تتجسد هذه الفكرة في غياب سلطة المؤلف في النص ، إذ إنها « مقولة ... تهدف إلى تحرير النص من سلطة الظرف المتمثل بالأب المهيمن : المؤلف، إنها تفتح النص على القارئ، بما أن القارئ هدف أولي للنص، وتزيح المؤلف مؤقتا إلى أن يمتلئ النص بقارئه ، والقارئ بالنص، ثم يصار بعد ذلك إلى استدعاء المؤلف ليحضر حفلة زفاف النص إلى قارئه ليبارك هذه العلاقة الجديدة وينتظر الولادة الآتية فرحا لابنه »، ينظر: رولان بارث، نقد وحقيقة، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط.1، 1994، ص. 10.

1 عبد الله الغذامي، ثقافة الأسئلة – مقالات في النقد والنظرية ، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993، ص.205.

في العملية النقدية وتعويضها بسلطة القارئ تحت مسمى الدراسة المحايثة المتمثلة في عزل الأثر الأدبي عن التصورات النقدية الخارجية مما تجعل بعض الدارسين العرب مفتونين بتحليلات الكتاب الغربيين من خلال حرصهم المبالغ فيه و تركيزهم الشديد على إبقاء مضامين التجربة الغربية، و إبدالها بتسميات و مقابلات عربية كي يكون لها الحظ الأوفر في الممارسات الفكرية ، هذا كله يفضي إلى التأسيس و التجسيد للفكرة القائلة بأن التسميات الغربية و المقابلات العربية هي مجموعة عوالم نقدية ذات سمات و خصائص موروثة، تسير في اتجاه واحد يحكمه الاتفاق وتنتفي فيه كل صفات الاختلاف، و في مؤلفه المشار إليه، يعدل رولان بارث عن فكرة موت المؤلف يقول: « ... و لكنني في النص لأرغب في المؤلف، بأي شكل من الأشكال: فأنا محتاج إلى صورته، و هذه الصورة ليست تمثيلا له، و لا إسقاطا عليه، مثلما هو محتاج إلى صورتي، و إلا فإنه « يثغثغ» »[1]، يركز رولان بارث في فرأيه على أنه لا يمكن تفسير أي نص أدبي، انطلاقا من غائيته الخارجية التي تتجلى في (ظروف إنتاجه، حياة المؤلف، أحداث و وقائع خارج نصية مثلا)، كون هذا المعنى يمثل سجنا لتفسير النص و شرحه، لكن في هذا الموقف يوفق بارث بين حضور المؤلف و صورة القارئ و يجعل كل منهما بحاجة إلى الأخر لحظة التحليل النقدي، كما أنه يحلل صورة المؤلف من ناحية : أنها ليست تمثيلا له أو إسقاط عليه؛ بل رسما فعليا لواقع المبدع و تصميما لقدرته الإبداعية، فهنا لا تكتمل الصورة إلا بحضور المؤلف الحقيقي الذي يستدعي –بدوره طرفا ثانيا من أطراف العملية النقدية المتمثل

1 رولان بارث، لذة النص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سورية- حلب-ط.1، ص.56.

في شخصية القارئ الذي يكون افتراضيا (المؤلف لحظة الإبداع يتبنى قارئا مفترضا في ذهنه) ليصبح قارئا واعيا بكل مسارات العملية الإبداعية وصولا إلى لحظة تلقيه العمل الأدبي و تذوقه و إبداء الانطباع حوله ، أما عبد العزيز حمودة فيبدو موقفه رافضا لقضية موت المؤلف ، التي تعتبر مسألة هامة و معقدة في آن واحد، حيث عدها مغالطة نقدية تنزاح عن المرجع السليم للمنظومة النقدية في علاقة المبدعين بما أنتجوه من آثار أدبية، يقول في هذا الشأن « ... و مادام الشيء بالشيء يذكر فإن رولان بارث هذا كان التجسيد الكامل لفتنة البنوية عند الحداثيين العرب، الذي لا يكاد يخلو مؤلف من مؤلفاتهم حتى اليوم من ذكر مناقبه و أفضاله »[1]، و يضيف حينما يتحدث عن رفضه لهذه المسألة فـ « ربما يقول البعض إن بارث إنسانا متقلب المزاج– و هو بالقطع كذلك إلى حد كبير– يسير وراء الجديد و « الموضة» تحول عن البنوية إلى التفكيك» [2]، يفسر عبد العزيز حمودة استعمالات المعطى الآتي: (فإنه من الممكن حينئذ أن يعود المؤلف إلى النص ضيفا عليه) دون أن يلغى صوته الذي يعد بمثابة الروح الدافعة لتحليلات العمل الأدبي و المسيرة لتوجهه النقدي، فالنص الأدبي سيظل الملجأ الوحيد الذي يركن إليه القراء كضيوف للاستنباط أحكامه وجمالياته، علاوة على الاختلاف في الرؤية بين كثير الدارسين حول قضية موت المؤلف ليظل عبد الله الغذامي أشبه بالإرث النقدي المفتوح على العالم بأكمله، و هذه الحقيقة يؤكد عليها رولان بارث نفسه حين يتحدث عنه «... إنه وهب مقدرة خارقة

1 عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه- دراسة في سلطة النص- مرجع سابق، ص.64.
2 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

على التحول الدائم و التطور المستمر، فجعل ذاته إشارة حرة فخلاها دالا عائما لا يحد بمدلول»[1]، ليظل الاستشعار بإشكالات الفكر العربي قائما طوعا أشبه بالإنسان الضائع الذي لا يجد أحدا يحتويه و يجد حلولا لمشاكله و أزماته مثل باقي المثقفين، هذا الاختلاف بين النقاد العرب نجده يمتد ليشمل تحديدهم للمصطلحات المعبرة عن المفهوم الواحد في مؤلفاتهم ، إذ يفضل صلاح فضل لفظة البنائية و يقر بذلك في مقدمة مؤلفه نظرية البنائية في النقد الأدبي بقوله «... فحتى المصطلح الأساسي و هو اسم البنائية لم يتم الاتفاق عليه في اللغة العربية، فبعض الباحثين يستخدم كلمة بنيوية– نسبة إلى البنية، و هو اشتقاق صائب، لولا أنه يجرح النسيج الصوتي للكلمة بوقوع الواو بين ضرتيها، بما يترتب على ذلك من تشدق حنكى عند النطق »[2]، و يضيف مصرحا عن ضرورة تناسق التسمية مع المفهوم « و هذا ما جعلنا نعدل عن هذه التسمية و نفضل عليها البنائية لسلاستها و قرب مأخذها، راجين أن تكون هذه السيولة اللفظية ذريعة لسيولة أخرى أعز و أغلى و هي السيولة الفكرية و الدلالية »[3]، عندما تنبثق مسألة اللفظة في النقد العربي، فقد تدور في مخيلتنا جملة من الاشكالات المتعلقة بتفضيل لفظة مفكر على لفظة مفكر آخر و كل منهما يعتقد أن تجربته صائبة، و يستحب هنا أن نبني منطلقنا على نظرة توافقية لهذه المجادلة النظرية– التي شغلت الفكر العربي سنين طويلة– وبقت تسير في اتجاهات ثنائية أو آراء ثلاثية

1 عبد الله الغذامي، الغذامي– الناقد– قراءات في مشروع الغذامي النقدي، إسماعيل السماعيل ، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، السعودية، د.ط، ج.2، 1997، 1998، ص.05.

2 صلاح فضل، نظرية البنائية في النقد الأدبي (من المقدمة)، دار الشروق، ط.1، مصر، القاهرة ، ص.13.

3 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

مختلفة عندما تكون موضع اهتمام، و ما دامت كل تجربة لفظية تعزى لناقدها، الذي يرى كل منهم في لفظته الأنسب لتتناسق مع المفهوم المراد تمثيله، فسيكون من المستحيل أن نحسم الأمر لتجربة دارس على آخر، و النموذج الثاني يعكس تجارب لفظية عربية عديدة بكل تجلياتها، إذ أننا« نعرف جيدا إن مصطلح البنوية Structuralism ، ظل عرضة للتغيير فقد شاع في البداية مقابل ترجمة أخرى هي **(الهيكلية)***، و بعضهم استخدم مصطلح التركيبية أو البنائية »[1] ، يفصح هذا النموذج الثاني عن غياب الترسيم لتجربة لفظية بعينها تلغي الآثار التي نتلمسها في دائرة القصور هاته **(البنوية – الهيكلية – التركيبية – البنائية)** ، هكذا يعلل كثير من الدارسين قضية تعدد هذه التجارب انطلاقا من أنه كلما أخذنا مفهوم بالدراسة و التحليل برزت مقابلاته الكثيرة التي لها ميزة التعقيد الذي يفضي بدوره إلى نوع من التشتيت المبالغ فيه ، من هنا وقف عبد السلام المسدي عند عدد لا بأس به من الإشكالات الخاصة بالبنوية قائلا: «... يخامرني شعور قوي بأن البنوية الشكلانية في مجال النقد العربي المعاصر، و لن تعمر طويلا ، و لن تغير الزمن النقدي العربي، كما هي تأمل تغيرا بنيويا جذريا، و لن تزيد عن كونها زوبعة في فنجان عربي »[2] ، لتكون البنوية حسب عبد السلام المسدي فكرا مزدوجا يمثل نزعة علمية دائمة تشكل

* الهيكلية : يفضل " صالح هويدي" تسميات البنوية والهيكلية ويستعملهما بنفس المعنى ، على الرغم من التباين الحاصل بينهما،: « تنطلق (البنيوية) أو (الهيكلية) كما تسمى أحيانا من فلسفة ترى النسق سابقا على الأنظمة البشرية » ، ينظر: صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث- قضاياه ومناهجه ، زوارة ، الجماهيرية الليبية، د.ط، د.ت، ص. 191.

1 رواء نعاس محمد، المثاقفة والمثاقفة النقدية (في الفكر النقدي العربي)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج.7 ، ع.(3، 4)، 2008، ص.178.

2 عبد السلام المسدي، قضية البنيوية، دراسة ونماذج، منشورات دار أموية، تونس، ط.1، 1991، ص.109.

صعوبات في انتهاجها، كنتيجة لهذه العلمية الصارمة ، و هذا ما يدفع العديد من المنتقدين إلى صعوبة تقبلها، ثم يطرح المسدي جوانب مهمة لفهم قضية البنوية في الفكر العربي المعاصر تصب كلها في معنى واحد: تشكل البنوية زوبعة في فنجان فكر عربي ، و يأخذ بعض من المثقفين بهذا الرأي بأنها « زوبعة في فنجان فكر عربي»، « لكن الكثير من مفكرينا و مثقفينا، ممن تجاهل البنوية لأنها هامشية مبهمة عديمة الجدوى، قد بدأ في تغيير موقفه بل يطالب بمعرفة المزيد عنها»[1]، هذا القول تؤكده حجج تثبت عدم وجود اتفاق مشترك بين صفوة مثقفينا، إذ كيف يتم الاتفاق مع وجود مفكرين عربا اعتنقوا البنوية فملئت فكرهم . وهذا ما يمكن أن نسمه بالزوبعة حسب تصور المسدي ، كنتيجة لتقلب هؤلاء الطائفة ، فـ:« اخلع عقيدتك على الباب كما تخلع نعليك ، فلكي تكون ماسوني المذهب أو إنسانيا في أدبك فاخلع عقيدتك ، و الفارق بينهما هو في وقاحة التعبير الماسوني والبريق الخادع في المصطلح الأدبي ، فربما استهوى بريقه الكثيرين من ذلك التطلع المبهور إلى الفكر الغربي »[2]، يشدد محمد عباس عبد الواحد على مسألة مهمة تستهوي بعض مثقفينا العرب في تطلعهم إلى الفكر الغربي، كما يبرز جملة من الشروط التي تفرضها قضية مناصرة المذاهب الفكرية الغربية ، من خلال مناهضة التراث النقدي العربي و يطرح عبارة :« اخلع عقيدتك على الباب كما تخلع نعليك » ، فالعقيدة هنا لا تمثل

1 إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الصفاة، الكويت، ط.1،1992، ص.19.

2 محمد عباس عبد الواحد، قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة و تراثنا النقدي -دراسة مقارنة- دار الفكر العربي، ط.1، 1996، ص.06.

العقيدة الدينية فقط –بل تشمل جوانب الحياة ككل ، فالمفكر سواء أكان ماسونيا المذهب أو إنسانيا في أدبه فيجب أن ينفصل عن عقيدته لتحل محلها عقيدة أخرى، كذا الأمر في الأدب فلكي يكون الأديب عالميا أو إنسانيا (الأديب يعبر عن تجاربه الخاصة دون التصريح بتجارب مجتمعه) أي؛ ينفصل عن مسلمات و تجارب بيئته و هذا هو شعار المذاهب و الفلسفات الغربية، من هنا كان هذا الوصف الفكري يجمع الرؤية الماسونية و البريق الخادع في المفاهيم الأدبية التي تمثلها المذاهب الغربية في صورة براقة تجذب الكثير من المفكرين المبهورين بها دون وعي منهم بفجواتها، فاللغة في نظر البنيويون غير شفافة و غير بريئة و في حد ذاته أيديولوجيا ، هكذا ظل القصور مسيطرا على المفكر العربي في إدراك حقيقة الطبيعة الأيديولوجية للفكر البنائي، ليبرز جابر عصفور تصور مفاده بأنه عليهم « أن يتفتحوا على أفاق النظريات المعاصرة ، و ينفضوا عنهم ما تراكم على أذهانهم من صدأ نظريات قديمة، و لن تقودهم إلا إلى مزيد من التخلف»[1]، وهكذا يصف جابر عصفور فلسفاتها بافتراضات لا أساس لها، و صدأ نقدي تراكم على الذهن العربي فجعله يعيش غبنا مزدوجا بين مفرضات واقعه ومنجزات الفكر الغربي و كتكملة لهذا المسار ظهرت حركة نقدية أخرى تعرف **بالأسلوبية Stylistique** كإحدى توجهات التيار البنيوي.

1 زهران محمد جبر عبد الحميد، مناهج النقد الحديثة- الرؤيا والواقع- دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الزقازيق، مصر، ط.1، 1989، ص. 66.

1-2-2-النظريــة الأســلوبية : إن مـا لاحظنـاه أثنـاء دراسـتنا للبنويـة و أثرهـا فـي الفكـر العربـي، يتيح الإدراك بـأن الأسـلوبية تمثل « الجيل الجديد الـذي بـدأ يتمخض منـذ أواخـر السبعينات و مـا فتـئ يعـاني مـن عسـر وفلق المخـاض فقد شـغف وانبهر بالشكلانية البنويـة و وجد فيها ضـالته و متنفس طموحه و أشواقه بدعوى أن هذه البنويـة هي التـي تسمح أكثر بإحداث « قطيعة » مـع السائد و المألوف (...) وقديما قيل (خالف تعرف) . و من ثمـة انتشرت هذه الفوضـى « البنويـة » التـي تسـلخ لجم و جلد النصـوص و ترديهـا رميمـا فاقدا للحياة »[1]، إن البنوية ليست وحدها من تشكل فوضـى تسهم في سلخ جلد النصـوص وترديها رميما فاقدا للحياة ، فهذا حال كل المنـاهج النقدية فهـي تتسم بالسلبية و الإيجابية معا فلا يوجـد مـنهج نقـدي خـال مـن القصـور، و مـا دامـت المسـألة بهـذه الصـورة كـان بإمكاننـا أن نتعـرف علـى مـنهج مـن هـذه المنـاهج يمثـل المحـور الثالـث فـي تيـارات مـا بعـد البنويـة ، فمضمون النظرية الأسلوبية « بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف؛ إنها علم التعبير، و هي نقد للأساليب الفردية »[2] ، ترى الأسلوبية أن أساس العملية النقدية يتمثل في تلك العلاقة بين الأقطـاب الثلاثـة : المؤلـف و القـارئ و الـنص ، إذ كـل عنصـر يتضـمن عنصـر آخـر و يتداخل معه ، فجاء في معجم المصطلحات الأدبية الحديثة لمحمد عناني « الأسلوبية وسيلة علمية لتوكيد صحة انطباع الناقد، أي أن منهجها يعقب الحكم النقدي، و لكنها قد

1 محمد ناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية ، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع ، صفاقس، تونس، ط.1، ديسمبر، 1998، ص. 135.

2 بيير جيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري – حلب، سوريا، ط.2، 1994، ص. 09.

تستخدم في حالات أخرى لاستكشاف جوانب في النص قد يدركها القارئ و قد لا يدركها »[1]، هكذا تعد الأسلوبية واحدة من تلك المناهج النقدية التي قدمت نفسها كنظرية تملك مفاتيح النص الأدبي، على خلاف الصراع و الجدل النقدي الدائر حولها، لقد وجد هذا المنهج مناصرين له من أولئك الذين يدعون إليه، و أثبت أن له تفسيرات وتخريجات منطقية مقنعة لمعالجة النصوص على تنوعها، لكن إذا أردنا معالجة المسألة من ناحية ثانية و خصوصا فيما يتعلق بالشطر الثاني من المقولة السابقة (... لاستكشاف جوانب في النص قد يدركها القارئ و قد لا يدركها) ، إن المتفق عليه هو أن القارئ يدرك المعاني الصريحة، و هذا أمر صائب لا جدال فيه، لكن ما هو الشيء غير المدرك ؟ كيف يتم استنتاجه؟ قبل البدء في تحليل هذه القضية لا بد من طرح تساءل مفادها: أين يمكن أن نضع الأسلوبية ؟ يفصح المسدي في كتابه الأسلوبية و الأسلوب عن هذه المسألة بقوله « ... و لن تنجو الأسلوبية من طفرة الرائجات و شكلية البدائل، بل لن يستقيم أمرها بين الحداثات إلا إذا انتبه أعلامها إلى حقائق التصنيف المعرفي و مقوماته في المادة و المنهج فلم تلتبس حدودها بحدود ما يتاخمها من بلاغة و بنيوية و علم اللسان»[2]، صارت الأسلوبية تتقبل مبدأ التداخل بينها و بين ما يتاخمها من مناهج ، لكن مع هذا التقبل لم تنجو من الشائعات المروجة نحوها ، و تعدى الأمر أكثر من ذلك إلى مطالبة الكثيرين بالبحث عن البديل

1 محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة –دراسة ومعجم إنجليزي –عربي- الشركة المصريةالعالمية للنشر، لونجمان- القاهرة –مصر، ط.3، 2003، ص.106.

2 عبد السلام المسدي، الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب، تونس، ط.3، جانفي 1982،ص.07.

النقدي ، هذا كله أفضى بها إلى الصرامة في المادة و المنهج و لقد مر« وقت كانت الدراسة الأسلوبية فيه تكتفي بما هو جزئي و شكلي في الوقت نفسه، و هكذا تحولت الأسلوبية إلى مجرد كشوفات عن مظاهر شكلية ذات محاور متعددة تتصل بالبنى الأسلوبية المختلفة التي تتموضع في النص الشعري ، أو إنها تحولت إلى جداول إحصائية منفرة ترصد عدد الانزياحات و مجالاتها، و عدد النظم التكرارية و مجالاتها في النص»[1]، يفصح حسن ناظم في هذا السياق ، عن التحولات و النقلات التي حدثت في مجال الأسلوبية و يركز على رؤيتين: الأولى تتعلق بالدراسة المحايثة التي وسمت المنهج الأسلوبي أي؛ اعتبار النص مجرد مظاهر شكلية يتم استنباطها ، و كأنها بنيوية ثالثة بعد الشكلية الروسية و البنوية ، هذه الرؤية تستدعي رؤية ثالثة تتعلق بالأسلوبية الإحصائية التي تمثل بجداول عكسية ، منفرة ترصد عددا لا متناهيا من الانزياحات التي يمكن اعتبارها الشيء غير المدرك في النص، هذا كله ينبئ عن أن الصرامة التي اكتنفت الأسلوبية مادة و منهجا ، و يحاول المسدي تبيان الجانب الإيجابي في الأسلوبية فهو يعلل سبب وجود الدراسة المحايثة ضمنها «... أما البنوية فشأنها مع الأسلوبية شأن آخر لاختلاف الطبائع بين المعارف، و لم يلتبس شيء على الناقد العربي في هذه الأيام التباس أمر البنوية مع مناهج النقد الحديث و تياراته الفكرية ، و ذلك أن الأسلوبية لا تتطاول على النص الأدبي فتعالجه

1 حسن ناظم، البنى الأسلوبية – دراسة في أنشودة المطر للسياب- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط.1، 2002، ص.09.

إلا و لها منطلقات مبدئية تحتكم فيها إلى مضامين معرفية »[1] ، لقد انتقل خلاف بنوية التحليل الأسلوبي من عدمها ليشمل الفكر العربي، و لعل أهم ناقدين وصفا هذا الجدال كل من عبد السلام المسدي وحسن ناظم من منطلق الأسلوبية و الدراسة المحايثة ، و استمر الوصف فيم خطه ستيفن أولمان عن استقرار الأسلوبية علما لسانيا نقديا ، و نقله لنا المسدي « إن الأسلوبية اليوم هي من أكثر أفنان اللسانيات صرامة على ما يعتري هذا غائيات العلم الوليد و مناهجه و مصلحاته من تردد و لنا أن نتنبأ بما سيكون للبحوث الأسلوبية من فضل على النقد الأدبي و اللسانيات معا »[2]، تتجلى الأحكام المتعلقة بالأسلوبية حسب اعتقاد ستيفن أولمان في تلك الصرامة الفعلية التي تميزها ، و بالرغم من –حداثة نشأتها– فقد تم التبشير بأنها أوسع ميادين النقد و اللسانيات و أكثرها رواجا و استقرارا ، مع كل ذلك ظهرت فجواتها و تشققاتها بعكس ما تنبأ به أولمان عن فضلها على النقد الأدبي و اللسانيات، لكن لم تبلغ تلك التشققات و الفجوات الدرجة النقدية الصارمة التي توقعناها منها في سلم الحكم النقدي، و المسدي يفصل في الحديث عن هذه الفجوات التي يردها إلى افتقار المفكر العربي للبعدين النقدي و الأصولي ، « و لئن بقيت جل الممارسات النقدية الحديثة عند العرب سجينة الأخذ، محظورا عليها العطاء فما ذلك إلا لافتقارها إلى بعدين : بعد نقدي و بعد أصولي، فأما انعدام البعد النقدي فتفسره غلبة المناحي المذهبية في التيارات النقدية الحديثة، و هي ظاهرة يخصب بها الإفراز العقائدي

1 عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، مرجع سابق، ص. 06.
2 المرجع نفسه، ص. 24.

و تشل بها الرؤية الفردية الواضحة ... أما انعدام البعد الأصولي فلا مرد له إلا الحواجز القائمة بين مصادر التفكير عند العرب و لا سيما المحدثين منهم، و أكبر حاجز آثم كاد يطغى على تاريخ الفكر العربي هو ذاك الذي قام بين الفلسفة و النقد حتى إننا لا نكاد نعي وجود أصولية للأدب و النقد، بل و الفلسفة المناهج نفسها، فقصر بذلك النظر(الأصولي الإبستيمولوجي) فكان لزاما أن ترجح كفة الأخذ كفة العطاء »[1]، يرجع عبد السلام المسدي أزمات العقل العربي إلى سببين :

أ- غياب البعد النقدي: و يتمثل في السيطرة التي فرضتها التوجهات والآراء الخاصة المنوطة بالتيارات النقدية الحديثة ، إذ في التيار الواحد نجد كما لا متناهيا من التوجهات والتصورات الفكرية ، هذا الغياب للبعد النقدي يخصب الإفراز العقائدي المتمثل في تعدد عقائد النقاد ومذاهبهم، إذ نجد الناقد الواحد يتبنى عدة اتجاهات نقدية، فبعد أن يبوء المشروع الذي ينتمي إليه بالفشل يسارع لتبني مشروعا آخر دون التعرف على خلفياته الفلسفية، هكذا أصبح أي مشروع نقدي موضة العصر و مزيته.

ب- انعدام البعد الأصولي: و يتجلى في اختلاف ذهنيات النقاد في إدراك الحواجز القائمة بينهم التي تسهم في فشل مشروع التفكير النقدي العربي و ترجح كفة أخذهم عن المناحي المذهبية في التيارات الغربية الحديثة ، هكذا فإن « قدر العرب في الحقيقة، هو ما يصنعه

1 عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، مرجع سابق ، ص.ص. 18، 19.

الغرب »[1] ، لقد كان البعد الأصولي الذي تبناه المفكر العربي بعدا غربيا كان له الأثر البالغ على مصادر التفكير عنده ، و حسب تصور المسدي أن أكبر حاجز أثم كاد يطغى على تاريخ الفكر العربي هو الفلسفة التي تمثل الروح الدافعة للتيارات الفكرية الغربية ومحاولة ربطها بالنقد، هذا الغياب للبعدين النقدي و الأصولي كان له الأثر البالغ على النقد العربي ، إضافة إلى حتمية تبني المناهج الغربية الحديثة، فكانت الأسلوبية واحدة من تلك الاتجاهات النقدية التي تلمسنا أثار استقبالها و تطبيقها في واقعنا النقدي ، لكن هذا الاستقبال لا يجعلنا ننكر هويتنا في إثراء و إغناء المجال الأسلوبي، فإرثنا البلاغي العربي صورة حية ونقلة نوعية نحو تحليل العلاقة بين فكرنا و الفكر الغربي بمختلف ضروبه وصنوفه، و هكذا « فأسلوبية التعبير التي دعا إليها بالي (...) تنبع من البلاغة القديمة و إن كانت تستخدم وسائل تحليلية حديثة، كما أن كثيرا من البحوث التي قدمتها البلاغة للصور والأشكال مازالت مصدرا ثرا حيا جديرا بأن يؤخذ بالاعتبار في قسط وافر منها؛ حيث نجد مجموعة من الملاحظات و التعريفات التي لا يستطيع الباحث الأسلوبي الجاد أن يهملها، بل عليه أن ينظمها و يعمقها على ضوء مناهجه الحديثة »[2]، يرى صلاح فضل أن البلاغة تشكل مصدرا ثريا ومهما للأسلوبية الحديثة، و يشدد على ضرورة مفادها أن الرجل الأسلوبي عليه أن لا يهملها وينظمها و يوسع من خلالها دائرة معارفه ، و يعترف بول فاليري بانتهاك الأسلوبية للغة، و يفضل الاستعانة بالبلاغة العربية في التحليل النقدي ، إذ

1 محمد الشيخ ، محمد عابد الجابري مسارات مفكر عربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط.1، نوفمبر، 2011، ص.07.

2 صلاح فضل، علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، مدينة نصر ، مصر، ط.1، 1998، ص.178.

يقول معبرا عن ذلك « عندما أفكر في تجميع البيانات المتصلة بالاستعمالات اللغوية، أو بعبارة أدق المتعلقة بفضائح انتهاك اللغة التي تتجمع كلها تحت عنوان غامض هو الصور و الأشكال البلاغية، فإنني لا أجد ما يعين على العمل سوى تلك الشذرات المنسية في تحليلات الأقدمين الناقصة لهذه الظواهر البلاغية »[1]، و مع ذلك، دعا فاليري إلى الاستعانة بالشذرات المنسية في تحليلات الأقدمين المتمثلة في الظواهر البلاغية رغم النقص الذي يكتنفها و كل ذلك من أجل سد الفراغ الذي تحدثه الأسلوبية في انتهاكها الفاضح للغة أو ما يعرف بـ **(الانزياح écart)** و يصفه سعيد علوش بتسمية الفارق و يعرفه على أنه « مفهوم خاطئ ، بحيث يقنع عمل المعنى، المرفوض و المنقود في النظرية الأدبية المعاصرة، و يرتبط مفهوم (الفارق) بالأسلوبية، إذ يظهر فيها كمفهوم أساسي...»[2]، يشكل الانزياح في النظرية الأسلوبية نزوعا من اللغة العادية إلى اللغة الأدبية (غير العادية) ليشكل انتهاكا فاضحا لها ، و يمكن أن نتعرف على أثر هذا المعطى الأسلوبي في الفكر العربي سواء على مستوى المعالجة النقدية ، أو حتى في إيجاد اللفظة المناسبة للمفهوم المعالج ، و في هذا الجانب تشدنا كثير من المؤلفات لبعض النقاد العرب الذين جعلوا الأسلوبية في مكانة مقدسة ، و كأنها المصدر الأصلي لكل تلك المناهج، في حين يقصروا من حجم البلاغة العربية و كأنها غير موجودة ، هذا التهميش لها أدى

1 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

2 سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سوشبريس، الدار البيضاء – المغرب، ط.1، 1985، ص.162.

بصلاح فضل للتنويه بالاشكالات المرتبطة بالتحليل الأسلوبي، و خاصة بما يتعلق بقضية الانزياح الذي يتمثل لنا « عندما نخدع فنخلع على النص القديم انطباعاتنا الحديثة و نزعم أننا نكتشف فيه التأثيرات الأسلوبية ما لم يكن في زمنه حقيقة ، فإذا حدثت هذه الإضافة و اعتبرت مشروعة في القراءة الأسلوبية أصبح من الضروري أن ندرك طبيعتها و نسندها إلى القارئ الحديث مبرئين منها متلقيها المعاصر لها »[1] ، مما لا شك فيه أن النص الأدبي مشروط باللحظة التاريخية ، إذ لا يجوز للقارئ الحديث أن يسقط انطباعاته الحديثة و المرتبطة بفترة وجوده على نص قديم بحجة أنه يمارس ألعاب التأثير الأسلوبي، فسيكون من الخطأ الفاضح أن نسند تلك الانطباعات إلى المتلقي الذي عاش التجربة الأسلوبية و أدرك تأثيرها ، و تحيل تسمية الأسلوبية في جذرها الأجنبي على العديد الترجمات العربية، إذ نجد المسدي يستعمل تسميتين هما : الأسلوبية و علم الأسلوب ، ويقول حمادي صمود « نصادف في بعض الدراسات تصنيفا يتجاوز التقسيم الثنائي فنجدهم يتحدثون عن« أسلوبية وصفية » و « أسلوبية وظيفية » و « أسلوبية تكوينية » و « أسلوبية كمية»»[2]، يرى بعض الدارسين أن تسمية الأسلوبيات يبدو غير كافيا، وحجتهم في ذلك مردها إلى الاختلاف في الأسلوبية الواحدة، لكن هذا لا يعفي من مهمة الاشتغال على هذه الفكرة، وقد تعددت الترجمات للفظة الأجنبية (**Stylistique**) و بقي التناقض حاصلا في تحديد المقابل الأنسب لها ، وقد عبر عن ذلك عزت جاد محمد « ... و كأن

1 صلاح فضل، علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته، مرجع سابق، ص.09 .

2 حمادي صمود، الوجه والقفا –تلازم التراث والحداثة، الدار التونسية في النشر، تونس، د. ت، سبتمبر1988، ص. 86.

الاضطراب المصطلحي في المنبع تحول أثناء الترجمة بعد تضخمه من خلية خبيثة واحدة إلى الآلاف منها التي دمرت المصطلح »[1]، هذه الاضطرابات مست تيارات البنوية من(**شكلانية و بنوية و أسلوبية**)، مما أفضى إلى ظهور **تيارات ما بعد البنوية** التي جاءت كردة فعل عليها، من هنا نقرأ المقالة التالية: بل « إن ممثلي ما بعد البنوية هم بنيويون اكتشفوا خطأ طرائقهم على نحو مفاجئ »[2]، ليفسح المجال لتيارات أخرى جاءت كردة فعل على **تيارات البنوية** عرفت فيما بعد بما **بعد البنوية** في النقد المعاصر ، فكتب صلاح فضل: «... وظيفة النقد المعاصر في مجتمعاتنا العربية تمضي في نفس الاتجاه الذي بدأت به عند الرواد، باعتباره همزا تثقيفيا تنويريا يهدف إلى إشاعة الروح النقدي في مختلف مستويات الفكر والممارسة الاجتماعية»[3]، حرضت التعددية و الاضطرابات المنهجية التي وسمت المناهج النقدية صلاح فضل على أن ينصب عمله على إشاعة الروح النقدية في مجالات الفكر والتواصل الاجتماعي، فصحيح أن الآداب متداخلة و متشابكة بصورة لا مثيل لها في تاريخ البشرية الأمر الذي جعل دراسة الظواهر الأدبية والنقدية داخل الحدود القومية للآداب و بمعزل عن الامتدادات و التفاعلات الخارجية أمرا غير ممكن، ليكون الافتراض الأول ممثلا في أنه لنا مصلحة ثقافية كبيرة في أن نعرف ما

1 عزت جاد محمد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جامعة حلوان، مصر، د.ط، 2002، ص.101.

2 رامان سلدان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، د.ط،1998 ، ص.117.

3 صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر و مصطلحاته، ميريت للنشر والمعلومات، ط.1، 2002، ص.07.

يستقبله أدبنا من مؤثرات أجنبية، و ما يرسله إلى الآداب الأجنبية من مؤثرات ، ذلك أن مصلحتنا النقدية و الثقافية تتطلب أن تكون علاقتنا بالعالم الخارجي على النقيض من ذلك عندما يتعلق الأمر بمسألة التأثير و التأثر بين الآداب فالبعض يتبنى تلك المقاربات كمكسب ثقافي للتشديد على مزايا هذه الثقافة أو تلك، و هنا تستوقفنا قضية جد مهمة تتمثل في النقطة الفاصلة التي تعد بمثابة انزياحات وسمت شخصية المفكر العربي و الميل عن تجارب النقد الواعية إلى الانحياز الدوغمائي الذي خلفته صور الانبهار بالآخر، هذا يجعنا نتوقف عند ما خطته الهنغارية إيلونا كوفاكس مع مجموعة من الباحثين : « *De la nécessite de la critique dogmatique dans les périodes de décadence*, préface a une *Anthologie de la poésie latine décadente,* Préface a la première éd. des *les poètes latins de la Etudes de mœurs et de critique sur* »[1] *décadence*,1834؛ بمعنى أن الحاجة إلى النقد الدوغمائي (العقائدي) في مراحل الانحطاط، كمقدمة لمقتطفات (مختارات) من الشعر اللاتيني في مرحلة الانحطاط التي هي مقدمة للطبعة الأول من كتاب دراسات في الأدب و النقد عن الشعر اللاتيني في مرحلة الانحطاط في سنة 1834 ، يمكن القول أن التجربة النقدية الغربية قائمة على فرضية مغلقة وجوبا على نفسها أي؛ أنها قائمة على قواعد ومرويات عقائدية تثبت مفاهيم التفوق والتمركز الذاتي المحاط بجملة من هالات تمركزات مسندة له تدعم وجوده، من هنا

1 Ilona kovàcs and others ، Introduction aux méthodes de la critique littéraire، bÖlcsész konzorcium، Hungary، Budapest ، MÚZEUM KRT،2006، p.38.

كان لهذه القواعد والمرويات الوقع الكبير على الواقع العربي، فانتقلت عدواها إلى أوساطه ، فبدلا من أن يسعى هذا الإنسان إلى خلق عقائديته الخاصة به ، نجده استقى خبرات الجيل الغربي و انبهر بها، و هذا الانبهار جسد بدوره جمودا نقديا لازم المفكر العربي طويلا، يذكر عبد الله العروي في مؤلفه المعنون بـ (الأيديولوجيا العربية المعاصرة) شكوى زميله علال الفاسي الذي يتيح للقارئ العربي التعرف على أزمة المثقفين قائلا « حبب إلينا جهلنا و تأخرنا بالإعجاب بكل ما هو خارج عن مجتمعنا، حتى وجد في بلداننا طوائف من الناس يحسبون أن الخير كل الخير في تقليد أوروبا الغربية و روسيا السلافية وألمانيا الجرمانية»[1]، تتمثل الفرضية الثانية في أن وعينا بالتجارب النقدية لم يبلغ بعد درجة الكمال والنضوج و السبب في ذلك أن هذا الوعي لا يقوم على أسس و منطلقات من عمق واقعنا العربي، فعدم الوعي بهذه المسألة شكل بالنسبة للمفكر فجوات لا حدود لها في معرض أبجديات النقد المعاصر – على حد تعبير– شكوى علال الفاسي، و دونما شعور منا يضيف الأديب مضينا نتبنى النظرية تلو الأخرى، و المنهج تلو الآخر، غير مهتمين بالتعرف على الروح الفلسفية الأصلية المشكلة لهذه النظرية أو تلك، و لقد اصطدمنا بواقع تلك المقاربات والمناهج، ذلك الاصطدام ولد فينا شعورا مفزعا دفعنا إلى خلق منظومة نقدية مزيفة و عملاقة، أو جدالات عقيمة تخاض يوميا بين المثقفين ، و هكذا آثرت في هذا الفصل التمهيدي بمبحثيه، الأول المعنون بواقع الفكر في البلاد العربية و الثاني الموسوم بالنقد

1 عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، ط.1 ،1995، ص.ص. 76، 77.

وصوره في المنجز الغربي استخدام عبارات من قبيل اللفظة بدلا من المصطلح ، و هذا استنادا إلى ما جاء به عبد المالك مرتاض في مؤلفه الموسوم بـ (نظرية النص الأدبي) ، إذ يقول «... إذ ليس كل رأي قابلا لأن يرقى إلى مستوى النظرية ، مادام مجرد رأي أو فكرة أو تصور أو تمثل أو تناسق أو تدقيق، و افتراض، ما لم يوضع على محك العقل الفاحص، و بوتقة الملاحظة المدققة التي تصهره صهرا »[1] ، إن قضية المصطلح و زئبقية المفهوم جد مهمة و ، معقدة في آن واحد ، إذ يصعب علينا حصرها في النقد العربي ، ليطرح مرتاض للمرة الثانية أن هناك مراحل متعددة للارتقاء بأي رأي نقدي ما إلى مستوى النظرية أو المصطلح الذي يأتي متوافقا مع المفهوم العلمي، و من هنا فـ« إن أي رأي مهما ينتم إلى المفاهيم العلمية يعجز عن أن يرقى وحده ، إلى مستوى النظرية أو درجة القانون الكلي، بل يجب أن يمر هذا الرأي بمراحل متعددة، و تضاف إليه آراء أخرى ضمن مساريه المنهجي و الموضوعي معا، ثم يوضع تحت شروط التجربة العلمية الصارمة من أجل تحليل ظاهرة خاصة »[2]، إن التكلم عن فرع من الفروع النقدية – في حد ذاته– يوقع على عاتقنا إدراك كل شيء يناط به و فهم كل تفرعاته، هكذا و أثناء القيام بمهمة التعريف به، يجب إبراز خصائصه النوعية المميزة له، كما لا بد من تحديد دائرة اختصاصه و مجالات استعماله، إضافة إلى تحديد جملة العلاقات الموجودة بينه و بين باقي الفروع النقدية الأخرى التي قد تشاركه مضامين المنهج أو المصطلحات النقدية ، و هو الغالب « الحد أو

1 عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.3، 2015، ص.36.

2. المرجع نفسه ، الصفحة نفسها

الخط المعين المحدود، فهو يمثل حقلا يمكن العمل في نطاق حدوده ضمانا لعدم التشتت و الضياع »[1]، و يرافق هذه الآراء قراءات نقدية لمراحل تشكل هذا الفرع النقدي أو ذاك، و المتلمسة لهويته، و هذا كله ينبئ عن وجود طابع علمي يؤطر الاختصاص النقدي كطموح لتأسيس أرضية تطبيقية صلبة، و المصطلح النقدي باعتباره علما و تطبيقا (إجراء)، في حاجة إلى مثل هذا التصنيف و التفسير الذي يأمل كثير من المفكرين أن ترتسم معالمه ضمن **دائرة التيارات ما بعد البنوية** كممهد لتحرير مصطلحات و مفاهيم **المقاربة التداولية** – محل الدراسة – عبر تحديد ماهية **النقد و المصطلح** تحت مسمى جامع **المصطلح النقدي** ، و كذا تحديد آليات اشتغاله ومعاناته .

1 محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، القاهرة (مكتبة غريب)، د.ط، 1993، ص.11.

الفصل الأول : المصطلح النقدي

و المقاربة التداولية

- المبحث الأول : مدخل إلى المصطلح النقدي
- المبحث الثاني : تيارات ما بعد البنيوية
- المبحث الثالث : المقاربة التداولية

2- الفصل الأول : المصطلح النقدي و المقاربة التداولية

2-1-المبحث الأول : مدخل إلى دراسة المصطلح النقدي: يعد المصطلح موروثا من موروثات اللغة و حلقة مهمة من فرع الدراسات النقدية، لكن برغم من هذه الأهية التي حظي بها ، إلا أنه سرعان ما اكتنفته جملة من الفائضات في مضامينه ، و في هذا الصدد كانت نقلته متسارعة يشوبها التذبذب في حراكها ، فغابت عنها سمة النوعية ، من هنا نتساءل: ما مفهوم النقد والمصطلح ؟ و بعد كيف نعالج مسألة المصطلح النقدي في مفهومها وخصوصيتها ؟ كيف كانت نشأتها ؟ و ما هي القراءة النقدية التي يمكن أن نسم بها آفة الضبابية و الاضطراب التي وسمت المصطلح النقدي ؟ و ما هي الضوابط التي يمكن اعتمادها في تأطير هذه الدراسة ؟

2-1-1-مفهوم المصطلح:

جاء في قاموس مصطلحات التحليل السيميائي لرشيد بن مالك القول الآتي « يمثل المصطلح مفتاح أي بحث علمي »[1] ، هكذا تعبر المصطلحات مفاتيح العلوم ، لذلك كان النقد فعلا بحثا علميا مهما وجب لنا التعريف به – و أثناء القيام بهذه المهمة اتبعنا جملة من المراحل، وهذا ما جعلنا نعرج في البداية على مفهوم المصطلح الذي يمثل« شفرة الخطاب النقدي وطلعه المثمر الذي لولاه ما كانت المعرفة، و ما وقع التواصل ، إنه ما زال حد التعريف و لبنة النظرية التي تستوي على بنائها به ، و قد يكون أحد مثيراتها، ثم باكتنازه

1 رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص- عربي، إنجليزي، فرنسي ، دار الحكمة، د.ط، 2000، ص.07.

التصور يصير مطمحا بلاغيا في غير حالة، إنه يوشك أن يصبح فارس النص الذي يقود قطيع الفكر فتنتظم من خلفه جيوش (الكلام)، و تفتح له قلاع الذهن و الوجدان ، فيدخل النص إلى معية الملتقى دخول الفاتحين الظافرين، و هو لا يحده روع، ما دام على أمن من تصوره، و أمان من صوته الدال، فيقع التواطؤ و الشيوع، و تقوم قيامة المعرفة »[1]، هكذا يبرز كل من رشيد بن مالك وعزت محمد جاد الصلات بين المصطلح و الخطاب النقدي في كونهما وجهان لعملة واحدة، فالمصطلحات هي بمثابة العمود الفقري للمعرفة الإنسانية و عمادها، فلولاه لما استطعنا الولوج إلى فضاء الخطابات النقدية باعتباره يمثل الميزة الأساسية التي تثير الفكر و تستفزه ، فيصبح المتلقي عنصرا مؤثرا في اكتمال النص الذي هو بدوره كيان قصدي لا تحده حدود، ما دام أمن على توجهاته الداخلية (المعاني الضمني في النص) و الخارجية المتمثلة في الظروف التي أحاطت بتشكله ، ليحدث الشيوع ضمن الأوساط المعرفية الأمر الذي عبر عنه المؤلف بقيامة المعرفة، و هذا الشيوع لا يتأتى إلا بحضور المصطلحات التي تعتبر عتبات النظريات المعرفية ، و ما دام النقد جزء لا يتجزأ من النظريات المعرفية، فلقد آثرنا الوقوف على مفهوم النقد كفكرة تمهيدية للجمع بين مركبين اثنين هما : النقد و المصطلح تحت مسمى المصطلح النقدي .

1 عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، مرجع سابق، ص.ص.7، 8.

2-1-2-مفهوم النقد: أجاب المفكر الفرنسي ميشال فوكو ، حينما سئل هذا السؤال:

«What is critique? »[1] بقوله:

It might be Worth trying out a few ideas on This project that keeps Taking shape، Being extended and regenerated on the outer limits of Philosophy، very close to it،up against it، at ict expense ، in the dircetion of a future philosophy and in lieu ، perhaps، of all possible Philosophy »

أي؛ قد يكون من المفيد تجربة بعض الأفكار حول هذا المشروع الذي يستمر في التبلور و يجري تمديده و توليده من جديد على الحدود الخارجية للفلسفة، قريبا جدا منها و ضدها، و على حسابها في اتجاه فلسفة المستقبل و تعويضا عن ربما كل فلسفة ممكنة، هكذا أتاح ميشال فوكو التعرف على ماهية النقد الذي يكون – في مجمله- مرنا حيث أن النظرية الأدبية المعاصرة ضمت علوما كثيرة لم تكن من قبل ضمن اهتماماتها، إذ أنه بعد التأثير و التأثر بين مختلف العلوم و مجالات النظرية الأدبية المعاصرة ، ولجت فروعا عديدة مجال النقد و بات تشاركه جل جوانب الموضوع و المنهج، و بذلك عبرت عن التحولات في زاوية النظر النقدية ، و من جملة هذه العلوم التي تركت أثرها في النقد نذكر منها: علم النفس و علم الاجتماع و الفلسفة ، النظرية الاقتصادية و الاجتماعية و السياسية ، هذه

[1] Michel Foucault، The Politics Of Truth ، Edited by Sylvére lotringer، Introduction by John Rajchman ، Translated by lysa hochroth & catherineporter ، published by semiotext (e) ، 2007، wilshire Blvd.، suite 427، los Angeles، CA 90057، p .p .41،.42

الاستعانة في الترجمة بالأستاذ : العلاء بن ساعد.

الفكرة تتجلى أيضا لدى المسدي حينما يقول« إن الانتباه إلى انفجار النظرية النقدية، و القول به، ثم التسليم بنتائجه ، كل ذلك يعني الاقتناع بأن مؤسسة النقد قد خرجت عن مدار فلكها الموروث، و كفت عن كونها ملكا عينيا بيد النقاد من حيث هم نقاد ودخلت طورا جديدا هي فيه ملك مشاع بين النقاد و شركائهم المعرفيين. لقد ولى العهد الذي كان فيه الحكم على النقد ظهير الحكم على الأدب. لم يعد أي منهما بقادر على أن يستقل بنفسه عن حركة المعارف: ليس الأدب جزيرة منعزلة في محيط العلم الإنساني، و ليس النقد واحة مزدهرة داخل جزيرة الأدب، بل لعل لكل واحد منهما من الروابط بسائر حقول الثقافة الإنسانية الفسيحة ما قد لا يكون له مع شقيقه. وهذا من أعجب ما يحدث عند انفجار النظرية »[1]، لقد ظلت النظرية النقدية و باقي العلوم المعرفية توأمان يتجاذبان، لكن سرعان ما تم الاعتراف بنقلتها النوعية سواء في ارتباطها بالمجالات المعرفية الأخرى أو في تخلصها من ملكية النقاد و شركائهم المعرفيين .

2-1-3- معاناة المصطلح النقدي: شكلت دراسة المصطلح النقدي نقلة نوعية حاسمة في فضاء الدراسات الفكرية ، أذنت ببزوغ نجم أفكار و معطيات جديدة ساهمت في صقل الخطابات النقدية بروح حديثة، كان لها أصداء واسعة لفهم جملة الإشكالات التي تقف حاجزا أمام مسألة توظيف المصطلح الأنسب المعبر عن مفهوم معين لمجال معرفي ما ، ليكون أقل « ما يقال في ضيم المصطلح الأدبي في النقد العربي المعاصر إن من استظل به كان كمن استظل بأوار الهجير ، و كمن ركن إليه فكأنما ركن إلى جرف

1 عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، دار الكتب الوطنية / بنغازي، ليبيا، د.ط، مارس 2004، ص.13.

هار ، و لم تكن لتبلغ القلوب الحناجر ؛ إلا جراء الهدى إلى بيئة ، و لم تكن هذه البيئة ؛ سوى مراوغة طيف الحقيقة حال مكابدة الوصول »[1]، لقد بلغ ضيم المصطلح في النقد العربي المعاصر درجات من التراجيديا التي كلما استظل بها النقاد و الكتاب عصفت بهم نحو المجهولو ركونهم لها صار كمن ركن إلى جرف هار فانهار بهم في لجة المعاناة والضيم يلفحان و يكتسحان تفكيرهم ، و في هذا الصدد نستحضر تلقائيا كلام من ذهب و درر تنبض فكرا و عطاءا لعبد الرحمن الحاج صالح ، الذي كان يقول «... أما بالنسبة إلى البحث التطبيقي و بالأخص البحث المتعلق باللغة العربية و مشاكل تكييفها استعمالها و زيادة مردودها فإن بعض من حظي بهذا الاتصال نزعوا اليوم نزعتين متطرفتين : نزعة تعتقد أن كل مفهوم تعبر عنه اللغة الأجنبية (من اللواتي يتقنها مزدوجو اللغة) فهو صالح « للاستهلاك » و لا بد له أن يبحث له عن مقابل عربي. فهي بذلك مقتنعة أن جميع المفاهيم التي تأتينا من الخارج تستحق أن تتبوأ مقامها في النشاط الفكري العربي بدعوى أنها صادرة عن أمم راقية تقدمت علينا تقدما ملموسا»[2]، هكذا بدت إشكالات تمثيل اللغة العربية في البحوث التطبيقية من خلال نزعة (مزدوجو اللغة) التي ترى أن كل مفهوم تعبر عنه باللغة الأجنبية هو متاح للاستهلاك و لا بد من إيجاد ترجمات عربية من عمق التراث و التمسك بها و لو مع عيوبها – أحسن من أخذ المفاهيم الفرعية على عواهنها وتبنيها

1 عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، مرجع سابق، ص. 7.

2 عبد الرحمن الحاج صالح، البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي، الثقافة مجلة تصدرها وزارة الثقافة والإعلام بالجزائر، س.5، ع.26، أفريل- ماي 1975م، ص.16.

على أنها الأصل وهي « ليست سوى تلخيص شائه لكتاب أو كتابين أو ثلاثة على الأكثر من الكتب المعروفة لقارئ اللغات الأجنبية »[1]، المستفاد من القول أن نزعة مزدوجو اللغة ليست سوى تلخيص غير مركز لا يتعدى ثلاثة كتب من الكتب المعروفة لدى قراء اللغات الأجنبية ، و هكذا يزيد تخوفنا من كل ما نستورده من الغرب من جهة ، ومن جهة أخرى السعي إلى تشويه هذا المستورد دونما إدراك للجانب الإيجابي له المسهم في إبراز السمات المميزة لتراثنا العربي ، و لا نكاد ندرك حقيقة نزعة مزدوجو اللغة ، حتى يطالعنا الحاج صالح بحقيقة نزعة أخرى تؤمن بما يسمى « بالإيجابية » فغالت فيها حتى صارت لا تعترف بأي بحث تحليلي غير الوصف المجرد للواقع و ترفض كل افتراض يتجاوز هذا الوصف، بل قد تعتقد أن كل بحث يرمي إلى تغيير هذا الواقع فهو عمل غير علمي إنما هو محاولة انتفاعية لا علاقة لها بالعلم»[2]، غدت النزعة الثانية في مضمونها إيجابية أكثر من النزعة الأولى وهذا ما يبدو لأول وهلة ، لكن سرعان ما تبهت تلك الإيجابية، لتظهر عديد الافتراضات ، كافتراض اللهث خلف علمنة النصوص النقدية و إزاحة كل بحث يرمي إلى تغيير الواقع ، و اعتباره محاولات انتفاعية يغيب عنها شرط من شروط العلمية التي تمثلها مقاربة ما التي قد تضفي على النصوص طابع السلبية ، فتحاصر تفكيرنا و تجعل اختيارنا لمنهج الدراسة لا يتلاءم مع جملة الإبداعات الممثلة لمجال ثقافي معين ، لكن رغم هذا كله ينحاز كثير من الباحثين إلى النموذج الغربي بحذافيره انحيازا مبالغا فيه ، يسطره

1 رامان سلدان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، مرجع سابق، ص.09.

2 عبد الرحمن الحاج صالح، البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي، مرجع سابق، ص. 16.

الخوف من اتهام النص، أو عدم ملائمته للنموذج المعطى سابقا، من هنا « وراء كل واحد من أنبيائنا الجدد يرتسم ملك وحي يوحي إليه أجوبته و نداءاته : لوثر وراء محمد عبده و مونتسكيو و راء لطفي السيد و سبنسر وراء سلامة موسى »[1]، هكذا كان من المنطقي أن ترتسم صور أجوبة و نداءات نقاد ومفكري الغرب في طريقة تفكير نقادنا و كتابنا فقد تعاطوا مع المنجزات الغربية بحيث كانت دلالاتها غير متوافقة مع أفكارهم، لتبقى محاولاتهم في إيجاد مقاربات توازي مقارباتهم مقتصرة فقط على بعض النقاشات التي لم ترتق إلى مستوى الممارسات النقدية الجادة، و بذلك أعلنوا عن عودتهم إلى البحث في المنجز الغربي و توصلوا إلى أنه لابد من الانفتاح بالبحث و الدراسة و اكتساب آليات وأدوات جديدة كمحاولة لإثبات أنفسهم من أجل التأسيس لمنطلقات نقدية سليمة، لـ « يظل الحداثي العربي عندهم و عند قرائهم غير مفهوم أيضا، لأنه يحطم قيودا لا يشعرون بها، و يهاجم محرمات لم تعد عندهم بمحرمات، يتمرد الحداثيون الغربيون على حضارتهم لأنها حين سهلت كل وسائل الحياة، جردت الحياة نفسها من كل معنى، و إذا قدست حرية الفرد و تركته يعيش منعزلا في صحراء المدينة، أما الحداثي العربي فلا يعي أسباب هذا التمرد، و لا يقدر أن أساليب الحداثيين في الكتابة و الفن يمكن أن تكون ناشئة عن تلك الأسباب »[2]، لتبدو جملة من الأفكار تؤكد أن بعض المثقفين العرب لم يتمكنوا بعد

1 الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية (مجموعة مقالات- الآخر في الثقافة العربية)، بيروت– لبنان، ط. 1، 1991 ، ص.196.

2 شكري محمد عياد، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، سلسلة عالم المعرفة ، ع.177، سبتمبر 1993، ص.16.

من الوقوف أمام المنجز الغربي الذي صهر تفكيرهم ، و الأحسن أن تنطلق الممارسات النقدية من البيئة الأم، حتى و إن طال بها الوقت في مسعى الوصول إلى الأهداف المنشودة، لكي يتحدد هذا المفهوم في جانب آخر، إذ أنه لا بد من القول بأن تلك الصعوبات لم تكتنف الواقع العربي فقط و نقاده ، بل كان للناقد الأوروبي نصيب منها، حتى إن كثير منهم ممن يعدون المنظرين الأوائل و المروجين **لنظريات البنوية أو ما بعد البنوية** استعصى عليهم إدراكها، و الوصول إلى أفاق رحبة يصبو النقد للوصول إليها و تدفع به إلى تجديد مناهجه و رؤاه ، و يتحدد هذا المعطى ضمن دائرة اختلاف بين اللغات الأوروبية و المخطط الآتي يوضح هذا الاختلاف: فمثلا في السيميائية نجد معضلة الازدواجية في المصطلح ، فـ « لم يزل السيميائيون الغربيون يلهثون وراء محاولة تحديد الفرق بين مفهومين يبدوان مختلفين من الناحية اللفظية وهما« السيمولوجيا» (sémiologie، sémiology) من وجهة ، و« السيميوتيكا » (sémiotique، semiotics) من وجهة أخرى »[1]، هذا يفضي إلى مجموعة من الطروحات التي تتجسد في شكل افتراضات: اضطراب الأصل الغربي أحال إلى اضطراب معقد في النقل العربي، و إذا سلمنا بوجود فرق كبير بين مركبي المجموعة الأولى (sémiologie، sémiology) و مركبي المجموعة الثانية (sémiotique، semiotics)، و كان كل مركب يختص بتحديد حقل معرفي معين يصعب عليه التداخل مع فرع آخر، فلماذا غابت الصرامة و الدقة العلميتين، و إن ما يلاحظ هو أن كثير من المركبات تتفق معا في السابقة، حيث أن كلا منهما يبتدئ بسابقة ،

1. عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، مرجع سابق ، ص.160.

ثم يفترقان في أن أحدهما ينتهي بلاحقة مخالفة للاحقة المركب الأول، فالمركبين الأولين (**sémiologie**، **sémiology**) يتفقان في السابقة **(sémio)** ويختلفان في اللاحقة **(logy،logie)** ، و كذلك الحال بالنسبة للمركبين الثانيين الذي يكمن اختلافهما في **(tics،tique)** ، و هذا الرأي نجده عند مولاي علي بوخاتم « و هي مصطلحات تختلف اختلافا بينا، حيث يصل الأمر بين مستعمليها إلى حد التضارب و التقارب، و هي جميعا متعددة المعاني. و قد تعدى أمر ترجمة هذه المصطلحات إلى ترجمة السوابق و اللواحق، فأشار النقاد إلى مصطلحات من قبيل: النحولوجيا ترجمة للفظ Gramotologie و السردولوجيا Naratolgie و هناك ترجمات كثيرة للسوابق و اللواحق الملتصقة بالمصطلحات أي Les Prefixes et suffixes فقال بعضهم بالسوابق و الذيول و آخر التتويج و التذييل وآخر الصدر واللواحق ثم الزيادات و الأحشاء ثم البدء و الإلحاق ثم الصدر و الكاسعة، فاللاصق القبلي و اللاصق البعدي و ازداد اللبس في مثل هذه المصطلحات الحاوية على السوابق و اللواحق من مثل: Gramotologie, Métalinguistique،Commucicnation أو Métalolanguage »[1]، و مادامت تجربة الثقافة الغربية مغلقة وجوبا، و تجربة الفكر العربي ممتنعة ، مفتوحة على صعوبة تساور سبيل إيجاد مصطلحات مناسبة لكثير من المفاهيم ، فـ « إن جماع ما يأتلف من الثوابت المعرفية ، و المقاييس اللغوية ، و الوسائل النوعية ، هي قاعدة الأساس التي تحصن القصد

1 مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيميائي - الإشكالية والأصول والامتداد ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق – سوريا ، 2005، ص.81.

المنهجي والمعرفي الذي يرمي إليه مستعمل المصطلح من الزيغ ، فتكفل له الرؤية العلمية الواضحة و السند القوي كما تؤمن له الخبرة العلمية التي تزيده بصيرة بأدوات عمله »[1]، ذلك أن تأسيس المصطلح النقدي يقوم على مرتكزين : الأول: أن يتلاءم مع المستجدات الفكرية الحالية أي؛ كل ما يأتي مستوردا غربيا، أما الثاني: فيتمثل في تمكنه من الاحتفاظ بطاقة عالية تجسد له هويته الفعلية، و أن القاعدة الأساس في تأصيل المصطلحات تتمثل في الثوابت المعرفية و المقاييس اللغوية التي تحقق الفعل المنهجي والمعرفي الذي يفضي إلى استعمالات مسيسة للمصطلحات مهما كانت هويتها (نقدية أم لسانية أم لغوية و غيرها) ، تتجسد الرؤية العلمية الواضحة في اكتساب المصطلح وجوده الفعلي ، أما بالنسبة للناقد فيكتسب السند القوي الذي يفضي به إلى اكتساب خبرة علمية إضافية تجعل لديه بصيرة و تيقن بآليات عمله و اشتغاله سواء في مجال دراسته أو في مجالات أخرى ملازمة لمجاله، وكذا في تعاطيه مع كل المستجدات الفكرية من خلال آليات صاغوا على منوالها هذا الوافد من الثقافات الأخرى ، لتكون تمثلاتها وفق الرؤى الآتية:

- **استغلال التراث:** تعتبر مسألة التراث واحدة من أهم المواضيع التي أضحت تثير حساسية في الفكر، و دليل ذلك يتضح في عمليات إحصاء جل الأعمال و الأطروحات و الدراسات التي تناولت هذا الموضوع بالطرح ، إذ نجد أنها لم تمنح هذا الموضوع الفضاء الكافي و اللازم من المعالجة و الاستلهام ، فكان الاعتقاد السائد ممثلا في أن الرجوع إلى التراث في – حد ذاته– معضلة تحاصر الإنسان العربي ، و هذا الأمر الذي يفنده

1 عبد السلام المسدي، المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم للنشر والتوزيع، د.ط، 1994،ص.ص.10، 11.

عبد العزيز حمودة كمحاولة منه للخروج من عتبة التشظي و التيه « ... لكن عودتي إلى تراث البلاغة العربية في عصرها الذهبي لم يكن سهلا لأسباب مختلفة ، كان السؤال الذي ألح علي كثيرا هو: ماذا أستطيع أن أضيف إلى الدراسات المتميزة للتراث التي قام بها جيل من النقاد الكبار مثل عز الدين إسماعيل و شكري عياد و محمد عابد الجابري و جابر عصفور و آخرين غيرهم، لكنني كنت أشعر طوال الوقت بأن الإجابة موجودة في التراث البلاغي العربي ، و أن البديل هناك ولابد من العثور عليه »[1] ، إن التكلم عن مدى نجاح استغلال التراث من عدمه هو حديث سابق لأوانه ، إذ كيف نفسر وجود نظرات تجزيئية تدعو إلى القطيعة نهائيا مع التراث، لتصبح هذه القضية إشكالية حقيقية يصعب الإلمام بها، الأمر الذي أدى بكثير من المفكرين إلى ضبط معايير منهجية تكون غايتها الإمساك بالآليات المسيسة للتراث ، و هكذا مع تزايد التشعب المعرفي اضطر كثير من النقاد إلى اقتراح وسيلة لاستغلال التراث لاستيعاب الزخم و الكم الهائل من المفاهيم المنتقلة إلى الفكر العربي ، و اصطلحوا عليها تسمية الإحياء الذي يعني – في مجمله – إعادة البعث ، إذ أن التراث لم ينس يوما، فهو ليس ميت لإعادة إحيائه، و عن هذا الأمر يتحدث صاحب « صاحب نقد العربي» الجابري ، و الذي يرى أن الحداثة « لا تعني رفض التراث و لا القطيعة مع الماضي بقدر ما تعني الارتفاع بطريقة التعامل مع التراث إلى مستوى ما نسميه المعاصرة »[2]، و هكذا يرى الجابري أن المفاهيم

1 عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة- نحو نظرية عربية ثانية، مرجع سابق، ص.10.
2 محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، ط.1، 1991، ص.ص.15، 16.

المتنقلة من بيئتها الأصلية إلى البيئة المستقبلة يمكن أن تصير واضحة ، سلسة الرؤية ، بالرغم من الغربة التي تسيطر على هويتها ، إلا أن « ربطها بما قد يكون لها من أشباه و نظائر في تراثنا »[1]، لكي يزول عنها الإبهام و الغموض، لكن مع ذلك كثير من النقاد أعابوا على هذه الآلية قدرتها على أقلمة واقعين مختلفين ، نظرا لما فيها من خطورة على المصطلح التراثي ، و حججهم في ذلك أن المصطلح الحداثي « لم يعد ذلك المصطلح النقدي الذي يمكن لأي ثقافة أن تحتضنه و تجعله قابلا للتفاعل مع إنتاجها... فهو أي المصطلح الحداثي ينحدر من أصول فلسفية شحنت دلالته، و جعلته يعبر عن فكرها»[2] ، كما نجد كثير من الباحثين و المفكرين يقفون في وضع بيني، فحسن حنفي مثلا يسلم بأهمية هذه الآلية «... و التجديد هو إعادة تفسير التراث طبقا لحاجات المعاصرة ، و الوسيلة تؤدي إلى الغاية ، و التراث هو الوسيلة ، و التجديد هو الغاية و هي المساهمة في تطوير الواقع، وحل مشكلاته، و القضاء على أسباب معوقاته، و فتح مغاليقه التي تمنع أي محاولة لتطويره» [3]، يشدد حنفي على ضرورة استعمال هذه الوسيلة (استغلال التراث) لكن بحذر و هذا كله من أجل الوصول إلى معالجات تنتفي فيها ومضات المصادرة على المطلوب.

1 عبد السلام بنعبد العالي، سياسة التراث، دراسات في أعمال محمد عابد الجابري، دار توبقال، المغرب، 2011، ص.48.

2 عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة، حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2005، ص.ص.296، 297.

3 حسن حنفي، التراث والتجديد-موقفنا من التراث القديم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط.4، 1992، ص.13.

– **الاشتقاق:** يمثل الاشتقاق آلية مهمة من آليات الصياغة المصطلحية، فهو لا يقل أهمية عن الآلية الأولى (استغلال التراث)، فيعد مكملا لها، و يعرفه أنيس إبراهيم ، على أنه « استخراج لفظ عن آخر متفق معه في المعنى والحروف الأصلية»[1]، و هكذا يعد الاشتقاق آلية فكرية و معرفية ، يعبر بها عن اللفظ و المعنى معا، وهذا هو الشيء الذي يميزها عن باقي آليات صياغة المصطلح النقدي، فنجد المفكرين و الباحثين يوسعون من استخدامه، و بما أنهم بنوا نظرتهم إلى الاشتقاق على تناسب اللفظ و المعنى ، على الرغم من الانتقادات التي وجهت لهم في تبنيهم استعمال هذه الآلية « و ما قلناه آنفا من أن الاشتقاق هو من وسائل نمو اللغة ، و توالد موادها، و تكاثر كلماتها»[2]، إذن الاشتقاق في هذا الصدد نظاما تكاثريا للغة العربية ، و لولاه لما استطاعت أن تحتوي كل هذه المواد الاصطلاحية التي تمثل مستجدات طارئة في تاريخ المعارف الإنسانية .

–**التعريب:** و هو الآلية التي تعنى بالتعبير عن نقل الألفاظ المستوردة من ثقافات أخرى، إذ يعرفه السيوطي بأنه « ما استعمله العرب من الألفاظ الموضوعة لمعان في غير لغتها»[3]، لقد تم استخدام هذه الوسيلة للتعبير عن مفاهيم ترتبط بالثقافة الأجنبية من خلال جعلها متوافقة في دلالاتها ومعانيها مع الثقافة العربية ؛ أي معربة و من بين هذه المصطلحات نذكر منها: **الكلاسيكية Classique و الرومانسية Romantique**، و لقيت هذه

1 إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط.6، 1987، ص.62.

2 عبد القادر بن مصطفى المغربي، كتاب الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، مصر، د.ط، 1908، ص.14.

3 عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، وأنواعها، تح: مجموعة من الباحثين، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط.3، 2008، ص.268.

الآلية رفضا من النقاد أكثر من غيرها من الآليات ، وعن هذا الرفض يحدثنا يوسف وغليسي ، بأنها تحولت إلى مجرد موضة لغوية غير محققة للتجديد و التطور، لذلك وجب تفادي استعمال التعريب – بشكل مكثف – لأن « فتح الباب أمامه يعني إشاعة الدخيل و القضاء على فاعلية اللغة العربية، و لم ينزع العرب إلى التعريب إلا مكرهين» [1]، هكذا اعتبر التعريب مسحة نقدية أجنبية ، و العرب لم ينزعوا إليها إلا مكرهين ، و لم يكونوا بحاجة إلى وثيقة إثبات في نزوعهم لها في ظل المستجدات الفكرية التي تعرفها الساحة النقدية .

– **النحت:** يعد النحت آلية من آليات صياغة المصطلح، كونه يمثل أداة مهمة استعان بها النقاد لأجل التعامل مع المصطلحات الدخيلة، و قد عرفوه بأنه « استخراج كلمة واحدة من كلمتين أو أكثر »[2]، ما يستفاد من المقولة أن النحت من هذا المنظور يتجسد وفق عدة رؤى : أ– اتجاه يرفض النحت و لا يهتم به (و هذا توجه القدماء)

ب– اتجاه يعنى به عناية فائقة، و يعده من وسائل ثراء للغة و وضع المصطلحات العلمية و الألفاظ.

ج– اتجاه توسع فيه و ذكر مصطلحات لا تقبلها أبنية اللغة العربية و لا الذوق، و كان التعبير عن المصطلح بأكثر من كلمة خيرا من النحت الذي يصعب نطقه و يغمض معناه،

1 يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف ، بيروت ، ط.1، 2008 ، ص.89.

2 إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، مرجع سابق، ص .86.

و هكذا فإن الاتجاه الثالث يوسع من استخدام النحت، الذي قد يخرج عن حدود أبنية اللغة العربية ، فإذا كان النحت نظام لتنمية هذه اللغة و إثرائها ، و هذا أمر مشروط ، لكن صعوبة النطق و إغماض المعاني المتولدة عن الاستعمال المبالغ فيه لهذه الآلية، ثم التوسع الذي يدعو إليه –بعض النقاد– فكيف يتحقق الثراء و التنمية اللغوية و النقدية.

- **الترجمة:** تشكل الترجمة وسيطا مهما يتم بفضلها انتقال المعارف و الأفكار و المفاهيم المعرفية بين الأمم و الثقافات، و هكذا بالرغم من عراقة هذه الوسيلة و كفاءتها في تأدية دورها المناط بها، إلا أن بعض النقاد وجدوا أنفسهم أمام صعوبة بالغة في ترجمة المصطلحات الدخيلة ، لتتجلى في أن هذه المصطلحات ترتبط بنتاج فلسفي غربي يختلف – بصورة كلية – عن النتاج الفكري العربي، إضافة إلى « أن مثل هذه المصطلحات التي لقيت رواجا في الفكر الغربي كثيرة و دروبها متعددة و متشعبة. ذلك إن الناقد العربي أصبح اليوم يزج بالمصطلحات زجا من دون توضيح و تأويل، سواء أكان على دراية باللغة الأم التي أنجبت المصطلح أم كان مرغوما عن طريق الاضطرار للاشتغال بمصطلح دون آخر و الولوج من بوابة التأويل و ليس من بوابة التفسير فيخرج إلينا و هو يحمل تأويلات و قراءات معينة وليس مصطلحات»[1]، إن مشكلة ترجمة المصطلح كانت و لا تزال تشكل هاجسا لدى المتلقي العربي ، فلم تعد المسألة نقلا لمفهوم من بيئة إلى أخرى، بل تتعدت الحد المطلوب، إذ لم يعد بإمكاننا أن ننكر دور

1 مولاي علي بوخاتم ، مصطلحات النقد العربي السيمائي الإشكالية والأصول والامتداد ، مرجع سابق، ص.82.

الشحنات الثقافية في صياغة المصطلح، فهي تعبئ بجملة من الأنساق، الذي تجعل مضمونه الجديد مخالفا لدلالاته الأصلية، و هنا يصعب ترجتمه، فبدلا من أن يكون تعبيرا سليما عن اللغة المنقول لها(اللغة الهدف) ، يصبح غامضا و إيهاميا فيجعل المتلقي مضطربا، فقد قيل « إن الترجمة خيانة و من ثم ، تستوجب الترجمة أن يكون المترجم عارفا بنحو لغة النص المصدر ، و منفتحا على سياقها الثقافي، و ملما بأنساقها السوسيو اجتماعية ، و التاريخية ، و الاقتصادية ، و الدينية والحضارية ، و بالتالي بمجمل نظريات الترجمة و تصوراتها الإجرائية ، عارفا بتقنياتها و آلياتها التطبيقية المختلفة»[1]، لذلك وجب على المترجم امتلاك أدوات و وسائل تؤهله للترجمة السليمة للمصطلح دون غموض يلفها عن وصولها للمتلقي الذي هو بدوره يتفاعل معها دون أن تكون وظيفتها إيهامية تشتت تركيزه فتجعله غارقا في تأويلها على عدة أوجه، و هو ما يحدث عندما لا يمتلك المترجم المستلزمات الكافية في عملية الترجمة التي تصبح عديمة الفائدة في التعبير عن المفاهيم الفكرية ، ليستشف من فعل « المترجمين حين يترجمون مثل هذه المصطلحات كثيرا ما يتساهلون في الأمر فيتسرعوا في تدبير المصطلح العربي فيخرج مرقعا »[2]، و في كل ذلك، فإن الفعل يكمن في التنقيب عن الأصول الفلسفية والخلفية الثقافية للمصطلح و البحث يصير أشبه بذاك الذي مارسه النقاد ما بعد

1 جميل حمداوي، سيميوطيقا الترجمة، مكتبة المثقف، المغرب، ط.1، 2016، ص.06.

2 عبد المالك مرتاض: مائة قضية... وقضية ، مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوعة ، دار هومة، الجزائر، د.ط، د.ت، ص.364.

الحداثيون في المنظومة الميتافيزيقية الغربية ، و من بينهم جاك ديريدا في نقده لمركزية الفكر الغربي ، من خلال البحث في أصولها و تقويضها، فيما يعرف بالحفريات التي « تبدأ دائما من موقع الهامش، أو ما يعتبر كذلك – لا لتعيده عبر التحليل – إلى المركز و إنما لتجعل منه موقعا ممكنا للكتابة و فضاء فعليا للنص »[1]، إن نقل المفهوم من فضاء إلى آخر مختلف عنه دون الإحاطة بأي فكرة عن هذا الوافد الجديد، ستفضي حتما إلى افتقاده للميزات التي اكتسبها في بيئته الأم، في مقابل ذلك سيكتسب مفهوما مخالفا للمفهوم الأصل، « و لا يضير مثل هذا الكلام مجهودات بعض النقاد الحداثيين الذين خصوا المصطلح بكتابات أوسع من مثل: أحمد مطلوب و عبد السلام المسدي، و سواهما من الباحثين المعاصرين، لأننا على يقين تام من أن ظاهرة المصطلح طارئة تفنى و تموت. و لا تفنى ظاهرة الكشف والإبداع لدى نقادنا المعاصرين »[2]، دون نقله بشوائبه الفلسفية الذي قد يؤدي إلى الفوضى ، ذلك إن « القيم المعرفية القادمة مع المصطلح تختلف بل تتعارض أحيانا ، مع القيم المعرفية التي طورها الفكر العربي المختلف»[3]، كل هذه الأسباب أفضت إلى خلق غموض في المصطلح النقدي الحداثي ، مما كان له أثر على الفكر العربي ، فنتجت أزمة مصطلحية حاولت **تيارات ما بعد البنوية** سد بعض فجواتها، و هذا ما سيتم تناوله في العنصر اللاحق .

1 جاك ديريدا، مواقع، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب،ط.1، 1992،ص.06.

2 مولاي علي بوخاتم ، مصطلحات النقد العربي السيميائي الإشكالية والأصول والامتداد ، مرجع سابق، ص.82.

3 عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة- من البنوية إلى التفكيك، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، 1998، ص.55.

2-2- المبحث الثاني : تيارات ما بعد البنوية :

إن المقاربة التداولية لم تكن وليدة الصدفة ، فلقد سبق لظهورها عدة تأصيلات عرفت بتيارات ما بعد البنوية أفضت إلى وجودها ، و لقد غلب على كثير من الباحثين فكرة أن **التيار ما بعد البنوي** بتوجهاته المختلفة قد أسهم إيجابيا في بلورة **المشروع التداولي** ، من هنا نتساءل : ما القراءة النقدية التي يمكن اعتمادها في دراسة التيار ما بعد البنوي ؟ و إلى أي مدى أسهم في بلورة المشروع التداولي ؟

2-2-1- التفكيكية : إن البداية ستكون مع مفهوم **التفكيكية déconstruction** إذ جاء في **كتاب التفكيكية – النظرية والممارسة –** القول الآتي « أبعدت بوصفها لعبة أكاديمية لا حول لها ولا قوة ، أو رفضت بوصفها سلاحا من أسلحة الإرهاب »[1] ، ويضاف إلى ذلك ما قدمه جاك دريدا من تصورات حول التفكيكية فلقد جرح الغرب في مركزيته، و هذا الكلام هو « جوهر و محتوى إدانته لفلسفة الحضور، ثم أنه محصل ثانيا من (عدم هيدجر)، من حضور (ظاهريات هوسرل)، من (إرجاء بيرس) السيمولوجي، (و اختلاف علامات سوسير)، (مفهوم لعب نيتشه) ، (تعاليم هيجل في السلب و الإيجاب و الأثر)، قبالة اليهود و تيههم و لاهوتهم السلبي، جواهر أرسطو المفارقة، استعارات أنكسمندريس و لا صفات مبدئه الأول ، لا وعي فريد، تفريق لا كان بين الذات والأنا، هوية لا متمايزات لاينتز، صفات جوهر سبينوزا، أشياء كانت في ذاتها إرادة شوبنهاور، مفهوم المعنى لدى

1 كريستوفر نوريس، التفكيكية – النظرية والممارسة، تر: صبري محمد حسن، دار المريخ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، د. ط، 1989، ص.15.

آير، لعبة فنتشتاين اللغوية ...إلخ »[1]، من هنا يظهر انتقاد جاك ديريدا لبعض للمسلمات ، التي يمكن أن يقتصر ذكرها على النحو الآتي: -اختلاف علامات دي سوسير: يظهر انتقاد ديريدا لعلامات دي سوسير و اختلافها فهو« لا بمثالي و لا بمادي فهو لا يفصل – كما يفعل سوسير بين الدال و المدلول، لأن في رأيه ، ليس إلا دالا في علاقة مع دوالي آخر » [2]، يتجلى منطق ديريدا في تجاوز اختلاف علامات دي سوسير، و التجاوز هنا لا يعنى الانقطاع الكلي عنها ، و إنما دعوة ديريدية لتجاوز مسألة الفصل بين الدال و المدلول و جعلهم في علاقة تكاملية لا تشتتية.

-لعب نيتشه ، عدم هيدجر، لا وعي فرويد : يصور لنا جاك ديريدا لعب فريديريك نيتشه ، و عدم مارتن هايدجر و لا وعي سيجموند فرويد ، من خلال مسألة الكتابة و الموت في التفكيك إذ يقول « ... كان المأخوذ بالموت، فكان انكبابه على كل ما يصله به، و هو يعمل على الخط المعاكس ، يمعن نظره في كل الذين انشغلوا بموضوعة الموت، و نيتشه كان يكتب ضد الموت و هو يعيشه في كل لحظة، و فرويد لا يجارى هنا، و هو ينقب في الجسد ، و يؤول تاريخا كاملا على طريقته، و هيدجر أقضت مضجعه فكرة الموت، و ديريدا أراد أن يلم بموت هؤلاء و يحفر في أجسادهم الموسومة بآثار الموت، لتكون الكتابة عزفا آخر على ما هو ميتافيزيقي (...) الكتابة جبهة مفعلة ضد الموت ، لكن الفارس المقنع

1 عادل عبد الله، التفكيكية، إرادة الاختلاف وسلطة العقل، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة ، دمشق، سورية، ط.1، 2000، ص.22.

2 أحمد عبد الحليم عطية ، جاك ديريدا-استراتيجية القراءة ونقد التمركز الغربي، أوراق فلسفية – مجلة علمية محكمة ، منتدى سور الأزبكية ، الجيزة ، مصر، ع.13 ، 2005، ص.25.

منفتح على موته أولا »[1]، هكذا اتخذ جاك ديريدا من الكتابة وسيلة فعالة لمجابهة تناقضات لعب نيتشه و عدم هيدجر و لا وعي فرويد، فحسبه مات فارس نيتشه المقنع لحظة الكتابة فقد كان يعيشها في كل لحظة، أما فرويد فقد اختزل تاريخا كاملا جسد لا حياة فيه، فلو وجدت فيه الحياة لما اختزل تاريخه، لكن بالنسبة لهايدجر يعترف ديريدا بفضله « إن ديني لهايدغر هو من الكبر، بحيث أنه سيصعب أن نقوم هنا بجرده، و التحدث عنه بمفردات تقييمية أو كمية ، (...) إنه هو من قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا، و علمنا أن نسلك معها سلوكا استراتيجيا يقوم على التموضع داخل الظاهرة ، و توجيه ضربات متوالية لها من الداخل »[2]، يعتبر ديريدا هيدجر أول من قرع نواقيس نهاية الميتافيزيقا و تكهنها الخاص بما وراء الطبيعية، دائما على مفاهيم مثل الهوية و العقل و الجسد، و يشير إلى أنه يعلمنا كيفية التعامل مع الظاهرة و التموضع داخلها و توجيه ضربات لها من الداخل، لتظهر صورة أخرى مناقضة للصورة الأولى ، لـ « هذا ما كنت أقوم به في الواقع منذ البداية. ففي جوانب كثيرة من عمله. وجدته ما يزال حبيس الرؤية الميتافيزيقية . هناك لديه أولا استمرار لتمركز اللوغوس أو العقل، يقدم في أحد نصوصه، مثلا، مديحا للعقل يقيمه على أساس إنشاء في (الرأس) و (اليد) – البشريين بالطبع. إن الإنسان المفكر، الإنسان العاقل، هو بالنسبة له عاقل أو مفكر لكونه يمتلك يدا يستخدمها بصورة تعجز عنها جميع المخلوقات الحية الأخرى. يد يستخدمها للإشارة و للتحية، و لكنه يستخدمها بخاصة، ليعطي و ليمنح

1 جاك ديريدا، المهماز (أساليب نيتشه)، تر: عزيز توما، إبراهيم محمود ، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سورية، ط.1، 2010، ص.ص. 19، 20.

2 جاك ديريدا، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،ط.2، 2000، ص.47.

الفكر الإنساني هو إذن فكر بما هو فكر عطاء »[1]، تتمركز رؤية هايدغر حول فكرة الإنسان المفكر، العاقل بثقافته الميتافيزيقية التي تنشد استمرار تمركز النطق و العقل ، اللذان يتيحان له يدا يستخدمها بصورة تلقائية تختلف عن ممارسات المخلوقات الأخرى، يدا تمنح فكرا ذو عطاء لا نظير له ، أما معارضته لتعاليم هيجل في السلب و الإيجاب و الأثر يمكن وصفها بـ : « ... من هنا فإن هيغل هو غريم دريدا و خصيمه المعلن ، و أن عقلانية الأول بوصفها رمزا للكمال الميتافيزيقي، هي القلعة التي ينبغي اقتحامها و تهديم صرحها سبيلا، (لقتل السلطان و إنزال الأفكار الإطلاقية من عليائها »[2]، يعتبر ديريدا ميتافيزيقية جورج فيلهلم فريدريش هيغل بالقلعة التي يجب اقتحامها و هدم أركانها و إنزال تقاليدها الصرامة ، و يعبر عنها بالأفكار التي يعتقدها وتجسد فكره إزاء الفكر التفكيكي في علاقته بالكمال الميتافيزيقي ، ليكون التعبير كالآتي :

« Die absolute Idee allein ist Sein ، univergängliches Leben ، sich Wissende Wahrheit ، und ist alle Wahrheit »[3]،

و هكذا يظهر في علم المنطق على، أنه الحقيقة بلا زيادة : (...) وحدها الفكرة المطلقة في الكون L'Etre، حياة لا تزول، حقيقة واعية لذاتها و كل الحقيقة ، يشدد هيغل على أن المنطق هو حقيقة مطلقة في الكون ، مثله مثل هايدغر فهما يناديان بميتافيزيقا الكون ، و بأنها حياة لا تزول ،

1 جاك ديريدا ، الكتابة و الإختلاف ، تر : كاظم جهاد، مرجع سابق ، ص. 48.

2 عادل عبد الله، التفكيكية، إرادة الاختلاف وسلطة العقل، مرجع سابق، ص.11.

3 بيير. ق. زيما، التفكيكية – دراسة نقدية، تع: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الحمراء، بيروت، ط.1، 1996 ، ص.17.

الأمر الذي يرفضه جاك ديريدا ، من هنا يمكن أن القول أن فلسفته تقوم في أصولها على نقد عدمية هيدجر و ظواهرية هوسرل و سيميولوجية بيرس و علامات سوسير و لعب نيتشه و تعاليم هيجل و تيه اليهود و مكنونات أرسطو الذهبية ، و تمايزات أخرى تفضي إلى الانحياز لذاتية الذات على حساب ذاتية الجماعة ، و تحيل على التعدد و التشتت، لذلك « من هنا كان من الصعب تماما أن نفهم أفكار أحد مؤسسي هذه المدرسة أو الفلسفة أو المنظور مثل جاك ديريدا Jacques, Derrida ، و كذلك ؛ الآخرين من النقاد الذين يكتبون انطلاقا من هذا المنظور »[1] ، إن ما قدمه ديريدا من نقد للمركزية الغربية يعد بمثابة نقلة نوعية حاسمة نحو تحليل العلاقة بين مختلف الممارسات الفكرية ، لكن بالرغم منها إلا أننا بدأنا نلتمس تأثيرها المباشر من خلال عسر مفاهيمها و صعوبة تقبلها ، ذلك أن « كل قراءة إساءة أو خطأ قراءة و موت المؤلف، أنها لا تعدو أن تكون صياغة شديدة الميلودرامية لمفهوم نقدي عادي و مطروق ، و أنه لا يمكن اعتبار أي رأي حول نص أدبي ما هو القول الفصل حول ذلك النص »[2]، ولعل أسباب عدم تقبلها يحصر في سببين : الأول ما تعلق بمسألة تعدد القراءات من منطق أن كل قراءة ثانية هي إساءة أو خطأ للقراءة الأولى و كذا في فكرة موت المؤلف، لتأتي **التفكيكية** في مقدمة **تيارات ما بعد البنوية** ، لكن هناك من النقاد من يعتبرها بنيوية و ما بعد بنيوية في آن واحد، ذلك أنها « تتبني فلسفة التفكيكية على نقد جميع الثوابت البنوية التي انبنت عليها البنوية ، كاللغة، و الصوت، و الدال، و غير ذلك

1 أيزابرجر آرثر ،النقد الثقافي، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى ، المجلس الأعلى للثقافة،الجزيرة، القاهرة، ع. 603، ط.1، 2003، ص. 60.

2 عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة – من البنوية إلى التفكيك- مرجع السابق،ص.ص. 258، 259، (بتصرف).

من المفاهيم و المقولات العقلية و الثنائيات البنيوية. و من ثم فالتفكيكية بنيوية و غير بنيوية في الوقت نفسه»[1] ، إن التفكيكية بهذا المعطى ضرورة نقدية للحركة البنوية فهي بنوية و في الوقت نفسه تيار غير بنيوي يعتمد تلك الرؤى البنوية المقنعة لفك رواسب البنيات اللوغوسية (التمركز المنطقي) و غيرها من النماذج البنوية، هذا ما يؤكد عليه جاك ديريدا بقوله أن « كانت البنوية يومذاك مهيمنة. و كان التفكيك ذاهبا في هذا الاتجاه ما دامت المفردة تعبر عن انتباه معين على البنيات Structures، التي ليست، ببساطة، لا أفكارا و لا أشكالا، و لا تركيبات ، و لا حتى أنساقا . كان التفكيك هو الوجه الآخر حركة بنيوية، أو ، بأية حال، حركة تضطلع بضرورة معينة للإشكالية البنيوية، لكنه أيضا حركة (ضد بنيوية) و هو يدين بجانب من نجاحه لهذا اللبس، كان الأمر يتعلق بحل ، بفك ، بنزع رواسب البنيات، جميع ضروب البنيات (لغوية، تمركزية لوغوسية) و(تمركزية صواتية) »[2]، هكذا عد التفكيك لحظة بنوية و غير بنوية في آن واحد، لكن لو سلمنا بهذه الفكرة ، سنجد أنفسنا أمام معرض اختلافات بين ما هو بنوي و ما هو تفكيكي، فالتفكيك حتى و إن تأكد فشله وعجزه فإنه يبقى مشروعا نقديا ذو سمات تختلف عن باقي سمات المقاربات الأخرى ، و إذا كانت البنوية قد أعلنت عن صرامتها العلمية ، فإن التفكيكية قد أتت لتشكك في تلك الصرامة و تلغي القدسية التي تفرضها على النصوص باختلافها .

1 جميل حمداوي، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، الناظور، المغرب ، د. ط، نوفمبر 2011، ص.44.

2 جاك ديريدا، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، مرجع سابق، ص. 59.

جاء في مؤلف المرايا المحدبة – من البنوية إلى التفكيك الفكرة القائلة بأن « التفكيك شيطان يرقص فوق أشلاء ضحاياه، و كثور هائج انطلق وسط حانوت عاديات يدمر كل شيء بلا قيود » [1]، لقد كان استقبال التفكيكية في النقد العربي باهتا، إذ أن الكثير من النقاد لم يتقبلوا التقويض و الهدم ، و آخرون نادوا بإعادة البناء بعد الهدم ، « فالتقويض على نقصه لا يلتبس بمفهوم رينيه ديكارت و ميكانيكية تفكيكه للمفاهيم، إضافة إلى ذلك، فالتقويض لا يقبل – مثلما يذهب إليه أهل التفكيك – مقولة البناء بعد التفكيك. كما أن مفهوم التقويض يتناسب مع الاستعارة التي يستخدمها ديريدا في وصفه للفكر الماورائي الغربي، إذ يصفه باستمرار بأنه صرح أو معمار يجب تقويضه. و لئن انطوى مفهوم التقويض على انهيار البناء، فإن إعادة البناء تتنافى مع مفهوم ديريدا للتقويض، إذ يرى في محاولة إعادة البناء فكرا غائيا لا يختلف عن الفكر الذي يسعى ديريدا إلى تقويضه »[2]، إن مفهوم التقويض يجب أن يتناسب مع ما جاء به جاك ديريدا في نقده للتمركز الغربي، فهو لا يدعو إلى إعادة البناء بعد الهدم ، الذي يعد فكرا غائيا ، يشبه الفكر الذي يعمد ديريدا إلى تقويض مركزيته، وبالنسبة للغذامي فهو يشدد على إعادة البناء بعد الهدم، يقول في هذا الشأن: « احترت في تعريب هذا المصطلح و لم أر أحدا من العرب تعرض له من قبل (على حد اطلاعي) و فكرت له بكلمات مثل (النقض/ و الفك) و لكن وجدتهما

1 عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة – من البنوية إلى التفكيك- مرجع سابق، ص. 255.

2 ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000 ط.2، ص. ص. 107، 108.

يحملان دلالات سلبية تسيء إلى الفكرة. ثم فكرت باستخدام كلمة (التحليلية) من مصدر (حل) أي نقض و لكنني خشيت أن تلتبس مع (حلل) أي؛ درس بتفصيل. و استقر رأيي أخيرا على كلمة (التشريحية أو تشريح النص). و المقصود بهذا الاتجاه هو تفكيك النص من أجل إعادة بنائه و هذه وسيلة تفتح المجال للإبداع القرائي كي يتفاعل مع النص»[1]، تعد إعادة البناء بعد الهدم وسيلة لتأويلات القراء و تفاعلاتهم مع النصوص المتنوعة ، و بالنسبة للفظة الأجنبية (**la Déconstruction**) نجد لها مقابلات كثيرة في هذا الصدد مثل (الفك والنقض) ، و في كثير من الأحيان تستبدل بأخرى من قبيل التحليلية و التشريحية لكن يخشى عليهما الالتباس، وهناك كثير من النقاد يناصرون توجه إعادة البناء، انطلاقا من « أن التفكيكية تبحث عن اللبنة القلقة غير المستقرة، و تحركها حتى ينهار البنيان من أساسه، و في هذه العملية يتغير مركز النص و تكتسب العناصر المقهورة أهمية جديدة [...] و هكذا يصبح ما هو هامشي مركزيا، و ما هو غير جوهري جوهريا »[2]، و لعل السبب وراء تفضيل البناء بعد الهدم من خلال البحث عن اللبنة القلقة غير المستقرة في و تحريكها حتى ينهار البنيان في النص، فيتغير مركزه و يصبح الموضوع الهامشي مركزيا ، و العناصر غير الأصلية تصبح أصلية لذلك يصح البناء بعد الهدم ، هكذا فالتفكيك ككل بجميع مقابلاته (التقويض و الهدم و الفك و النقض ، الخلخلة) ينهض

1 عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنوية إلى التشريحية، دراسة نقدية لنموذج معاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط.6، 2006، ص. 48.

2 عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة، من البنوية إلى التفكيك، مرجع سابق، ص. 339.

على فك القطع لا من أجل إعادة جمعها و تركيبها أو حتى بنائها ، و إنما لتعطيلها ، و هذا كله من أجل إبراز و توضيح الوهم و التناقض الذي يكتنف بنيتها الأولية، ومن الأمثلة الدالة على ذلك ، فلما نفكك السحر : فنحن نبطل مفعوله، و لا نقوم ببنائه من جديد، و هكذا تكون فكرة البناء بعد الهدم أشبه بالمصادرة على المطلوب .

يتفق كل من محمد مفتاح و سعيد علوش و عبد السلام المسدي و عبد العزيز حمودة و صالح هويدي و عبد الله إبراهيم وسعيد الغانمي على مصطلح التفكيك أو تفكيكية كما جاء في مؤلف مجهول البيان لمحمد مفتاح، لكن الاختلاف يكمن في فهم التسمية من جهة الهدم و الهدم من أجل إعادة البناء ، و تظهر فلسفة هذا التوجه في « إن التفكيك حركة بنيانية و ضد البنيانية في الآن نفسه »[1] ، هكذا كانت استراتيجية التفكيك لدى ديريدا ممثلة في تعطيل الخطاب النقدي و تفكيك أضلاعه من أجل التعرف على تركيبته أو هيكله، كما نفكك البنية التي لا تفسر شيئا في الخطاب النقدي، فهي لا تعتبر مركزا لشيء، و فيما كتبه ديريدا لمجلة (**LE MONDE**) عنوان مقالته المسماة (**qu'est-ce que la déconstruction**) التي جاءت فيها الفكرة الآتية:

[2] «Déconstruction La n'est pas une méthode »، و بذلك فالتفكيكية ليست منهجا و لا

1 عبد الله إبراهيم ، سعيد الغانمي، عواد علي ، معرفة الآخر- مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط.2، 1996، ص.114.

2 Jacques Derrida, *qu'est-ce que la déconstruction* ?, Le Monde, mardi Octobre 2004. Propos recueillis par R.-P. D. (article sur Internet).p.03.

الاستعانة في ترجمة المقال بالأستاذة : فطيمة بن ربيعي.

يمكن تحويله إلى منهج ، فبعض النقاد العرب قد أدركوا التفكيكية إدراكا مناقضا لما تحويه من منطلقات و رؤى نقدية، و هذا ليس من قبيل التقليل من شأنهم أبدا، و لكن ربما انبهارهم المبالغ فيه بكل ما يأتينا غربيا، كما يحكي عن ذلك جابر عصفور ، هكذا نجد القارئ العربي « لم يكتمل أمامه المشهد النقدي المعاصر الخاص بالنظريات الأدبية »[1]، ليبرز له حجم أثر التفكيكية في المشهد النقدي المعاصر لدرجة أنها لم تكتمل أمام ناظريه معطياتها، « فالتفكيك أكثر خصوبة و أكثر متعة إلى أن يتمكن الإنسان من إدراك مؤقت لا يلبث أن يرتمي في عالم لا نهائي من التأويلات التي لا تحدها حدود »[2]، تتيح للإنسان إدراك لحقيقة النص، الذي يفضي إلى استنتاج مضامين الأشياء، لكن سرعان ما يزول هذا الإدراك و يرتمي بالإنسان إلى عالم لا نهائي من التأويلات التي تثيره و تستفزه ، و بالعودة مرة أخرى إلى **تيارات ما بعد البنوية** ؛ نجد أن التفكيكية شكلت بسلبياتها و إيجابياتها مرحلة مهمة من مراحل التيار ما بعد البنيوي، لكن هذا الأخير لم تتوقف مقارباته عند هذا الحد، الأمر أدى لظهور مقاربة نقدية أخرى إما كردة فعل على الأفكار التي ظهرت لدى البنيوين و الأسلوبين أو تطويرا لأفكارهم، تلك المقاربة التي عرفت باسم نظرية التلقي و التأويل .

2-2-2- نظرية التلقي و التأويل:

نظريــة التلقــي: إن أهم نقلة ميزت هذه المقاربة التحول من قطب النص و مؤلفه إلى قطب النص و قارئه، فقد جاء في كتاب فعل القراءة لفولفانغ إيزر قوله « إن الشيء

1 رامان سلدان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، مرجع سابق، ص.10.

2 عزت جاد محمد، نظرية المصطلح النقدي، مرجع سابق، ص. 309.

الأساسي في قراءة كل عمل أدبي هو التفاعل بين بنيته و متلقيه »[1]، إن ما يركز عليه إيزر هو ضرورة التفاعل بين بنية النص و متلقيه و الاهتمام أيضا بالأفعال المرتبطة بالتجاوب بينهما ، و بهذا أعادت نظرية القراءة للمؤلف مكانته في العملية النقدية و أرجعته للحياة ، و نادت بحقه في إنتاج النص و تفعيل بنياته عن طريق الكتابة التي تشكل اتجاها واحدا مع عملية القراءة ، فالعلاقة بينهما ليست بثا و استقبالا ، أو أنها إنتاجا و استهلاكا، إنها علاقة بناء و تكامل، هكذا عدت نظرية التلقي ضمن مظلة النقد ما بعد البنوي و كشف عثرات النقد البنوي في إهماله لمواقف مهمة في التجارب النقدية ، و قد سعت إلى تعويض ذلك النقص و الإهمال الذي طال مكانة القارئ و دور المؤلف و لغته الإيديولوجية ، فـ« البنوية ليست فقط مضيعة للجهد والوقت و إنما هي أذى ضار يسلب الأدب والنقد خصائصهما وسماتهما الإنسانية »[2]، أعربت نظرية التلقي عن النقص الذي طال النقد الأدبي من جراء التراكم العلمي الذي طبع بعض المناهج على شاكلة البنوية التي سببت – حسبه– أذى أضر بالأدب و النقد و أفقدهم الكثير من بريقهم المتمثل فيما يلي: تهميش دور القارئ و التبشير بموت المؤلف نهائيا دون رجعة ، و إقصاء كل عنصر خارجي (غائية النص الخارجية و المرتبطة بالمؤلف أيضا)، فركزت أيضا على التجاوب الذي يحدث لدى القارئ لـ « يشعر المرء بأنه سيكون مضحكا قليلا إذا كان عليه أن يبدأ بالإلحاح على أن الأعمال الأدبية توجد في جانب منها على الأقل لكي تكون مقروءة،

1 فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، تر: حميد لحمداني، الجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل ، المغرب ، فاس، د.ط، 1994، ص.12.

2 ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، مرجع سابق، ص.75.

و بأننا نقوم بالفعل بقراءتها، و أن من المفيد أن نفكر في ماذا يحدث عندما نفعل ذلك؟ و لنقل هذا بكل صراحة؛ فمثل هذه التصريحات تبدو بديهية لدرجة أنه لم تكن هناك حاجة ، مع ذلك فإنه ليس هناك أحد ينكر مباشرة بأن للقراء و القراءة وجودا فعليا ؛ فحتى أولئك الذين ألحوا كثيرا على استقلالية الأعمال الأدبية و على عدم أهمية تجاوبات القراء، فإنهم أنفسهم يقرأون الكتب و يتجاوبون معها »[1]، بهذا المعطى لم تعد نظرية التلقي تكتفي بفعل القراءة الذي يسم الأعمال الأدبية فقط ، بل صارت جل تركيزها على التجاوبات التي تحدث لدى القراء لحظة قراءتهم لعمل أدبي ، حتى أننا نعثر على كثير ممن يحرضون على استقلالية الأعمال الأدبية أي؛ تدرس في ذاتها و لذاتها بعيدا عن أي مؤثرات أخرى ، فمثلا ينكرون أهمية التجاوب الذي يحدث للقراء لحظة الخلوة التي يجعلها مع العمل الأدبي، فهم أيضا يتجاوبون مع الأعمال الأدبية ، لتكون نظرية التلقي واحدة من **نظريات ما بعد البنوية** التي لاقت صعوبات في الثقافة النقدية الغربية نفسها، كما امتدت أثارها إلى الثقافة العربية ، و يتجلى جوهر الخلاف في النقد الغربي المعاصر في مشكلة التجانس أو التباعد بين التلقي الألماني، و النقد المتعلق بالاستجابة للقارئ في الولايات المتحدة الأمريكية : يأتي النقد المتعلق باستجابة القارئ ضمن النسخة الأمريكية ممثلا لنظرية التلقي في نسخته الألمانية ، و « في الحقيقة فإن فولفجانج أيزر ، و الذي ستتم مناقشته كأحد أهم

1 فولفغانغ أيزر، فعل القراءة، تر: حميد لحمداني والجيلالي الكدية، مرجع سابق، ص.11.

المبادرين في نظرية الاستقبال فقد اعتبر كذلك أحد نقاد استجابة القارئ »[1]، نجد كثيرا من النقاد ينصرفون عن الخوض في العلاقة التي تجمع أيزر بالتوجه الأمريكي نقد استجابة القارئ ، ليأتي الحكم الثاني موافقا للحكم الأول من ناحية اعتباره من نقاد الاستجابة في النسخة الأمريكية ، و متباعدا من جهة الفصل بين ما هو تلقي ألماني ، فـ « نظرية الاستقبال يمكن أن تفصل عن نقد استجابة القارئ على أساس فقدان التأثير المتبادل ، و بعيدا عن أيزر، التي حظيت كتاباته باهتمام مكثف في كلا المعسكرين ، فلم يكن هناك على الصعيد العلمي اتصال بين المجموعتين »[2]، يرى النقاد ذوي النسخة الأمريكية أن الاستجابة غائبة في النسخة الألمانية الممثلة لنظرية الاستقبال، إذ لم يكن هناك اتصال بين المجموعتين ، إذ « ليس نقد استجابة القارئ نظرية نقدية موحدة تصوريا ، إنما هو مصطلح ارتبط بأعمال النقاد الذين يستخدمون كلمات من قبيل القارئ Reader، و عملية القراءة read–ing process، والاستجابة response ليميزوا حقلا من حقول المعرفة ... »[3]، لقد حصر الاتجاه الأمريكي نقد استجابة القارئ في الاستجابة في حد ذاتها، و كأنها أهم شيء في التلقي، و لا حظوا فيها الشيء الذي يميزهم عن الألمان، و ينبغي التركيز هنا على نقطة مهمة هي أننا لا نسعى إلى تفضيل اتجاه على آخر ، و لكنها محاولة لكشف

1 روبرت سي هول، نظرية الاستقبال- مقدمة نقدية- تر: رعد عبد الجليل الجواد، دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية – سورية ، ط.1، 1992، ص.09.

2 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

3 جين- ب- تومبكنز، نقد استجابة القارئ- من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تر : حسن ناظم، علي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 1999، ص.17.

التناقضات بين النسخ النقدية من منظور تلقيها، ليبقى التواصل والتفاعل غائبا أو مغيبا ، فعلى خلاف أيزر الذي وجدت كتاباته استحسانا لدى المجموعتين ، و صرفا للنظر عن بعض ممن يحجمون عن الخوض في أرائه ، لتكون محاولات التقارب بين نظرية التلقي و نقد استجابة القارئ سطحية، حيث أن « التشابه في المناظير النقدية لعامة بين نقد استجابة القارئ و نظرية الاستقبال تعتبر في النهاية ظاهرية جدا و مجردة لبحثها »[1]، فالخلاف النظري القائم بين نظرية الاستقبال الألمانية و نقد استجابة القارئ الأمريكية أفضى إلى خلق خلافا في إيجاد تسمية واحدة تعبر عن التلقي بصفة شاملة لا تدع مجالا للتعدد و التنوع الذي لا طائل منه، هكذا ظهرت إشكالية أخرى تعمق من حجم الهوة بين التوجهين ، و هذه المرة لم تبقى رهينة النقد الغربي، وكان الخلاف حول التسمية التي تعبر عن نظرية التلقي في نموذجين هما :

هانز روبرت ياوس: يتبنى ياوس تسمية نظرية الاستقبال، حيث يعتبرها النظرية الفعلية في حركة النقد الألماني، و إذا قرأنا ما كتبه عام 1979 بشكل ساخر قائلا« بالنسبة للأذن الأجنبية ، فإن موضوع الاستقبال قد يبدو أكثر ملائمة لإدارة فندق منه إلى الأدب »[2]، هكذا ينكر هانز روبرت ياوس على المتحدثين بالإنكليزية (نقاد استجابة القارئ) فهمهم لتسمية الاستقبال ، و يستشعر بالفعل قبل حدوثه أنهم سوف يدركون المعنى بطريقة خاطئة ، و سينصرف تفكيرهم إلى اعتبار عبارة الاستقبال أقرب إلى تسيير فندق منها إلى الأدب.

1 روبرت سي هول، نظرية الاستقبال- مقدمة نقدية- تر: رعد عبد الجليل الجواد، مرجع سابق، ص.09.

2 المرجع نفسه ، ص.07.

فولفجانغ أيزر: يتبنى تسمية نظرية التجاوب المرتبطة بنقاد استجابة القارئ لتأثره بأعمال و مبادئ التوجه الأمريكي، و هذا ما يظهر في كتابه فعل القراءة- نظرية جمالية التجاوب- و يوافقه في التصور حميد لحميداني و جيلالي الكدية ، إذ يقولان في ترجمة كتابه «... و قد بدا أيزر سعيدا باقتراحنا ترجمة فصول من عمله هذا إلى العربية ، و لأننا لم نكن نتوفر على الترجمة الفرنسية، فإنه أرسل إلينا نسخة من الطبعة الإنجليزية عند رجوعه إلى ألمانيا ، علما بأنه كان قد ألح في اعتماد هذه الطبيعة بالذات دون غيرها، لأنها عرضت من قبل المؤلف على مختص راجع و صحح العبارة الإنجليزية لتخليصها من رواسب السليقة الألمانية »[1]، الفعل الذي أفضى « لفقدان التآلف الحالي، فإن مثل هذا الحوار سيكون لمصلحة جميع الأطراف ، مجبرا إياهم لإعادة التفكير فيما أصبح كليشات عن خطابهم النقدي، إن استقبال نظرية الاستقبال في العالم الذي يتحدث الانكليزية و حتى الآن محدود و ربما يشيع ذلك في المستقبل »[2]، لقد ظلت سمة التألف بين رواد النظرية الألمانية و النظرية الأمريكية مقتصرة على مجموعة من الأطراف فقط، فكانت الدعوات صريحة للالتقاء و الحوار و محاولة مراجعة كل ما صار كليشيهات ، و يمكن القول أن تلقي نظرية الاستقبال في العالم الذي يستعمل اللغة الإنكليزية ظل باهتا و محدودا و بقيت الآمال معلقة على شيوعه و رواجه في المستقبل، وقد كان لبعض النقاد العرب نصيبا من الصراع ، إذ كل واحد منهم يفضل توجها نقديا على حساب توجه آخر، و في بعض

1 فولفغانغ أيزر، فعل القراءة، تر: حميد لحمداني والجيلالي الكدية، مرجع سابق، ص.03.

2 روبرت سي هول، نظرية الاستقبال- مقدمة نقدية- تر: رعد عبد الجليل الجواد، مرجع سابق، ص.190.

الأحيان يتبنى توجها ما ثم يعدل عنه في آخر المطاف هو ما صادفنا في مستهل فصلنا الأول المعنون بواقع الفكر في البلاد العربية أي؛ التسارع في الانتقال من منهج إلى أخر)، و هكذا بدت لنا هذه الإشكالات التي لم تقف عند هذا الحد بل وجدنها أيضا في النظرية التي تلي **نظرية التلقي**، ضمن ما يصطلح عليه **النظرية التأويلية**.

النظرية التأويلية : جاء في كتاب فعل القراءة للمرة الثانية ما مفاده « إن مهمة المؤول (...) يجب أن تكون هي توضيح المعاني الكامنة في النص، و ينبغي أن لا تقتصر على معنى واحد فقط، فمن الواضح أن المعنى الكامن الكلي لا يمكن إنجازه من خلال عملية القراءة »[1]، إن كثرة القراءات و تعددها هي شروط مسبقة للتأويل أي؛ تمهيد لحركات تأويلية يجب أن ترتبط هذه القراءات بغاية حقيقية توسع من عملية الألفة من جهة ، و تعطي لهذه التفسيرات الكثيرة بعدا إيجابيا و تجعل النص غنيا و ثريا، و من جهة أخرى تضع القارئ أمام حتمية المشاركة في عملية بناء النص و استجلاء معانيه وفق أطر متسقة، و إذا لم يحدث هذا التناغم و الانسجام بين منظومة النص وقارئه ستكون النتيجة تعطلا في عملية التأويل ، لذا يجب أن تقوم وفق ضوابط تقيد مسارها، فإذا « لم تحترم معنى المؤلف فلن يكن لدينا آنذاك أي (معيار) للتأويل، و سنواجه خطر فتح مسارب الفوضى النقدية »[2]، ليبقى المعنى الحقيقي في النص هو المنطلق الوحيد لشتى و عديد القراءات و التأويلات ، و لكي لا يكون التأويل عشوائيا. يجب أن تكون الاختلافات

1 فولفغانغ أيزر، فعل القراءة، تر: حميد لحمداني والجيلالي الكدية، المرجع السابق،ص.ص.13، 14.

2 تيري إيجيلتون، نظرية الأدب، تر: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، د.ط، 1995، ص.123.

و التفسيرات مضبوطة وفق نظام معين، و إذ « فمن الممكن أن يختلف القراء حول المعنى، و لكنهم يضلون يتبعون المجموعة نفسها من الأعراف التفسيرية »[1]، تتمثل الأعراف التفسيرية في عملية التأويل فيما يلي: اللغة و أساسياتها (ألفاظ ، تراكيب، نحو)، فلا يمكننا مطلقا الخوض في عملية التأويل دون الإلمام بهذه الأساسيات التي تنظم عملية التأويل وفق أصول موجودة ضمن النص و لا يمكن بأي حال من الأحوال تجاوزها ، و هذا ما ينم عن ضابط آخر من ضوابط العملية التأويلية بما يعرف بسياق النص الذي يعرف بأنه « تصورات نظرية قوية الإشعاع و ثاقبة الرؤية ، مما يعين القارئ الواعي على مواجهة النص كمواجهة الفارس للحصان الأصيل ، فيمتطي صهوته لا لينام على سنامه، و لكن لينطلقا معا كالسهم صارما و حادا يسبحان في مضمارهما الفسيح و هو مضمار السياق الأدبي ، و هو فعالية يشترك فيها الفارس و الحصان (القارئ و النص) »[2] ، إن السياق هو الذي يجعل القارئ ضمن حدود القراءات و التفسيرات، ليكون التأويل داخل النص لا خارجه، لأنه إذا تم خارج النص يصبح عبثا لا طائل منه، و يتم بتحميل النص ما لا يطيقه من التأويلات و التفسيرات، لتصير الحاجة ملحة للفصل في اختيار التأويل المفضل ، شرط ألا يكون التأويل المختار دخيلا بغيره من التأويلات، و يصبح السياق وثيقة أساسية في عملية التأويل و تنظيمها، فهو يوفر ظله للنص كضمان له من الذوبان و النسيان

1 رامان سلدان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، مرجع سابق، ص.182.

2 عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنوية إلى التشريحية، دراسة نقدية لنموذج معاصر، مرجع سابق، ص.88.

في ظل التفسيرات غير المقبولة ، و هنا تشديد على ضرورة السياق في ظل هذا التعدد إذ « كيف نحمي النص من الضياع و من أن يكون ضحية للتطرف في فتح باب القراءة الحرة ؟ إن الحماية الحقيقية للنص هي(السياق) »[1]، إن النص لا يمكن له أن يخرج عن السياق العام الذي يحكمه؛ لأنه لو خرج عنه لحمل تفسيرات و تأويلات عبثية نحن في غنى عنها، و لقد بدا لنا الالتباس و الغموض واضحا في النقد العربي و امتد ليشمل التسمية و المفهوم المعبرة عن هذه النظرية ، و يمكننا استعراض هذه الالتباسات و المسائل على النحو التالي: يطرح الجابري عدة أسباب أدت إلى استخدام مصطلح هرمنيوطيقا كمقابل للمصطلح الانجليزي **Hermeneutic** ، و يركز على سبب واحد يتمثل في التمييز الذي أقيم بين اللغة العربية المعاصرة و اللغة العربية التي تقدمها المعاجم ، فيقول « اللغة العربية المعاصرة ونحن نقصد اللغة التي بها نكتب اليوم و نقرأ و التي تغنيها الترجمة كل يوم، أما اللغة العربية المعجمية فليس فيها مثل هذا التداخل الذي نتحدث عنه...»[2]، لعله من المفيد و نحن بصدد الحديث عن إشكالية المصطلح ، القول بأن **Hermeneutics** كانت واحدة من التسميات التي استعصت ترجمتها ، إن لم يكن نوعا من التمني، إذ لم يكن بإمكان وجود ما يقابله و ما يعادله من حيث ما يحمله من مضامين و دلالات في لغة المعاجم، و السبب في ذلك راجع إلى: غياب سمة الوعي المنهجي و القدرة على جعل المفهوم الوافد طابقة

1 عبد الله محمد الغذامي، الخطيئة والتكفير، من البنوية إلى التشريحية، دراسة نقدية لنموذج معاصر، مرجع سابق، ص.80.

2 محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، د.ت، ص35. (الهامش).

لواقع الثقافة المستقبلة له، أما محمد شوقي الزين يفضل في كتابه **تأويلات و تفكيكات** ترجمة المصطلح الفرنسي بفن التأويل « أننا نبتغي صيغة فن التأويل لترجمة كلمة Hermeneutique تمييزا لها عن التأويل بمعنى Interpretation »[1] ، و هناك من فضل تعريبها بالتأويلية « و هو ما فعله الدكتور منصف عبد الحق في كتابه الكتابة و الترجمة الصوفية: نموذج محيي الدين بن عربي »[2]، و تأسيسا على كل ما سلف تم استخدام مصطلح الهرمنيوطيقا كلفظة مناسبة للمفهوم الأجنبي ، و هذا ما يشدد عليه عبد الكريم شرفي في مؤلفه المعنون **من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة** بقوله: « فضلنا مصطلح الهرمينوطيقا كمقابل عربي، أي كتعريب، للمصطلح الأجنبي(...)، على غيره من المصطلحات الأخرى التي تحفل بها الترجمات العربية كمصطلح علم التأويل و نظرية التأويل و التأويلية و نظرية التفسير، و أخيرا تعريب نصر حامد أبو زيد الهيرمنيوطيقا (...) الذي أسقطناه هو الآخر بسبب فونيتيكيته التي تختلف نسبيا عن فونيتيكية المصطلح الأجنبي– فضلناه لأنه يتميز بالشمولية في دلالته على كافة العمليات و الممارسات التأويلية المختلفة من تفسير، و فهم، و تأويل، و ترجمة... إلخ، مقارنة بالمصطلحات السالفة الذكر التي تظل جزئية و مقتصرة على جانب معين من الممارسة التأويلية دون غيره »[3]، يركز

1 محمد شوقي الزين، تأويلات و تفكيكات– فصول في الفكر الغربي المعاصر، منشورات ضفاف، بيروت– لبنان، ط.1، 2015، ص.31.

2 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

3 عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة: دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007، ص17.(الهامش).

عبد الكريم شرفي على مسألة فونيتيكية المصطلح باعتبارها مرجعية هامة في انتقاء التسمية المناسبة للمفهوم الوافد ، و بالفعل كانت السمة الفعلية الذي ارتكز عليها نصر حامد أبو زيد في مؤلفه **إشكاليات القراءة و آليات التأويل** ، و هكذا أمكننا التعرف على **تيارات البنوية (بنيوية – أسلوبية)، و ما بعد البنوية (تفكيكية –نظرية التلقي و التأويل)**، لتكون مقولة منظري ما بعد البنوية هم بنيويون اكتشفوا خطأ طرائقهمعلى نحو مفاجئ في موسوعة نظرية المصطلح النقدي لعزت محمد جاد بمثابة إحالة على تيار ما بعد بنيوي آخر ضمن ما يعرف بـ **(المقاربة التداولية)** ، و لعل أول سؤال يتبادر إلى ذهن المتلقي بعد التعرض **لتيارات بنيوية و ما بعد البنوية** كالآتي: – **ما الجديد الذي ستضيفه التداولية للنقد المعاصر ؟**

3-المبحث الثالث : المقاربة التداولية: تعد **التداولية (paradigmatic)** من أبرز المصطلحات و المفاهيم التي تلتصق التصاقا عضويا بالممارسة النقدية – بشكل مباشر – فلقد أصبحت وسيلة و أداة مهمة لفهم النص وشرحه ، و باعتبارها علما و تطبيقا (إجراء) تتجاوز الممارسة التنظيرية، و المتتبع للمهاد الفعلي للمصطلح يرى أنه قد اكتنفته جملة من الإشكالات التي لا يمكن – و لا بأي شكل من الأشكال – للباحث أن يمر عليها مرور الكرام ، على اعتبار أنها قضايا تمس مراتب التصنيف و الترتيب .

3-1-إشكالية التأصيل لمصطلح التداولية

3-1-1- مسألة المصطلح : تتجلى إشكالية المصطلح النقدي في المقاربة التداولية ضمن المستوى الأول؛ كونها تنهض على مرحلة الإدراك و الفهم لجملة الدلالات الضمنية

فـي منظومتهـا، و تعبـر عـن المعـاني المـراد الوصـول إليهـا، و تقـوم منظومـة المفهـوم علـى أسـاس تنويعـات ضـمن بوتقـة المصـطلح فـي حـد ذاتـه، إذ يظهـر التـأثير الـذي يمـارس علـى المفـاهيم فـي جملـة الطروحـات النظريـة، و هكـذا لـم يكـن الفكـر العربـي بمعـزل عـن هـذا الفعـل و تـأثيره، لـذلك عـدت فكـرة التأصـيل للمصـطلح مـن المسـائل التـي أولتهـا الدراسات و القراءات المعاصرة أهمية كبرى.

إن الباحث باعتباره جزء من منظومة النقد المعاصر في أمس الحاجة إلى مثل هذه الأهمية المعرفية للمصطلحات، و لعل ما يشد تركيزنا فيها ، يتمثل في أن المفكرين العرب نقلوا جل المعارف و التسميات و التعريفات النقدية دفعة واحدة دون أدنى إدراك لماهيتها و لمنطلقاتها التأسيسية و جوانبها التنظيرية والتطبيقية ، وكان ذلك كله من أجل التسابق الكبير للظفر بمستجدات المنجز الغربي ، إذ نعثر على كثير من المؤشرات التي تدل على تشعبات لا حصر لها في مجموعة من المصطلحات التي يتم معالجتها من ناحية مفهومها و حدودها ، فإذا « لم يتوفر للعلم مصطلحه العلمي الذي يعد مفتاحه ، فقد هذا العلم مسوغه ، و تعطلت وظيفته. من هنا كان لابد من تحديد الألفاظ والمفهومات ، لأن مثل هذا التحديد هو المنطلق الأول للتفكير العلمي »[1]، ليس أمام الباحث في هذا المجال إلا أن يكون انتقائيا في سياق إيجاد ترجمات أو تعريبات ترفع الغبن عن تلك المصطلحات، و بخاصة إذا أخذنا بعين الاعتبار وجود نماذج غربية تحاور الأبعاد العربية في ثقافتنا ، و لا بد أن نؤكد مرة أخرى أن كثير من المفكرين حاولوا خلق مقابلات تشترك مع المفهوم

1 محمد عزام ، المصطلح النقدي في التراث الأدبي ، دار الشرق العربي، حلب – سوريا، د.ط، 2010، ص.07.

الأجنبي في الصيغة الاشتقاقية اللغوية ، لكن قصارى القول أن الإشكالية تدور من جديد ، حول هوية المصطلح داخل النظام الموجود فيه ، لا في الشكل اللفظي و المعجمي، و ترجع جل الدراسات المعاصرة مصطلح التداولية في فكرنا العربي إلى الفكر الغربي **البراغماتية** أو **البراقماتية** المعربة لـ **(pragmatique)** ذات التأصيل الغربي، و هذا الواقع يصفه لنا عبد المالك مرتاض من خلال مقاربة مصطلح **[التداوليـــة]** إذ يقول « لم يتم استعمال مصطلح التداولية ، من حيث هو مفهوم عام، في الثقافة اللاتينية قبل سنة 1438 للميلاد، و يعود في أصله الأجنبي إلى اللغتين الإغريقية : « pargmatikos » ، و اللاتينية بالمعنى القانوني : sanctio « pargmatik» ، و لهذا المفهوم في الثقافة الغربية عدة استعمالات : قانونية ، و هو الاستعمال الأصل، فيما يبدو ثم فلسفية ، و منطقية ، و رياضياتية، ثم أخيرا لسانياتية و سيميائية»[1]، هذا في التصور أو المنظور الغربي، أما في الثقافة العربية فيضيف قائلا: « و إنا ، بكل آسف ، لا ندري من اصطنع من اللغويين العرب المعاصرين هذا المفهوم لأول مرة في اللغة العربية ، أثناء القرن العشرين ، نقلا عن أصحابه من المفكرين الأمريكيين » [2]، يشدد عبد المالك مرتاض في تصوره ، على عدم الدعوة إلى عزلة نقدية بين الفكر الغربي و التراث العربي، و ذلك كله من أجل البحث عن سبل توافق وتصحيح النظرة التي تعكسها النصوص الغربية حول التراث العربي ، و إزاحة كل دلالات الانحياز و التبعية عنها، أما التونسي صابر الحباشة في ترجمته لكتاب

1 عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، مرجع سابق، ص.390.

2 المرجع نفسه ، ص.391.

التداولية من أوستين إلى غوفمان فيقول أنه « يبدو مصطلح التداولية (pragmatique) على درجة من الغموض. إذ يقترن به في اللغة الفرنسية، المعنيان التاليان: محسوس وملائم للحقيقة. أما في الإنكليزية، و هي اللغة التي كتبت بها أغلب النصوص المؤسسة للتداولية، فإن كلمة (pragmatic) تدل في الغالب على ماله علاقة بالأعمال و الوقائع الحقيقية. و هكذا يبدو لأول وهلة، أن الحقل الذي فتحه هذا الاختصاص العلمي المسمى تداولية، ضخم. و تلقى عموما بوصفه كيانا غامضا، أو قل جرابا جديدا توضع فيه الأعمال الهامشية التي لا تنتمي إلى الاختصاصات المؤسسية »[1]، إن محاولة التحديدات في محاكاتها للمفهوم الأجنبي تفرض التمسك بالمكون العربي، و بجملة المنطلقات اللغوية التي رسخت في تراثنا العربي ، و لعل هذه السلطة على المصطلح تبرز هوية النماذج الغربية و نسخها ضمن فضاء الفكر العربي، و يناقض محمد عناني الفكرة نفسها، حيث يشير إلى ذلك في قوله « يجب ألا نخلط بين علم التداولية pragmatics و المذهب البراجماطيpragmatism و هو المذهب الفلسفي الذي يحبذ التركيز على كل ما له أهمية عملية للبشر و يتجنب البحث في القضايا المطلقة أو المجردة »[2]، ومن ثم تتشكل إمكانية في جمع المصطلحين (علم التداولية) و (المذهب البراجماطي) في سياق واحد – أو في سياقات متعددة في ثنايا أثر أدبي واحد أو أثار أدبية متنوعة من نتاج مؤلف واحد أو من طرف عدة مؤلفين – متمايزين ، إذا نحن أردنا أن نستعمل مصطلحات و مفاهيم

1 فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية – سورية، ط.1، 2007، ص.17.

محمد عناني ، المصطلحات الأدبية الحديثة ، مرجع سابق، ص.ص. 77، 2.78

و تصنيفات من تراثنا من أجل إدراك ماهية العقل الغربي و إلا بقينا مكبلين بمفاهيمه و تختلف رؤية بعض المفكرين و الباحثين في استخدام الترجمات الحرفية المقابلة للفظة البراجماتية، لذا « فالترجمة لها ما يبررها ، و يبدو أنها قد استقرت بالفعل على حساب البراجماتية و البراجماتيكية، وهما بالإضافة إلى أعجميتهما ربما يؤديان إلى خلط بين المقصود في هذا التبسيط و المدرسة الفلسفية المعروفة بالنفعية أو الذرائعية pragmatism (البراجماتية أو البراغماتية)...»[1]. و نجد محمد محمد علي يونس قد ترجم المصطلح الإنجليزي **pragmatics** « أفضل ترجمة مصطلح (pragmatics) بعلم التخاطب، و ليس بالتداولية، أو النفعية أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب توهما منهم بأن (pragmatics) ، و (pragmatism) شيء واحد »[2]، إن هذا الاختلاف بين التداولية و التخاطب تفرضه سياقات تلقي هذا المفهوم أو ذاك، لذلك تنتفي صفة التوافق بين التداولية و غيرها من المصطلحات، ليصبح هناك مصطلحات كثيرة لمفهوم واحد ، كما بدت المزاوجة صعبة نوعا ما أي ؛ في استخدام بعض المصطلحات من قبيل : **التداولية و البراجماتية و علم التخاطب** ، لذلك كان الرجوع إلى المفهوم في مهاده الأصلي في التعامل مع هذه الإشكالية.

3-1-2-إشكالية المفهوم: نؤكد في إطار معالجتنا لـ (إشكالية التأصيل للتداولية) على ضرورة الربط بين بنية المصطلح و المفاهيم التي تجسده و تشكل روحه

1 بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية – من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط.1، 2010، ص.18.

2 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف ط.1، 2015، ص.07.

و هويته ، لنجد فيها: ، **التداول** ، **فن التداول** ، **علم التخاطب، التداولية** ، **التخاطبية، الوظيفية، الذرائعية** ، **و الذريعية،** و لعل السبيل الوحيد لإدراك وجودها هو الرجوع إلى الأصول المعرفية المشكلة لها.

إن المتمعن في مجموعة المصطلحات السابقة يدرك أنها تنبني على أساس صنفين هما: يمثل الصنف الأول له بمصطلحات من قبيل: **الوظيفية- التداول،** هذه الكلمات تدخل في علاقة تكاملية مع بنية **البراجماتية** من ناحية المركب الفرنسي **(pragmatique)** و لا تنفك عنها ، و هذا الارتباط لم يولد من العدم بل أوجدته طبيعة الدلالات التي تشدد على قيمة المصطلحات المعبرة على ظاهرة الحدث التداولي .

يعبر مسعود صحراوي عن التداولية قائلا أن « ترجمة للمصطلحين: المصطلح الإنجليزي pragmatics بمعنى هذا المذهب اللغوي التواصلي الجديد (...) ، و المصطلح الفرنسي la pragmatique بنفس المعنى، و ليس ترجمة لمصطلح la pragmatisme الفرنسي ، لأن هذا الأخير يعني الفلسفة النفعية الذرائعية ، أما الأول فيراد به هذا العلم التواصلي الجديد الذي يفسر كثيرا من الظواهر اللغوية، و لذلك لا نتفق مع الباحثين العرب الذين ترجموا مصطلح pragmatics / la pragmatique بـ " الذريعية " أو " الذرائعية " أو غيرهما من المصطلحات المتحاقلة معهما »[1]، إن تبني أي لفظة من الألفاظ السابقة من قبيل الذرائعية أو الذريعية ليكون المصطلح البديل، يجب أن يتم الاشتغال على جعله

1 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط.1 ، لبنان ، بيروت ، 2005، ص.15.

متوافقا مع المفهوم المراد في ذاته ، مع إخضاعه للممارسة الجادة و التنظير المؤسس ، لذلك يجب أن تتبني التداولية على موضوع معين، من منطق أنها « أصيبت بنظرة خطأ في السبعينات من القرن التاسع عشر، حيث ظهر اتجاه يعرف التداولية بأنها قمامة اللسانيات La pouble de linguistique، و هو يحمل استعارة جارحة كان يعني وقتها أن مهمة التداولية معالجة المشاكل الهامشية marginaux التي لم تعالجها اللسانيات : الفنولوجيا والتركيب والدلالة »[1]، ما يستفاد أن التداولية تختص بموضوع محدد ، لكنه واسع الأبعاد، و لو أدركنا بأنه موضوع ذو سمة مشتركة تتقاسمه عدد من الفروع المعرفية. لهذا كان ضروريا عقد مقارنة بين تلك العلوم المعرفية و التداولية من جهة ، و بين المفاهيم المتداخلة و المتكاملة و المتزاحمة و المتعارضة من جهة أخرى ، و ذلك داخل التداولية التي تحول أن تلتزم حدودها، على الرغم من أن تعريفها يكتنفه كثير من تضارب الآراء ، و ذلك بحسب اختلاف زواياها و عمق هشاشة العمل النظري و تشتت الرصيد التطبيقي الذي يطمح كثير من الباحثين إلى تعديله و تنظيمه، ليبقى يشهد على تفريعات و تقسيمات جديدة صارت مستجدات يصعب الاستغناء عنها، في ظل تداخل المفاهيم بشكل متفاقم الذي من شأنه أن يتسبب في لبس يخلف بدوره نوعا آخر من الإبهام: و هو تداخل الجهاز المصطلحي بين التداولية و بين غيرها من الفروع العلمية، أضف إلى ذلك المشكلات المماثلة التي تشيع في ميدان التداولية و التي ترتبط عموما بواقع العربية و هي شديدة

1 محمد محمود السيد أبو حسين، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2010، د.ط، ص.07.

الحساسية من حيث الأزمات التي تعاني منها الدراسات النقدية و اللغوية العربية، و هي التي تحفل بالمفاهيم التي تشكل اهتمام الباحثين ضمن منظوماتها العامة و عن طريق الترجمة، لذلك تقع في مفترق طرق تعارضات واسعة، و لأسباب كثيرة ، و لعل أهم سبب في هذه التعارضات تلك العشوائية التي تبدو عليها لحظة انتقاء المصطلحات الملائمة في التعبير عن المفاهيم المقصود إيرادها، و كذا التردد في استعمال الإرث العربي(التراث) من عدمه في تناولها: « فحدث نوع من التوفيق الشبيه بالتلفيق، خاصة عند الذين لم يأتوا إليها من باب الدراسة. كما أسفر ذلك عن ارتباك في سبل الاختيار بين مصطلح و آخر، مع العلم أن العلم الذي كان من المفروض أن يتولى أمر هذه المعضلات المصطلحية يعاني هو الآخر من عدم وضوح مقامه»[1]، يستوحي مصطلح التداولية فضاءا متداخلا من اللبس و الغموض الذي يكتنفه ضمن إشكالية أخرى هي مراتب التصنيف.

3-1-3-إشكالية التصنيف: إن النقطة الهامة التي يمكن الوقوف عندها في ضبط التداولية هي درجة الصعوبة في محاولة فهم و تصنيف هذا المصطلح، إذ يسيطر عليه الغموض والضبابية و صعوبة الإمساك بمضامينه، فهل يتكئ في تشكله على مناهج أم مفاهيم أم ممارسات تطبيقية ؟ و هل يمارس تأثيره على النص أم أنه نظام تواصلي فقط يركز على مسائل التواصل و التبليغ الإنساني أم منظومة فكرية لها عاداتها و تقاليدها الخاصة بها ؟ و للإجابة عن هذا الطرح سندخل في تفاصيل مهمة توضح حقيقة التداولية

1 ينظر في شأن تصنيف المصطلحيات وعقباته: يوسف مقران، من قضايا الترجمة في العالم العربي؛ تطبيق على مدونة من الترجمات اللسانية (مبادئ اللسانات العامة، تأليف : أندري مارتيني، تر: أحمد الحمو): نحو تأسيس المصطلحيات..، ص.55 - 62.

منذ نشأتها، و هذا الرأي له ما يبرره فالتداولية قد استعصى فهمها ؛ و« إن تقديم تعريف للتداولية، يلم بجميع جوانبها، و يشملها أمر من الصعوبة بمكان، ذلك أنها مبحثا لسانيا، و نظرية لم يكتمل بناؤها بعد هذا من جهة ، و من جهة أخرى نجدها تتقاذفها مصادر معرفية عديدة »[1]؛ إذ « للدرس التداولي المعاصر مصدر واحد انبثق منه، و لكن تنوعت مصادر استمداده ، إذ لكل مفهوم من مفاهيمه الكبرى حقل انبثق منه »[2]، و هكذا فالمتتبع للواقع العربي يلحظ التعارض الذي ما يزال يكتنف المجال التداولي ، و عدم الجدوى من معالجة الظاهرة وصعوبة الرقي إلى مستوى دراستها و اقتصارها على الدراسات التنظيرية ، و يذكر الجابري « إن مثل هذه التحديدات (ضرورية) هنا، لأن موضوعنا هو من تلك الموضوعات التي شاعت على الألسن فكثر تداولها إلى درجة أنها فقدت معناها، أو على الأقل لم تعد هناك حدود تؤطر دلالتها وتوجه الذهن إليها وحدها وتصرفه عما هو خارجها و ليس منها»[3]، هكذا يجمع الكثيرون على أن هذا الصنف من التفسير لـ (التداولية) بالرغم من قيمته كممارسة تطبيقية و إجرائية للنصوص ، سيظل يعاني من الاختلافات في تصنيفه ، لأن هذه التبريرات ليست سوى مراوغة طيف الحقيقة حال مكابدة الوصول ، و تشكل محاولة حدها صعوبة بالغة يرجعها الدارسون و الباحثون

1 خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط.1، 2009، ص.63.

2 مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مرجع سابق، ص.17.

3 محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص.21.

إلى كونها مدينة في نشأتها إلى كثير من المجالات المعروفة منها: الفلسفة ، اللسانيات ، علم النفس، علم الاجتماع ، البلاغة ، الذكاء الاصطناعي ، « ... تتصل بالمنهج التداولي و هي أنه شديد الثراء والتنوع حتى ليعسر تحصيل فكرة شاملة عنه، و قد تعددت التيارات التي تنظم هذا المنهج ، و كثر الأعلام الذين أسسوا له فلسفيا و ابستمولوجيا، و الباحثون الذين أجروه تطبيقيا ، فضلا عن اللسانيين الذين نقدوه نقدا داخليا وخارجيا »[1] ، على رغم شدة ثراء و تنوع هاته المقاربة ، إلا أنه صعب التعامل معها من طرف الباحثين الذين عالجوها تطبيقيا و كثرت فيها الأعلام التي أسست لها فلسفيا و ابستمولوجيا ، ناهيك عن اللسانيين الذين أخذوها بالنقد من داخلها و خارجها ، لذلك كان من الصعب تماما أن نفهم أفكار أحد مؤسسي هاته المقاربة ، فلقد اجتمعت عليها كثير من العلوم، فالتداولية لا تمثل من طرف علماء الاجتماع فقط بل نجد تأثير أهل المنطق ، و تقع في مفترق طرق الأبحاث الفلسفية واللسانية على حد تعبير مسعود صحراوي إن « أقرب حقل معرفي في التداولية la pragmatique في منظورنا هو اللسانيات . و إذا كان الأمر كذلك ، فإنه من المشروع البحث في صلة هذا العلم التواصلي الجديد باللسانيات و بغير اللسانيات من الحقول المعرفية الأخرى التي يشترك معها في بعض الأسس المعرفية ، نظرية كانت أم إجرائية ، و ذلك قبل وضع تعريف التداولية أو تحديد مفهومها ، و من ثم

1 صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع ، سورية ، دمشق، ط.1، 2008، ص.ص09، 10.

نرى أنه من الواجب التساؤل عن المعيار الذي يكون أساسا في تحديد مفهوم التداولية»[1] ، بناءا على ما قرره كثير من الدارسين فإن تعريفات التداولية كثيفة و غنية تعكس تنوع المجالات التي أسهمت في نشأتها ، فكانت تعريفاتها من زوايا مختلفة منها: – تعريفات ترتبط بحقل نشأة التفكير التداولي.

– تعريفات ترتبط بموضوعها و وظيفتها، إضافة إلى تعريفات ترتبط بحقل التواصل، و تعريفات أخرى ترتبط بحقل علاقتها بعلوم أخرى ، و لسنا بحاجة هنا إلى تكرار نقد التداولية– ، لكن إذا كان و هم التعريف قد اجتث ، فإننا لا نستطيع أن نعتبر الانقلاب إلى النقيض الأقصى تقدما، إنه مجرد علامة على الأزمة الحقيقية في التداولية ، و على الرغم من الأكيد وجود ميل في التطور الحالي للمنظومة الفكرية نحو طمس الوعي الإيجابي، فسيكون من الخطأ الاعتقاد ، كما فعل البعض بأن هذا التطور مكتمل مسبقا ، و أن كل وعي قد تلاشى – فبذلك التداولية على مستوى التحليل لا يمكن دراستها ، و لا يمكننا تناولها في أي مستوى من المستويات الفلسفية أو اللسانية أو غيرها من المستويات و لا تدرس جانبا واحدا من اللغة بل تستوعب جميع المستويات التي أسلفنا ذكرها، و هذا ما يدخلها في صعوبة نقدية و لغوية بالغة.

1 مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، مرجع سابق، ص.15.

3-2- مؤثرات فكرية وثقافية لظهور التداولية: تعتبر التداولية في نشأتها وليدة تضافر مجموعة من الحقول المعرفية نذكر منها: الدراسات اللسانية التي هي صلب دراستنا في هذا المبحث:

3-2-1-الدراسات اللسانية : سيطرت الدراسات البنوية باتجاهاتها المختلفة على ساحة الدراسات اللغوية مدة معتبرة من الزمن ، و قد سعى دوسوسير إلى تخليص دراسته للغة من الدرس الفلسفي و الديني ، و بعد مضي فترة طويلة استولت الدراسات اللسانية على سوقها من خلال ما عرف بتيارات البنيوية، لكن هذه الدراسات حملت في طياتها بذورا أنتجت اتجاهات ناقدة و مصححة لمسار البنوية عرفت لدى الدارسين بلسانيات ما بعد البنوية « و الحقيقة أن تشومسكي يأخذ على اللسانيات لا سيما بفرعها الأمريكي »[1]، و هكذا ظهرت لسانيات ما بعد البنوية التي كان لها دورا أساسيا في نشأة ما يسمى بالتداولية بانقسامها إلى ثلاثة تيارات مهمة هي:

-**التوليدية التحويلية :** يعرف أفرام نعوم تشومسكي في الساحة اللسانية بنظريته التوليدية التحويلية المصنفة ضمن تيارات البنوية لأن منهجه يركز على دراسة النماذج و الأشكال في بنية اللغة ، لكن بعض الدارسين يصنفه ضمن ما يعرف بلسانيات ما بعد البنوية ، و يرجع هذا التصنيف إلى تبريرين هما: اعتبر دارسو ما قدمه تشومسكي في نظريته نقطة تحول بارزة في الفكر اللساني الأمريكي من خلال ما وجهه من انتقادات للبنيوية مفادها أنها

1 E. Benveniste, Problèmes de linguistique générale, T.2, coll, tell, Ed. Gallimard, Paris, 1974, p.18-20.

تهتم بالتحليل الشكلي للغة دون الالتفات للمعنى ، أو إلى القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوينه الجمل (استعمال اللغة) و هو ما يعرف عند تشومسكي الكفاءة اللغوية « فالجوانب التداولية للغة تتعلق بخصائص استعمالها للحوافز النفسية للمتكلمين ، ردود فعل المخاطبين ، النوع المجتمعي للخطاب، موضوع الخطاب... الخ »[1] ، هكذا انتقل البحث اللساني من دي سوسير إلى تشومسكي – إلى دراسة لسانية تركز على التوجه الاتصالي و الوظيفي بالبحث في الكلام و الاستعمال اللغوي ، و البنوية عنده اهتمت بدراسة البنى السطحية دون البنى العميقة و قوانينها، لذلك أرست التوليدية التحويلية القواعد العامة التي تحكم البنية ، و لم يكتف تشومسكي في دراسة اللغة ببيان جوانبها (النظام) ذاتها ، بل تعدى ذلك إلى البحث في طبيعة اللغة خارج ذاتها، و نقصد « بهذا أن على الناطقين بأية لغة كانت أن يكونوا قادرين على تأليف و فهم عدد لا نهاية له من الجمل مما لم يطرق أسماعهم من قبل. و يجب أن نلاحظ أيضا أن ملكة الإبداع اللغوي لدى كل من ينطق بلغته الأم هي في الحالات العادية لا إرادية و لا تحتاج إلى جهد فكري، فالمتكلم لا يعتمد تطبيق سبق له سماعها ، و مع ذلك فإن الجمل التي ينطق بها تكون مقبولة لدى الآخرين الذين ينطقون بنفس اللغة و يفهمونها تماما »[2]، و بالضبط بالبحث في كيفية تعلم الطفل لها، كيف تتطور القدرة اللغوية عنده ، بالإضافة إلى تقديمه لتفسيرات لعلاقة اللغة بالمعرفة الإنسانية و البحث في طبيعتها و وظيفتها لإدراك ما حولنا من أشياء و معرفتنا

1 Jean Dubois et des autres , Dictionnaire de linguistique libraire, Paris, 1973, p.388.

2 جون ليونز ، تشومسكي، تر: محمد زياد كبة، النادي الأدبي بالرياض، ط.1، 1987، ص.19.

للعالم، و لقد أقام الدارسون مقارنة بين تشومسكي و من سبقه من البنيويون الأمريكان انتهوا من خلال هذه الدراسة على أنه محسوب على التيار العقلاني ، و قد أعلن ذلك صراحة عندما اعتبر اللغة وسيلة لا غاية في حد ذاتها – لأنه منطقي ، عقلاني بينما اعتبرها البنيويون قبله غاية لأنهم واصافون تجريبيون « ... و هناك المستوى الاجتماعي الذي يتكشف معه ممثلو البنوية أنفسهم عن (جماعة ثقافية) ربطت بين أعضائها علاقات وظيفية وصلات مكانية زمانية ، و وعي مستقل جعل البنوية نفسها نوعا من الإيديولوجيا »[1]، هكذا جاءت نظرية تشومسكي بمفاهيم عديدة تحدد هويتها و تفصل بينها و بين من سبقتها من آراء و أفكار بنيوية يمكن إجمالها كما يلي: ينبغي الربط بين النحو و المعنى خلافا للاتجاهات التي تفصل بينهما ، فاللغة في نظره إبداع و ليست قوانين ثابتة و بنى جامدة لأنها متعلقة بالمتعلم، و كذا التمييز بين الكفاءة و أدائها ، فالكفاءة هي جملة من المعارف الضمنية التي يمتلكها مستعمل اللغة و الأداء يتمثل في هذه الملكة و انجازها ، و كل هذا أنتج نوعان من البنى: البنية العميقة و هي الأصل في الجملة، إذ تحمل في ثناياها دلالة مستعمل اللغة و أخرى سطحية و تظهر أثناء التعبير، يكتنفها الحذف و التقديم ... و يقوم السامع أو المتلقي بكشف تحويلاتها، و الوقوف على مدى مقدرة المتكلم على ممارستها، « لقد عمل تشومسكي على تطوير أسلوب النحو التحويلي بهدف الحصول على وصف رياضي دقيق لأكثر المسائل اللغوية أهمية ، و لعله من أهم الموضوعات في مجال البحث هذا قدرة الأطفال على استنباط أنظمة بنيوية

1 إديث كريزويل ، عصر البنوية ، تر : جابر عصفور، مرجع سابق، ص.08.

ضمن سياق لغتهم الخاصة – بما في ذلك قواعدها النحوية – و ما يلتقطونه من كلمات وجمل ينطق بها أهلوهم و محيطهم والطريقة التي يستخدمون بها القواعد والنظم اللغوية نفسها في تأليف جمل جديدة لم تطرق مسامعهم من قبل »[1]، ينطلق تشومسكي في تعامله مع اللغة إلى ما يتطلبه السياق من انسجام منهجي ، فهو لا يفصل بين النحو و المعنى خلافا للبنيويون الذين يفصلون بينهم من خلال مسألة الشكل دون المضمون ، كما يميز بين ما هو كفاءة و أداء، فالكفاءة شيء و الأداء شيء آخر مختلف « في إطار الألسنية التوليدية التحويلية ، نسمي المقدرة على إنتاج الجمل و تفهمها في عملية تكلم اللغة بالكفاية اللغوية و نميز بين الكفاية اللغوية وبين ما نسميه الأداء الكلامي ، فالكفاية اللغوية هو المعرفة الضمنية باللغة، في حين أن الأداء الكلامي هو الاستعمال الآني للغة ضمن سياق معين »[2] ، كما ينشد التكامل بين البنية السطحية والبنية العميقة، لم تسلم طروحات تشومسكي من النقد الذي ارتكز أساسا على أنها تعاملت في نموذجها التحليلي للغة مع لغة مثالية و أبنية مثالية في أمكنة مثالية « و ليس من السهل أن نقول عن تشومسكي أنه مجرد ليبرالي ، فهو واسع الاطلاع على فلسفة العلوم، شأنه في ذلك شأن معارضيه ، كما أنه متمكن من النظام الفكري و الرياضي للعلوم الاجتماعية بنفس الدرجة من السهولة ، و لنا طبعا ملء الحرية بتقبل هذه الآراء أو رفضها ، إلا أنه ليس بمقدورنا أن نتجاهلها. و على كل من يرغب في متابعة هذه الآراء أو تقييمها أن يكون مستعدا لملاقاة تشومسكي

1 جون ليونز ، تشومسكي، تر: محمد زياد كبة ، مرجع سابق، ص.09.

2 ميشال زكريا، الألسنية التوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية (الجملة البسيطة) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط.2، 1986، ص.07.

على أرضه »[1]، هكذا بدت لنا طروحات تشومسكي من خلال الترسيم الفعلي لتشكيل المنهج التداولي .

3-1-2-اللسانيات الوظيفية : ترجع اللسانيات الوظيفية إلى جهود الكثير من الدارسين اللسانيين البنيويين الذين يحصرهم الدارسون في مدرستين : مدرسة براغ و المدرسة النسقية بلندن، أما عن إسهامات براغ في تأسيس التداولية، فترجع إلى نقطتين: تمييز علماء براغ بين علم الأصوات و علم وظائف الأصوات (علم الأصوات الوظيفي الفنولوجيا، و لهذا « ترى الوظيفة أن البنية النحوية والدلالية و الفونولوجية للغات تحدد الوظائف المختلفة التي تقوم بها في المجتمع »[2] ، و تظهر أهمية هذا المبدأ في كون مدرسة براغ تهتم بوظيفة الجملة في إطار اهتمامها بدراسة (الجملة) ضمن مفهوم التواصل الذي يعتبر وظيفة أساسية عند الإنسان ، و قد قدم ياكبسون في ذلك مخططا للتواصل يعرف بالوظائف الستة .

3-1-3-المدرسة النسقية: تعتبر المدرسة النسقية صدى لأعمال مدرسة براغ ، و قد تأثرت بروادها ، و نظرت إلى اللغة بأنها نظام بشري شامل ، و عليه فإن دراستها في مستوياتها الصوتية ، الصرفية و التركيبية و الدلالية فقط يمكن أن تفقدها طابعها التواصلي المميز لها « ... و غاية الدراسة اللغوية الوظيفية في نظر الوظيفيين هي تحديد المبادئ العامة المرتبطة باستعمال اللغة»[3]، و لذلك نادت هذه المدرسة بالحاجة إلى ترسيم مستويات اللغة الثقافية و الاجتماعية والنفسية في العملية التواصلية،

1 جون ليونز ، تشومسكي، تر: محمد زياد كبة ، مرجع سابق، ص.12.

2 أحمد مومن ، اللسانيات : النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002، ص.136.

3 خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية- مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، مرجع سابق، ص.40.

و من حصيلة هذه الدراسات التركيز على دراسة وظائف اللغة كلها و خاصة وظيفة التواصل .

3-1-4-اللسانيات النصية : تنهض اللسانيات النصية في مقاربتها على جملة من القوانين و الأهداف ، إذ « اتخذت اللسانيات النصية هدفا رئيسيا ترمي الوصول إليه وهو الوصف والتحليل و الدراسة اللغوية للأبنية النصية ، و تحليل المظاهر المتنوعة لأشكال الظاهرة اللغوية »[1] ، هكذا كان هدف اللسانيات النصية تجاوز كل رأي يعتبر الجملة الواحدة هي محور العملية النصية من حيث أنها كانت مكتوبة أو ملفوظة ، و هكذا تهم أيضا بالمتلقي من خلال اهتمامه بالعناصر غير النصية لحظة التلقي و الاستقبال ، إضافة إلى تجاوزها – كما أسلفنا – اعتبارها الجملة هي أصل الممارسة النصية بل تتعداها إلى النص، مع حصر دائرة المعالجة وتضييقها انطلاقا من فكرة أخرى مفادها أن الجمل في ذاتها يلزمها عناصر من خارجها لإيضاحها و إيصالها في شكل مناسب و سليم ، و عليه إن أهم سمة تميز اللسانيات النصية من خلال أنها مرجعية معرفية مهمة في نشأة التداولية. بمعنى ؛ أنها وساطة ثلاثية بين المؤلف و النص و المتلقي ، لكن ثمة عدة إشكالات تواجه الدارس أثناء اشتغاله على المقاربة التداولية ، و تتمثل في صعوبة وضع تعريفا شاملا لها ولجملة المفاهيم المشكلة لمجالها، وسوف نتناول بالدرس مصطلحات مؤلفي " تجديد المنهج في تقويم التراث و التكوثر العقلي " لطه عبد الرحمن (التداولية – النص – الحيز – الزمان – المكان) سينصب التحليل

1 أحمد عفيفي، نحو النص – اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق ، ط.1، 2004، ص.ص.20، 21.

على المفاهيم المركزية البارزة (تبادل – سياق – تأويل – ضمني – البنية – تقليد) وفقا لدراسة نقد – نقدية تأثيلية تشكل نموذجا إسقاطيا لما ذكر في مباحث الفصول التنظيرية ، أما الفصل التطبيقي الأخير فهو دراسة لعينات من المصطلحات النقدية (مؤلف التداوليات و تحليل الخطاب لجميل حمداوي) نذكر منها (اتصال – تناص – مرسل – مرسل إليه...) و هلم جرا ، و هذا ما سنحاول إضاءته انطلاقا من هذه المقاربة نفتح سؤال أفق المصطلح النقدي في المقاربة التداولية .

الفصل الثاني : قراءة في النموذج التراثي العربي

- المبحث الأول : دلالة التداولية في فكر طه عبد الرحمن

- المبحث الثاني : دراسة نقد – نقدية لمصطلحات المجال التداولي

- المبحث الثالث : قيمة التراث عند طه عبد الرحمن

3-الفصل الثاني : قراءة في النموذج التراثي العربي

مدونة تجديد المنهج في تقويم التراث : معلومات ذات صلة بالكتاب

تأليف: الفيلسوف و الناقد المغربي طه عبد الرحمن.

دار النشر: المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، الطبعة الثانية.

واجهة الكتاب: اللون: أسود وأبيض

الحجم: 18/ 12.

لم يكن اختيار طه عبد الرحمن لهذا العنوان (تجديد المنهج في تقويم التراث) عشوائيا ، أو من قبيل الصدفة ، بل كان ولادة جديدة تنبئ عن طرائق معالجة لتقويم التراث من خلال إسهامه في إثراء الساحة النقدية بعديد المؤلفات القيمة ، و لعل أشهرها دراسته – محل المعالجة – الموسومة **بتجديد المنهج في تقويم التراث** الذي دخل من خلالها أبواب الخطاب النقدي ، و رأى أن وضعية الابتداء دوما تبدو مستعصية إلى درجة الاستحالة ، و كذلك الخاتمة التي تجعل الباحث في وضع بالغ التعقيد و تؤرقه أرقا شديدا، و كما يقول المثل (أصعب الأمور البدايات) ، لذا فالبداية هي المسار الذي يمتلك زمامه الباحث ليغوص في مجال البحث و النقاش الفكري و يكتشف أسرار موضوعه و يفك شفراته ، فينفتح المجال أمامه لتقديم رؤى جديدة، يصنفها و يرتبها وفق تسلسل منطقي موحد، لكن ما نلحظه أن هذه الرؤى حبيسة و رهينة الكتب و المؤلفات في ظل غياب و انعدام الرؤية النقدية الواضحة و السلسة التي تؤطر **النقد و التراث** معا ، فكانت الحاجة لوضع مؤلفا نقديا

مبني على أسس محكمة ، و لعل أول شيء يصادفنا في عنوان مدونتنا هو لفظة **المنهج** التي لم تعرف استقرارا في أذهان و عقول كثير من المفكرين بسبب ارتكازهم على مناهج متعددة تفتقر أشد الافتقار إلى كثير من المقومات و الأسس الأساسية التي تسمها و تميزها عن غيرها من المناهج ، لذلك يرى طه عبد الرحمن أن المؤلفات الفكرية أصبحت تنزاح إلى التراكم السلبي ، و هذا يمنح مبررات صريحة لوضعها تحت محك الدراسة و المعالجة ، وسنحاول بدورنا فيما يلي تسليط الضوء على المجهودات التي قدمها طه عبد الرحمن في مجال المنظومة النقدية لتأتي دراستنا على فرعين :

- معالجة إشكالية مصطلحات المجال التداولي

- دلالة **مصطلح التداولية** في حد ذاته وتجليها في فكر طه عبد الرحمن و التعرف على **قيمة التراث** عنده و محاولة الوقوف على المنهج المتبع في تقويمه كإجابة تفضي إلى المساهمة في إغناء هذه الجوانب – و لو بشيء بسيط– و تقديم حلول لهذه المعضلات التي تؤرق هاجس المفكر العربي ، و هكذا تنتعث الأسئلة و تتوالد لتصير نقاشا نقديا حادا يريد من خلاله الدارسين البحث عن إجابات لجملة من الطروحات : ما العلاقة التي تجعل الحداثة في وضع مقابل للمناهج ؟ و كيف أمكن للحداثة عزل سلطة التراث و آليات تقويمه و إنتاج مناهج مغايرة تجسد الحرية التامة للإبداع دونما تعقيد و مبالغة فيه ؟ ما الصلة التي تجمع التراث بالحداثة و أوجه التعالق و التفارق بينهما ؟

و هل المنهج في حد ذاته يكون دائما موافقا للرؤية التراثية المحصورة أم لرحابة الحداثة المزيحة لكل ما هو مقيد و ثابت ؟

3-1- المبحث الأول : دلالة التداولية في فكر طه عبد الرحمن :

تعرف التداولية بأنها مجال متسع البحث فيه لتعدد المشارب التي تغذيه، فنجد علاقات هذه المقاربة كثيرة بعلوم من قبيل: علم النفس، البلاغة، علم أصول الفقه، علم المنطق، علم النحو، علم الأنثروبولوجيا ، و علم الدلالة و غيرها من العلوم ، لكن تركيزنا في دراستنا هاته سوف ينصب على علاقة التداولية بالأدب و النقد، دون إغفال تكامل كل هذه العلوم مع بعضها البعض، ففي البلاغة نجد علم النفس، مثلما في اللغة نجد الأدب و النقد ، و« يظهر الارتباط بين التداولية و الأدب في مسألة التوصيل Communication ؛ إذ يشترط توفر الصلة بين المؤلف و القارئ (المستمع) ، أضف إلى ذلك ما يهتم به في الأدب ، كالتمثيل و التعبير Representation، و هو من الأمور التي تعتمد عليها الدراسة التداولية في العصر الحديث »[1]، بوصفها فرعا مهما من فروع النقد و الأدب ، لذا تم تسليط الضوء عليها ، ليظهر اهتمام بعض المفكرين بفهم هذه الإشكاليات ، و على رأسهم طه عبد الرحمن التي أدرك أن كثير من الكتابات قد اجتاحها التراكم المعرفي ما سمح لها أن تكون عرضة للبحث و الدراسة ، من خلال اتجاهه النقدي المتزن الذي يرفض التبعية دائما وتجسده ضمن دراستيه الأولى المعنونة **بتجديد المنهج في تقويم التراث** ، والثانية التي توسم **بالتكوثر العقلي أو اللسان أو الميزان ضمن فصله الخطاب**

1 أبركرميسي لاسل، قواعد النقد الأدبي، تر: محمد عوض محمد ، لجنة التأليف، القاهرة ، 1936، ص.ص.18، 19.

التداولي بين الترجمة الأصيلة و الترجمة المنقولة عنها، محاولين التعرف على أهم المصطلحات التي توقف عندها، و التعددية التي مني بها مصطلح التداولية ، مع الكشف عن جملة الحلول التي تبدو في كتابيه ، و يقوم منهجه في انتقاء المصطلحات انطلاقا من قوتها التأثيرية و يسر تداولها ، لنجده يرتبها و يصنفها طبقا للضوابط التي تؤطرها بتأثيلها وفقا لسيرورتها الدلالية، و كذا التغيرات التي صادفت نزوحها من مجال إلى آخر، بذلك يكون انتقاؤه للمصطلح الأحسن و يستغني عن بقية المصطلحات المستهجنة ، و هذا يتم وفق المعيارين السابقين الذكر ، إذ لا يفوتنا أن نشير إلى منهج إحصاء الترجمات التي تقابل المفهوم الأجنبي إحصاءا موسعا و وافيا ، و ينسب كل مقابلا لصاحبه و المؤلف الذي ورد فيه ذكره ، و يرد التأثيل اللغوي للمصطلح الشائع في الفكر الغربي إلى الاشتقاق اللاتيني « و أما مصطلح التداولية في أصله الأجنبي pragmatique ، فإنه يعود إلى الكلمة اللاتينية pragmaticus المبنية على الجذر pragma ، و يعني العمل أو الفعلAction »[1]، ليكون طه عبد الرحمن من السابقين الأوائل ممن استجلبوا هذا المصطلح إلى الثقافة العربية، إذ يطالعنا بمفهومها فيقول عنها « ما كان مظهر من مظاهر التواصل و التفاعل بين صانعي التراث من عامة الناس وخاصتهم ... فالمقصود بمجال التداول في التجربة التراثية، هو إذن محل التواصل و التفاعل بين صانعي التراث » [2]، فالتداولية هي منهج تحليل بنية اللغة في سياقها الاستعمالي أي ؛ مراعاة السياق المشترك

1 نواري سعودي أبو زيد، في تداولية الخطاب الأدبي- المبادئ والإجراء، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط.1، 2009، ص.18.

2 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط.2، ص.244.

بين المرسل و المتلقي ضمن عملية التخاطب ، ذلك لأجل الوصول إلى المعنى و حصول عملية التأثير و التأثر ، و يتم ذلك بحسب القصد الذي يبثه المرسل في رسالته ، و كذا التجاوب الذي يبديه المتلقي لحظة استقبال الرسالة ، مع توفر الظروف اللازمة لتحقيق فاعلية الخطاب و ملائمته للمقام التواصلي بينهما، ثم يقدم الترجمة المفضلة لديه بشأن هذه التسمية و لقد « وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح (التداوليات) مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) ، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي (الاستعمال) و (التفاعل) معا. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم » [1]، يجنح طه عبد الرحمن إلى إحياء القاعدة القياسية في تفضيله لمصطلح **التداوليات** و هو مصطلح مبني قياسا على اللسانيات و الرياضيات و الصوتيات، بيد أن عبد المالك مرتاض يفضل **تداول** على **تداولية** دون الياء الصناعية « في حين أننا نشك في أنه كذلك بهذه الصيغة التي ورد عليها في أصل الاستعمال الغربي، لأن صيغة هذا الاستعمال – « pragmatique –pragmatics » – لا تدل على وجود ياء النزعة المعرفية (علمية أو فلسفية أو أدبية)، و التي يطلق عليها النحاة العرب ، بغير إقناع ، « الياء الصناعية »؛ فالأجانب يصطنعون صيغة أخرى لما يقابل هذه الياء (أو اللاحقة الثنائية على الأصح «ية») « pragmatisme –pragmatism » فكيف نترجم نحن العرب ، مفهومين اثنين ، في أصليهما ، بصيغة عربية واحدة ، و إنا لا ندري ماذا كان

1 طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الرباط ، المغرب، ط.2، 1986، ص.28.

النقاد العرب المعاصرون يطلقون على هذا المفهوم بالمعنى الثاني »[1]، و مثل هذا حذى ببعض المفكرين إلى إضافة ياء النزعة على زنة **(تداولية و تداوليات)** و هي فكرة تخترق النظام المتعارف عليه في ترجمة المصطلحات، أما بالنسبة لتسمية التداوليات فترجع إلى إحياء القاعدة المعروفة التي تأتي في شكلها متزامنة مع التراكيب الشهيرة (الرياضيات و اللسانيات و الصوتيات ، تركيزا فعليا على اللواحق الأخيرة (الألف و التاء و الياء الصناعية)، و بخلاف هذه الصياغة، بدا بعضهم مرتاحا لهذه الترجمة، إذ « استخرج أوائل علماء النحو العرب ياء ألحقوها بالمصدر فأطلقوا عليه : « المصدر الصناعي»، مثل قولهم : الكيفية من(كيف) ، و الإنسانية (من الإنسان) . و نحن نرى أن العربية العلمية تطورت فجاوزت هذا المفهوم؛ فقولهم: « الاشتراكية » لا تعني ياؤه أنها مصدر صناعي، بل ياء المذهبية أو ياء النزعة. فالمصدر الصناعي يمكن أن يلتمس في مثل قولهم: « انفتاحية النافذة » أي قابليتها للانفتاح. أما إن انصرف مثلا إلى قولهم : « السريالية ، أو «الرومنسية »، فالياء حينئذ يجب أن تقابل في اللغة الأجنبية ، فتأتي بمعنى الياء المذهبية ، لا الياء الصناعية : «Isme، Ism»، لا« Icité»[2]، إن القول بمصطلح تداوليات بالألف تسمية لا يوجد لها مضمون على زنة الرياضيات و اللسانيات و الصوتيات ، لأن اللاحقة **a** في نهاية التركيب لا أصل لها في اللغة الفرنسية بل في اللغة الإنكليزية، و يبدو **مصطلح التداول** أقرب إلى العربية ، و ليس لتثبيت

1 عبد المالك مرتاض، نظري النص الأدبي، مرجع سابق، ص.397.

2 المرجع نفسه ، (من الهامش)، ص.161.

ما حمله من دلالات ومضامين و معان أصيلة ، لكن نجد طه عبد الرحمن يفضل **مصطلح المجال التداولي أو التداول** و يضعه جنبا إلى جانب **مصطلح تداوليات،** و ما يعبر عنه بقوله « كما أننا وضعنا مصطلح (**المجال التداولي**) الذي يتردد في النص و الذي أخذ، هو الآخر يشق طريقه إلى كتابات الباحثين ، و قصدنا به كل المقتضيات العقدية و المعرفية و اللغوية – القريب منها و البعيد – المشتركة بين المتكلم و المخاطب و المقومة لاستعمال المتكلم لقول من الأقوال بوجه من الوجوه »[1]، و قد شدد طه عبد الرحمن على مصطلح المجال التداولي تجنبا لإحياء قاعدة الياء الصناعية التي لا تفي المعنى العربي حقه و تدخله في متاهات لحظة الترجمة و التعبير عن المفهوم الغربي، و يوافقه في ذلك مرتاض « ... ولذلك نقترح أن نطلق على مقابل المفهوم الأول « التداول » (أي تداول اللغة) (دون لاحقة« ية») ، المفهوم الآخر المنصرف إلى النزعة المذهبية : « التداولية »؛ و ذلك حتى نطوع اللغة العربية من أجل تتقبل المفاهيم بالدقة المطلوبة ، ما أمكن ، فنميز بين المعاني المتقاربة ، و الدلالات اللطيفة ، في لغتنا المعاصرة »[2]، ما يركز عليه طه عبد الرحمن و عبد المالك مرتاض ضمان سلامة الاستعمال العربي المضبوط في تحديد المصطلحات القريبة من بعضها ، « ... بل إننا نتساءل عن وجود تداولية بصيغة المفرد، إذ نفضل اعتبارها تداوليات des pragmatiques و صيغة الجمع هذه ، ذات دلالة

1 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ،المصدر السابق، ص.ص.243، 272.

2 عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، مرجع سابق، ص.398.

تحقيرية (péjoratif) »[1]، قصارى القول أن تجربة المصطلح في الفكر الغربي حظيت برواج كبير بالرغم من كثرتها إذ لا حد لضخامتها، أما لدى الفكر العربي فقد تشعبت في ضوء الاستخدام المفرط لها بشكل مليئ بالغموض و الضبابية ، فتوظف توظيفا عشوائيا من دون أن يقدم تفسيرات أو تبريرات له ، إن كان على علم بالفكر الذي أنتج هذا المصطلح ، أم كان مغلوبا على أمره في تبنيه له دون غيره من المصطلحات ، هذا كله كحصيلة لإتباع منهج التأويل لا منهج التفسير الذي أفضى إلى تعدد القراءات الكثيرة في هذا المجال ، فمنهج طه عبد الرحمن يقوم على انتقاء المصطلح المناسب للمفهوم الأجنبي ، فيقول « من المعروف أن الفعل: « تداول » في قولنا : « تداول الناس كذا بينهم » يفيد معنى (تناقله الناس و أداروه فيما بينهم) ؛ و من المعروف أيضا أن مفهوم (النقل) و مفهوم (الدوران) مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة كما هما مستعملان في نطاق التجربة المحسوسة ؛ فيقال (نقل الكلام عن قائله) بمعنى رواه عنه، كما يقال (نقل الشيء عن موضعه) أي حركه منه ، و يقال دار على الألسن بمعنى جرى عليها، فالنقل و الدوران يدلان بذلك ، في استخدامهما التجريبي على معنى الحركة بين الفاعلين ، أو قل على معنى التفاعل ، فيكون التداول جامعا بين جانبين اثنين هما : التواصل و التفاعل ؛ فمقتضى التداول ؛ إذن ، أن يكون القول موصولا بالفعل»[2] ، هكذا تجمع جل الكتابات في المعاجم والمؤلفات على الجذر دول الذي يحمل في ثناياه مضمون التحول و التنقل

1 فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، مرجع سابق، ص.18.

2 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص. 244.

المستمد من المصدر ، الذي لا يتم دون وجود أطراف العملية التواصلية (المتكلم و السامع مع وجود السياق المشترك بينهما)، من هنا كان مصطلح التداولية أكثر استقرارا من باقي الترجمات للمفهوم الأجنبي **(pragmatique)** ، التي تبدو« ... و تختلف دلالتها حسب الحقل الذي نبعت منه كالفلسفة ، و اللسانيات، و الاتصال، على أن سمتها الغالبة تظل توجهها العلمي، و نتيجة لتداخل حقولها بحقول مجاورة فإن لها كثيرا من الترجمات في اللغة العربية ، منها التبادلية و الاتصالية و النفعية إلى جانب الذرائعية»[1] ، و هكذا تظهر لنا الترجمات المقابلة للمفهوم الأجنبي ، التي من بينها **التبادلية و الاتصالية و النفعية** و يظهر ترجيح بعض المفكرين لمصطلح الذرائعية و يسمونه **بالذرائعية الجديدة** اعتقادا منهم بأنها ستفي الترجمة حقها، فيما يستقر آخرون على **مصطلح التخاطب أو المجال التخاطبي** بدليل أن « علم التخاطب " pragmatics " الذي يترجمه بعض اللسانيين العرب بالذرائعية حينا ، و التداولية ، أو النفعية حينا آخر، و هي تراجم غير موفقة ، لأن هذا المصطلح (و هو إغريقي الأصل) يفسره الغربيون بأنه علم الاستعمال" the science of use " و على الرغم من أن الاستعمال في التراث العربي، و الإسلامي ، لم يصبح علما لغويا مستقلا كما حدث للوضع ، فإن تسمية " pragmatics " بعلم الاستعمال قد تكون أفضل من غيرها مما ذكر ، و إن كنت أفضل ترجمته بعلم التخاطب ، و هي ترجمة تراعي ما

1 ميجان الرويلي وسعد البازعي ، دليل الناقد الأدبي ، مرجع سابق، ص.167.

صدق اللفظ لا مفهومه بالمعنى المنطقي للمصطلحين »[1]، من هذا المنظور يتجه كثير من المفكرين إلى تبني تسمية **علم التخاطب** بدلا من **علم الاستعمال** أو حتى من التداولية ، هذا الرأي يطرح استنادا إلى الحجج التي قدموها في تصوراتهم، لكن نجد طه عبد الرحمن لا يحبذ تسمية **التداولية بعلم التخاطب** « و اعلم أخيرا أن مجال التداول ليس هو (المجال التخاطبي) و إن كان يتفق معه في بعض الأوصاف؛ فهو ، و إن تعلق بالأقوال و المعارف و المعتقدات المشتركة مثله ، فإنه يستعملها استعمالا جزئيا ، دائما لا وقتيا ، أما المجال التخاطبي، فتدخل فيه هذه العناصر التداولية بوصف المتكلم و المخاطب مستحضرين لبعضها عند فتح باب التخاطب بينهما، (...) و هكذا فإن المجال التخاطبي محدود من جهتين : من جهة عدد العناصر التداولية المستعملة و من جهة زمان هذا الاستعمال ، و هو الوقت الذي تستغرقه المخاطبة ؛ في حين يخلو مجال التداول من هذين القيدين، فهو يشتمل على كل العناصر التداولية »[2] ، و هنا يبدو جليا الإطناب و الحشو الذي تبثه التسميات، تلك التي قد لا يستقيم عليها القياس مثل تسمية (علم التخاطب) ، ثم إضافة مفردة (علم أو مجال) – كما أفدنا أعلاه– لا يتطابق لفظه مع معناه ، نجد إنكارا في إمكانية الجمع بين مركبين اثنين (**علم**) و(**تخاطب**) و(**علم**) و(**استعمال**) ، و هكذا بعد معالجة أهم الترجمات التي يتبناها طه عبد الرحمن و الآراء التي يستقر عليها

1 محمد محمد يونس علي، مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي – ليبيا ، ط.1، 2004، (من المقدمة) ، ص. 04.

2 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص. 247.

في ترجيحه **مصطلح تداولية** لـ **(pragmatique)**، الأمر الذي يجعله شائعا و متداولا مقارنة مع باقي المصطلحات هذا من جهة ، لكن يجب الانتباه إلى قضية جد مهمة أن شيوع المصطلح و جريانه على الألسن و كثرة تداوله ، لا يلغي ابتعاده عن دائرة الخطأ و مناسبته للآليات صياغته، ذلك الشيوع و التداول لا يأخذ بعين الاعتبار صحة المصطلح و خطأه ، فقد يتداول مصطلحا ما يذاع و يصير شائعا على عواهنه و أخطائه، فيفضل على مرادف له لا علة فيه سوى أنه أقل شهرة و شيوعا ، ذلك امتثالا القاعدة القائلة (من شب على شيء شاب عليه) فيصير من الصعب محوه أو تغيره من عقول الناس و تفكيرهم « تغير مصطلح فيه ما في تغير اسم إنسان من عنت و اختلاط »[1] ، لذلك عد الدارسون المعيار التداولي شرطا في نجاح مطابقة المصطلح للمفهوم المراد التعبير عنه ، و ليتم الأخذ به يجب خلوه من الأخطاء و العلل ليسهل التعبير عن مفهوم بعينه ، و هكذا يغوص طه عبد الرحمن في معالجة المصطلح النقدي إلى عمق السمة الدلالية المشكلة لأصوله المعرفية ، و ذلك عبر المجال التداولي ، فما يميزه دراسته الإيتمولوجية (تأثيلية أو تأصيلية أو اشتقاقية ...) تعبيرا عن المضمون الفعلي لكلمة « étymologie و هو دراسة أصل الكلماتو تطورها »[2] ، لتكون دراسات طه عبد الرحمن مبنية على ما يعرف **بحفريات المصطلح** مع استحضار كل البدايات و التحديدات الأولية له أو لغيره ، وكذا المعطيات التاريخية التي أسهمت في ظهوره ، و المنابع التي استمد منها تطوره التاريخي ، « ...

1 عبد الله الغذامي ، الصوت القديم الجديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987، ص.14.

2 Lyons John، language linguistics : An introduction cam- bridge، cam bridge university press ،1981 ، p:55.

و كل ما من شأنه أن يشكل استحضارا للمراحل الدلالية التي مر بها تاريخ مصطلح ما في تطوره و التي تؤسس للدلالة الاصطلاحية النهائية للمفهوم ، و هذا ما عبر عنه الغذامي بذاكرة المصطلح »[1]، من هنا فإن حفريات المصطلح لدى طه عبد الرحمن تختلف تماما عما جاء به ميشال فوكو ضمن ما يعرف في الساحة الثقافية حفريات المعرفة رغم التقارب الحاصل بينهما « ... فليس للفظ الحفريات بتاتا قيمة استشراف أو استباق، بل يشير فقط لأحد خطوط المواجهة لأجل تحليل الإنجازات الفعلية، و إضفاء الصفة النوعية على مستوى العبارة و نظام احتفاظها، تحديد ميدان ما و تسليط الأضواء عليه : إنه ميدان الانتظامات العبارية و الوضعيات، و إدخال بعض المفاهيم كقواعد التكوين و الاشتقاق الحفري و القبلي التاريخي و إشراكها »[2]، لقد بدا التوافق جليا بين حفريات المعرفة لدى ميشال فوكو و حفريات المصطلح في فكر طه عبد الرحمن التي يؤكدها عبد الله الغذامي من خلال تسمية **(ذاكرة المصطلح)** المتجسدة في البحث عن أصوله الأولى و انتظامه و كذا حفريات فوكو المعرفية التي تفتش عن انتظام العبارة و تآلفها ضمن مجال معرفي موحد من خلال التأكيد على فكرة الرجوع إلى ينابيع المعرفة في مهادها التاريخي ، لكن الخلاف كذلك يفرض نفسه و يطغى على حيز التوافق من خلال اختلاف في الرؤية المفهومية فكل مجال معرفي له مصطلحاته و دائرة اختصاصه ، و هذا ما يؤكده فوكو في حديثه أيضا عن حفرياته بقوله « ... غير أن المشروع يرتبط : في جل أبعاده ، بالعلوم

1 عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط.1، 2000، ص.53.

2 ميشال فوكو ، حفريات المعرفة ، تر : سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان، ط.2، 1987، ص.187.

و بالتحليلات التي هي من النوع العلمي أو بنظريات تستوفي مقاييس الدقة »[1]، بالرغم من أن تسمية حفريات المصطلح لم تظهر كلفظة في لغة طه عبد الرحمن ، بل تجلت في استعمالاته و فكره الذي يشع عطاءا، و طرائق تحليلاته و كيفيات حكمه على رفض مصطلح ما أو استهجانه، فلا يمكننا نسيان أو إغفال طرائق الجداول الإحصائية التي يستخدمها لإحصاء و فرز الترجمات المختلفة المعبرة عن المفهوم الأجنبي ، ففي معالجته لمصطلح **(pragmatique)** يعرض و يفرز الترجمات المختلفة لها و التي لا حد لكثرتها و ضخامتها ، يقول « لقد غلب على الباحثين العرب في وضع مصطلحاتهم العلمية و بناء أجهزتهم الوصفية و التفسيرية الاشتغال بقوالب و معايير اللغة الأجنبية : الفرنسية و الإنجليزية ، فلا نكاد نجد عند معظمهم من المعاني العلمية إلا ما كان نقلا حرفيا لمصطلحات أجنبية من غير وعي بأصول بعضها النسبية ، و فائدتها المحدودة ، و بلغ سلطان هذه المعايير على هؤلاء درجة أصبحت معها ألفاظهم (أشكالا منقطعة) الصلة بدلالاتها اللغوية و فاقدة لأسباب الإنتاج و التغيير في الفكر العلمي »[2]، و هكذا يتابع حديثه عن **التداولية** و يحصي أشباهها من عمق التراث و هي كالآتي :

أ/ مجال التداول أو المجال التداولي : و هو المصطلح الذي يفضله على باقي المصطلحات ، إذ يقول « و لقد وضعنا مصطلح (مجال التداول) أو (المجال التداولي) منذ أول اشتغالنا بالنظر في الممارسة التراثية في مطلع العقد السابع، و ذلك لحاجة اقتضاها

1 ميشال فوكو ، حفريات المعرفة ، تر : سالم يفوت ، مرجع سابق ، ص.187.

2 طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وعلم الكلام، مرجع سابق، ص.29.

هذا النظر ؛ و منذ ذلك الحين ما زالت فائدة هذا المصطلح تتزايد في أعين الباحثين الذين تلقوه بالقبول ، سواء منهم الذين يشتغلون بالتراث ، أو أولئك الذين تعاطون الدراسات اللغوية »[1]، هكذا يعكس استعمال طه عبد الرحمن لمصطلح التداول تلقيا جماعيا من المفكرين ، متماسكا تشده روح التناسق و الانسجام ، فهو قائم على القبول من لدنهم ، إذ المؤشرات كلها تدل على تزايد قيمته في أعينهم، لكن مع هذا التزايد نلفي مقترحات لترسيم مصطلحات أخرى عوضا عن **المجال التداولي أو مجال التداول.**

ب/ المجال التخاطبي : يدعو كثير من الباحثين إلى ترسيم مصطلح **المجال التخاطبي** بدلا من **مصطلح مجال التداول** الذي جاء به طه عبد الرحمن ، و« اعلم أخيرا أن مجال التداول ليس هو المجال التخاطبي »[2] ، و هو الأمر الذي يفنده طه عبد الرحمن ، **فمجال التداول** شيء و **المجال التخاطبي** شيء آخر رغم ما بينهما من تجاذبات و تقابلات في الأصول المعرفية المتعارف عليها .

ج/ التواصل أو التواصلية : و عنه يتحدث « يظل لفظ (التواصل) على تداول الألسن له و وروده في قطاعات مختلفة ، لفظا يكتنفه الغموض، فقد يدل على معان ثلاثة متمايزة فيما بينها: أحدهما: نقل الخبر؛ و لنصطلح على تسمية هذا النقل بـ « الوصل » ، الثاني: نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر الذي هو المتكلم، و لنطلق على هذا الضرب من النقل اسم « الإيصال» ، الثالث: نقل الخبر مع اعتبار مصدر الخبر هو المتكلم و مقصده الذي هو

1 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص.244.

2 المصدر نفسه ، ص.247.

المستمع ؛ و لندع هذا النوع من النقل باسم (الاتصال) »[1]، ليتنبه طه عبد الرحمن إلى فكرة هامة هي افتقار المفكر العربي إلى التناسق و الانسجام في انتقاء المصطلحات المناسبة ، و يدركه هذا الشيء و يصبح حقيقة ثابتة في ذاته قبل غيره ، لكن سرعان ما تبهت إرادته ، فهو يقترح مصطلحا اليوم لنجده يعدل عنه غدا ، لذلك فطه بعد مناقشة كثير من الترجمات يستحسن قليل منها و يستهجن الكثير كونها لا تفي المضمون حقه .

3-2- المبحث الثاني : دراسة نقد- نقدية لمصطلحات المجال التداولي : تتواصل أبحاث طه عبد الرحمن في المقاربة التداولية دائما و بالضوابط المنهجية ذاتها ، يصنف و يحصي و يقارن و يحلل تحليلا تأثيليا معمقا لبعض **مصطلحات المجال التداولي** و هذه المصطلحات من قبيل :

3-2-1-النص : يعالج طه عبد الرحمن المفهومين الأجنبيين **(Textualisation ، Textualité)** المقابلين لمصطلح النص ، وندرك من هذه المعالجة ترجمات أخرى لـ : سعيد علوش الذي يفضل **مصطلحي (النصية ، و التنصيص) و حسن خمري** يستوحي مصطلحين أيضا **(التنصيص و النصوصية)**، و الغذامي الذي يفضل تسمية **(النصوصية)** أما مرتاض يصطنع تسمية **(النصنصة)** ، التي يسم بها « معاناة الظروف التي يخرج فيها النص من العدم إلى الوجود ، لكن لا أحد منهم اصطنع مصطلح **(النسج)** ، مع أن لفظه ورد بمعناه صراحة في المعاجم العربية مما يدل على أنه كان متداولا بين

1 طه عبد الرحمن، التواصل والحجاج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، أكادير ، المغرب ، د.ط، 1993، 1994، ص.05.

عامة (المثقفين العرب و الآية على ذلك ما استشهدنا به منذ حين من متون المعاجم العربية و من كلام الجاحظ معا) ، بيد أن النقاد لقلتهم في التراث العربي لم يبلوروا هذا المصطلح و لم يبحثوا في شأنه تنظيرا و تطبيقا ، و لكل شيء أوانه »[1]، و هكذا يبدو أن طه عبد الرحمن يزكي **مصطلح (النسج)** في تعالقه مع **مصطلح (النص)** من حيث المضمون لا من حيث الشكل ، فهو يلمح إليه دون ذكره لفظا صريحا ، إذ « سلم بأن كل نص حامل لمضمون مخصوص، و أن كل مضمون مبني بوسائل معينة و مصوغ على كيفيات محددة »[2] ، هكذا فالنص **(texte)** مشتق من الكلمة اللاتينية **(textes)** معناها نسيج أي؛ سلسلة من الجمل و الملفوظات المنسوجة دلاليا ، و من هذا كله يتشكل رؤية طه عبد الرحمن للنص، إذ يجعله نسيجا حامل لمضمون محدد و قائم على أسس معينة ، و هكذا مثلما يتعامل مع مصطلح النص نجده يتعامل مع مصطلح آخر(**الحيز**) .

3-2-2-الحيز : يرجع طه عبد الرحمن **مصطلح الحيز** إلى أصوله في لغته الأصل مع إحصاء المقابلات له، و نذكر منها: **الحيز، الفضاء، فضاءات بصيغة الجمع، أفضية ، الفضاء الأدبي، المجال و هلم جرا** ، لكن يفضل **المجال** انطلاقا من دقة الكلمة و مناسبتها المفهوم ، إذ يقول متحدثا عن **المجال التداولي** «... فيكون المجال هو(موضع الدوران) ، مما يجعل هذا المفهوم يشترك مع التداول في معنى الحركة ، فيكون المراد من إضافته إلى التداول هو تحديد مكان و زمان هذه النقلة أو الحركة ، نطقا كانت أو حسنا ، هذا فيما

1 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، مرجع سابق ، ص.52.

2 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث، مصدر سابق، ص.23.

يخص المعنى الأصلي للفظ (**التداول)** و لفظ المجال »[1]، ومن القضايا التي يناقشها طه عبد الرحمن و هي ذات أهمية بالغة تعدد الصيغ الصرفية للمصطلح الواحد ، وهذا ما يحدث بالنسبة لـ (**Espace**) الفرنسية و مشتقاتها، فمرتاض يرى « الحق أننا عدلنا عن اصطناع (الفضاء) إلى مصطلح (الحيز) ، لأن الفضاء عام جدا، في رأينا ، و قد تسرب إلى أكثر من حقل معرفي معاصر فاصطنع فيه ، إذ يوجد ، مثلا ، في لغة القانون الدولي : (حق الفضاء droit de l'espace) ، (أو حق المرور الفضائي)، و (غزو الفضاء conquête de l'espace)، و (الفضاء المعماري espace l' architectural) ، و (الفضاء التحليلي Espace analytique)، و(الأفضية و الوظيفة Espace fonctionnels) المستخدم في التحليل الرياضياتي ، و(الفضاء الجغرافي)، و ذلك بالقياس إلى الفضاء الفلسفي (...) يضاف إلى ذلك بعض المعاني الأخر لهذا اللفظ ، مثل المصطلح النازي ، و هو الفضاء الحيوي (Espace vital) ، و هلم جرا »[2] ، فمصطلح الحيز من أحسن المصطلحات شمولية بالمفهوم من كل جوانبه ، أما عن باقي الترجمات فهي محدودة القوة الاصطلاحية أو ضئيلة الحظ التداولي، و قليلة القوة المفهومية و التأثيرية ، أما استعمال مصطلح (**الحيز**) الذي قد يحيل على مركبات صعبة النطق و تكون منفرة و غير محبذة و من بين هذه المركبات: **حيزية ، تحيزية ، الفضائية، التفضية ، التحييز ، التحيز ، الحيزة** ، و هناك

1 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث، مصدر سابق، ص.244.

2 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي، مرجع سابق، ص.298.

يستعمل (فضاءات) بصيغة الجمع، و هو جمع عقيم يكثر فيه الجدال ، لذلك « قد يجمع هذا اللفظ على (فضاءات) و هو الجمع الرديء ، لأن الجمع القياس هو (أفضية) و هو لغة ابن منظور ، لسان العرب ، فليختر كل و ما يشاء »[1] ، و إذا تأملنا المركبات السابقة الذكر : **حيزية – تحزية– الفضائية – التفضية – التحيز – التحييز – الحيززة– فضاءات – أفضية** لأدركنا أنها متناقضة في مجملها و هذا لأسباب : غياب مفهوم واضح و دقيق لمفهوم الحيز في البحوث التداولية ، إذ كثيرا ما يلتبس على الدارسين إدراكه ، لذا وجب تحديد ما يفهم حدسيا لكلمة حيز من جانب ، وما تدل عليه باقي المصطلحات و المفاهيم من جانب آخر ، لتتضح قراءة طه عبد الرحمن التي يسم بها مفهوم **(Espace)** و يقابله **بمصطلح (المجال)** و يستند فيها إلى أصول و منطلقات معرفية عميقة ، فالبرغم من أن الكثير من المفكرين يرون أن مصطلح الحيز مناسب شكلا و مضمونا للمفهوم الأجنبي ، و بعد الرجوع إلى أمهات الكتب و البحث في كلا المادتين في أصولهما اللغوية – يتوصل إلى أن **مصطلح المجال** أثبت من **الحيز و الفضاء**، إنطلاقا من « أن مصطلح الحيز (Space–Espace) ، لا يبرح قار ، لا يجمع في الاستعمال (...) العالمي (من حيث المفهوم)، و لا في الاستعمال (...) الغربي المعاصر من حيث هو مصطلح ؛ بل و لا في الاستعمال الفلسفي أيضا، كما سنرى بعد حين ، كما أن مفهوم الحيز ينشأ عنه بالضرورة الحديث عما يمكن أن نطلق عليه في اللغة العربية (التحيز) »[2]، هكذا يبدو

1 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي، مرجع سابق، ص.297.

2 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

مفهوم الحيز محصور و ضيق أكثر مما يجب و غير متناسق في دلالاته ، الفكرة التي تبدو على حد تعبير مرتاض* .

3-2-3-الزمانية و المكانية : تتواصل مناقشات و أفكار طه عبد الرحمن مع رحلة المصطلحات و المفاهيم، و هذه المرة يناقش المفهومين الأجنبيين : **(Temporal) الزمانية** **(Spatical) المكانية** ، إذ أن « المجال ، في سياق هذه الممارسة ، و هو وصف لكل ما كان نطاقا مكانيا و زمانيا لحصول التواصل والتفاعل »[1]، حيث يعمل على تأصيل هذين المفهومين في لغتهما الأم ثم يقابلها بجملة من الترجمات ، وينطلق في هذه المرحلة من ترشيحه بالتمسك بمصطلح **(المجال)** و اكتفاءه به دون باقي الترجمات التي استبعدها من قاموسه المصطلحي، و ربما كان استبعاده لها درءا لأي إسهال اصطلاحي يشوبها أو يزيد من حدتها و من حيرة المتلقي و تصرف ذهنه إلى مضامين مشتتة و معقدة في آن واحد ، لكن من وجهة نظرنا يبدو أن لفظة المكان أقرب للتعبير عن المفهوم الأجنبي و أثبت من مصطلحات المجال و الفضاء و الحيز ، ذلك أنه عند الجمع بين **مركبي الزمان و المكان** نقول : **الزمكان** ، و هكذا فالقول بتسمية المكان بموجب وضع حدود فاصلة بينها و بين تسمية الفضاء ، و هذا كله يحيلنا إلى قاعدة مفادها أن : المكان في الخطاب النقدي يرتبط ارتباطا وثيقا بالنموذج الرئيسي هو: الزمن، فلا يمكن القول بلفظة المكان دون الزمان

* الحيز: فكأن الحيز خاص، والفضاء عام ، فقد يكون مع الحيز فضاء ، في حين أن لا مناص من وجود الحيز في الفضاء، المصدر نفسه، ص.298.

1 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، المصدر السابق، ص.244.

، و لا يمكن تصور زمان دون مكان وسط كل هذه المفاهيم المتشاكلة ليلحظ المتتبع للفكر التداولي العربي ضبابية و غموضا في تشكيل هذا المصطلح أو ذاك بين ضفة المشرق و ضفة المغرب، ليفصل الدارسون بين مصطلحات من قبيل: **المجال و المكان و الفضاء و الحيز و البيئة و الفراغ و هلم جرا** التي تقابل المفاهيم الأجنبية سواء الإنجليزية أو الفرنسية ، مع ذلك نجد أن تفكير النقاد العرب لم ينصرف يومئذ إلى هذا المفهوم الذي كان بارزا في الساحة النقدية الغربية منذ زمن بعيد، و لقد « أقر عبد الملك مرتاض على أن مصطلح الحيز من ابتداعه دون سواه، و الفضاء مصطلح شائع بين كثير من النقاد العرب المعاصرين و جديد في الاستعمال النقدي العربي المعاصر»[1]، و هكذا يفرق عبد المالك مرتاض بين حيز و فضاء، فهو يعتبر مصطلح (**الفضاء**) قاصرا قياسا بالنسبة لمصطلح (**الحيز**) ، باعتبار أنالفضاء يكون في معناه خال و فارغ غير ممتلئ، أما الحيز فينم عن الكثرة و الامتلاء، لذلك من منظوره يفضل **مصطلح (الحيز)** ، و غير بعيدا عن المصطلح الفرنسي (**Espace-temps**) نجد بعض المفكرين يدمجون اللفظين معا (**الزمان**) و(**المكان**) مستحسنين مصطلح (**الزمكان**) ، لذا وجب الإشارة و التنبيه إلى أمر جد مهم يتعلق بالنقاد المشارقة و المغاربة، ممن يحبذون استخدام لفظة المكان و تفضيلها على لفظة الفضاء. و يضاف إلى كل ذلك ما جاءت به خالدة سعيد في القول بمصطلح الزمكان« لكونه علامة في سياق الزمن، و هكذا يتخذ المكان شخصية

1 عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب، ديسمبر 1998، ص.143.

زمانية »[1]، تتخذ الباحثة مصطلح (**الزمكان)** موضوعا لتصورها ، وكذلك محمد برادة يطرح العلاقة بينهما « و هي العلاقة التي تشخص جدلية الواقع في الحياة »[2]، ويرى الروائي السوري وليد إخلاصي من منظوره ، أن « المكان عندي هو الزمكان، أي الزمن و المكان »[3]، و انصرف باحثون آخرون إلى القول بمصطلح من مثل: البيئة ، أما طه عبد الرحمن يفضل مصطلح المكان إلى جانب مصطلح المجال لأنه يرى فيه أكثر ثبوتا و نفعا لغيره من المصطلحات ، من هنا فإن المكان و الفضاء و المجال و الحيز تسميات للفظة واحدة تنم عن مساحة خارجية تتضاعف قيمتها كلما تداخلت بالمؤلفات النقدية التي تتخذ من جغرافية الزمن بكل شموليتها موضوعا لبحثها و تفكيرها، لكن يجمع جل الباحثين على أن مصطلحي (المكان) و (الزمان) أثبت من أي مصطلحات أخرى ، ليجتمعان تحت مركب اسمي واحد يعرف بالزمكان، إن ما قيل عن المكان يصح أيضا عن الزمان و سنركز الانتباه على كل ما يمكن أن يظهر تعدد وجهات النظر في إيجاد مصطلحات تعبر عن المفهوم الأجنبي ، و المطلع على الكتب و المدونات النقدية يلحظ أنها تزخر بالعديد من المصطلحات النقدية و غير النقدية المتنوعة، و مصطلح الزمان من بين هذه المصطلحات المتواترة فيها ، و قد ذهب النقاد إلى ترجمة هذا المفهوم نقلا عن اللغتين الفرنسية و الإنكليزية، و يترجم مصطلح (الزمان) « نقلا عن اللفظتين الشائعتين:

1 خالدة سعيد، حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة، بيروت ط.1، 1979 ص.29.

2 محمد برادة وآخرون، الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد للطباعة والنشر، لبنان ط.1، ص.396.

3 لؤي علي خليل، المكان في قصص وليد إخلاصي، مجلة أبحاث الفكر، الكويت، م 25،ع.4، أبريل، 1997 ، ص.24.

(Time –Temps) الاسم المنقول إلى الإنكليزية (Time) الدال على الماضي و المستقبل و لا وجود للحاضر، في حين أن الزمن (temps–tense) المقصود به الزمن النحوي الذي يعبر عنه بالفعل المضارع تعبيرا لا يستند إلى دلالات زمانية فلسفية و إنما يبنى على استخدام القيم الخلافية بين الصيغ »[1] إذ كثير منهم يعتبر كل من الزمان و الزمن شيئا واحد ، و هذا ما تؤكده أمينة رشيد إبراهيم في استعمالها مصطلح الزمان ، فقد « أثارت عنصر الزمان باعتباره عنصرا من عناصر الرواية، له دوره الفعال في النص الروائي، شأنه شأن المكان، إذ للمكان دور مكمل لدور الإنسان في تحديد دلالة الرواية. و تأطير المادة الحكائية و تنظيم الأحداث»[2] ، من ذلك تتجلى علاقة المكان و الزمان و تتشكل وفق معطيات و أسس محددة ، و يبدو شبه إجماع لدى النقاد على المصطلح في صيغتين اثنتين زمان أو زمن ، ليكون الاجتماع الكلي للمركبين زمان و مكان كما يأمل طه عبد الرحمن بعبارة نطاقا زمانيا و مكانيا .

3-3-المبحث الثالث: قيمة التراث عند طه عبد الرحمن :

3-3-1- التراث ومسألة المنهج :

لا تكاد تخلو جلسة نقدية من الحديث عن المنهج و حساسيته ، و هذا يقودنا إلى التعرض لمسألة التراث و الحداثة ، و إذا وضعنا في خاطرنا أن التراث« تراثنا هو كأي تراث نتاج تاريخي ، و تاريخنا كأي تاريخ ، فيه المشرق و المظلم ، فيه الحرية و القهر ،

1 محمد رشاد الحمزاوي، المصطلحات اللغوية الحديثة ، مرجع سابق ، ص76 - 77.

2 أمنية رشيد، تشظي الزمن في الرواية الحديثة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998، ص.148.

فيه العدل والاستبداد »[1]، ليشكل التراث المرجعية الثقافية لأي أمة من الأمم ، و لذلك نسمه دوما بتلك النقلة النوعية المتمثلة في جملة السمات الحضارية المميزة لمجتمع ما من المجتمعات و التي من شأنها تغيير حياتها نحو الأحسن ، فوجب الاهتمام به و إعادة بعثه ونفض الغبار عنه ، و لكن الخطوة الأولية تتجلى في مهمة الانتقاء و من ثم الاستيعاب استيعابا موضوعيا بإدراكه و فهمه و تأويله نحو الأفضل و دمجه بالمعاصرة التي تعني في روحها استيعاب الحاضر – بكل تجلياته – و مد جسور التواصل بينه و بين التراث الإنساني العالمي ، أما « تحصين التراث وقطع الطريق أمام توظيفه توظيفا من أجل الاستبداد ، أما الأسس المعرفية و المنهجية التي تتيح لنا امتلاك تراثنا... إن كل ذلك في نظري يتوقف على تعميق الفكر النقدي و الرؤية النقدية للأمور»[2]، والأحرى من ذلك « إن الاستبداد لا ينجح في استغلال التراث إلا مع غياب الروح النقدية . إن غياب الروح النقدية هي التي تجعل الكذب على التاريخ ممكنا تماما مثلما أن التخدير الإيديولوجي هو الذي يجعل الكذب على الأحياء ممكنا »[3]، و هذا ما جعل التراث غير مقنع بالنسبة لمتلقيه و لنقاده و ذلك بسبب التخدير الإيديولوجي بما يعرف بهيمنة الأنساق و القوالب الجاهزة التي دائما في تجدد ، كل هذا جعل بعض الكتاب و المفكرين يقصون هذا الإرث و لا ينظرون إليه إلا بعين الدونية ، إذ « في تراثنا العربي الإسلامي مناطق مضيئة و مواقف مشرفة

1 محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي ، مرجع سابق ، ص.295.

2 المرجع نفسه ، ص.256.

المرجع نفسه ، ص.3.296

ظلت تخترق الأزمنة إلى أن أوصلتنا و منحتنا بالفعل قيمة الإحساس بجذورنا و ذاكرتنا »[1]، بالرغم من هذه المواقف المشرفة و المناطق المضيئة لا أحد يستطيع تجاهل و إنكار بعض المواقف الأخرى المظلمة في تراثنا ، إذ لكن « ثمة في هذا التراث ذاته جوانب و مواقف وسلوكات استبدادية »[2]، إن ما يظهر في تراثنا من مناطق مظلمة هو تعبير لا يحبذه كثير من المفكرين و أحسن الوصوف هو القول بأنها مواقف و جوانب و سلوكات استبدادية من صنع الإنسان ، ذلك الذي يقدح بالتراث من موقع سلطة استبدادية ، و هذا ما يلح عليه طه عبد الرحمن إلحاحا كثيرا ، إذ يقول « ... و لكم كان ذهولنا عظيما و نحن نرى صدور الأعمال إثر الأعمال، داعية إما إلى قطع الصلة بهذا الإرث المتفرد، و إما الاجتزاء بأقل بقية منه ، حتى لم يعد أهون على البعض من أن يشنع بالتراث و يقدح في أهله، وما أفقنا من هذا الذهول حتى سارعنا إلى تفحص أشهر هذه الأعمال واحدا واحدا، و تصفح ما حوته من نظريات واحدة واحدة، علنا نظفر فيها برقائق من العلم المكين أو بدقائق من المنهج المتين، نجعلها أسبابا لخروج أصحاب هذه الأعمال علينا بأحكامهم المميتة لشعورنا بالتراث، حتى طارت في الناس مطار نادر الأخبار، بل مطار سائر الأمثال »[3]، لتبدو الرؤى التجديدية له من ذلك أن تمسكنا بالتراث ليس من باب المحاكاة و التقليد لكل ما يضمه ، إذ ليس تكرارا و تمسكا به و وضعه فوق كل اعتبار على أنه أكملا وأمثلا بل رؤى تجديد و تطوير و استمرار لمهمة تنوير تلك الجوانب المظلمة و الاستبدادية فيه ، و هكذا بما أن

1 محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي ، مرجع سابق ، ص.295.

2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق ، ص.09.

النقاش يدور حول إشكالية التراث و تقويمه ، وجب علينا الحديث عن القطيعة التي كرسها الفكر الحداثي في تأسيسه لرؤى المناهج الحداثية ، من منطلق أن الحداثة « لم تكن نقطة بداية الشرخ ، بل كانت مرحلة متأخرة يرى البعض أنها بدأت بعد نكسة 1967 ثم أصبحت تيار قوي عالي الصوت مع صدور مجلة فصول العربية المصرية في بداية الثمانينات والواقع أن الحداثة وما بعدها كانتا نتيجة و لم تكن سببا ، صحيح أنهما تمثلان ذروة الانتماء في أحضان الثقافة الغربية ، لكنها ذروة سبقتها عملية اتجاه واعية و مدركة نحو الغرب وثقافته ، بدأت أثناء حكم محمد علي و تمثلت في تحديث التعليم و ابتعاث الشباب إلى أوروبا »[1]، و هكذا حصلت فكرة التحول في رؤى المنهج من طرائق التراث بكل ما فيها من ثراء و غنى و جوانب مشرقة و مظلمة إلى روح الحداثة بما فيها أيضا من انشطار و تشتت ، ولدا فعل القطيعة مع الارث التراثي، فلقد كان حجم الانشطار و الشرخ كبيرا اكتنف الذات العربية و أضعفها كثيرا و جعلها أسيرة انبهار زائف بحداثة الغرب و تبني أفكار دعاة الانقطاع عن التراث مرة واحدة « فلا شيء أصعب من أن ننظر إلى الحقائق كلها في وقت واحد، فكم يكون الاختيار سهلا لو تعامينا عن بعضنا و أصحاب الحداثة – كبارهم و صغارهم – يتجاهلون نقائص الحضارة الغربية مع علمهم بهذه النقائص كأن إيمانهم يتفوق العقل الغربي و نجاح المجتمع الغربي بلغ حد الإيمان بقدراتهم على التغلب على جميع المشكلات ، أو كأن التفكير في نقائص الحضارة الغربية يجب أن يؤجل إلى أن

1 عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة ، نحو نظرية عربية ثانية ، مرجع سابق، ص.25.

تصبح جزءا من هذه الحضارة بالفعل »[1]، هكذا يبدو أن المناداة بتبني القطيعة مع التراث حسب بعض المفكرين أمر صعب تحقيقه في الفكر العربي و ذلك للخصوصية الروحية و الفكرية التي تسم الذات و الهوية المشكلة له ، إضافة إلى ذلك « أنه غلب على نقاد التراث التوسل بأدوات البحث التي اصطنعها المحدثون من مفاهيم و مناهج و نظريات ، معتقدين أنهم قد استوفوا شرائط النظر العلمي الصحيح ؛ أو لم يدروا أنه ليس كل ما نقل عن المحدثين أولى بالثقة مما نقل عن المتقدمين ، و لا كل ما نسب إلى العلم الحديث بأقرب إلى الصواب مما نسب إلى العلم المتقدم (...) و حتى لو قدرنا أن المناهج الحديثة لا يضاهيها غيرها، و لا يبطلها مرور يسير الزمن عليها، فهل ملك هؤلاء المقلدون ناصية تقنياتها و تفننوا في استعمالها، حتى جاز لهم أن ينقلوها إلى غير أصولها، فيخرجون على مقتضاها، و يفتون بإلغائه أو بحصره ؟ »[2]، إن تعامل الباحث العربي مع مقتضيات التراث لا يجب أن يتم بطريقة حيادية ، بل على العكس من ذلك عبر علاقة جدلية يطبعها التواصل و الاستمرارية بين **التراث و المنهج** من جهة ، ومن جهة أخرى بين **التراث و الحداثة** ، ذلك أن « الارتباط بالتراث – خاصة في اتجاهاته المتقدمة – لا يعني إهمال ظروفه التاريخية ، بل يعني الوعي بها، إن الفارق بين الارتباط الذي يقوم على التقليد فارق جوهري ، الوعي يدرك التمايز بين الماضي و الحاضر ، و في الوقت نفسه الذي يدرك فيه جدلية العلاقة بينهما ، إنهما متمايزان متداخلان معرفيا ، بينهما لا يميز الارتباط التقليدي بين

1 عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة ، نحو نظرية عربية ثانية ، مرجع سابق ، ص.ص.17، 18.

2 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص.ص.10، 11.

هذين المستويين »[1]، تمتزج إشكالية المناهج المعاصرة مع التراث، ذلك أن كل هذه المناهج تشكل مرجعيات مهمة للحداثة وهي وسط كل ذلك تتجاوز السمات الفنية و القوالب الجاهزة الثابتة و الإيديولوجيات المتنوعة ، و التجديد في صورته الفعلية تجاوز للقوالب التقليدية، و بالتالي لكل الموروثات السابقة، و هذا ما يتضح من خلال نموذج الثنائيات و المقابلات التي تعبر عن إشكاليات: **المنهج – التراث –الحداثة**

- **المنهج ⟵ التراث ⟵ غياب سمة التقويم والتجديد (جمود وثبات)**

- **المنهج ⟵ الحداثة ⟵ تجدد واستمرارية و إزاحة لكل ما هو تقليدي و تجاوزه،**

و الحداثة بهذه المعطيات تزيح كل الموروثات و تضعها جانبا و تتعدى التراث و تقصي كل ما هو معروف و موجود مسبقا، قياسا على أنها إبداع و ابتكار، و« الإبداع دخول في المجهول لا في المعلوم »[2]، إنه نزوع فكري مشروط بابتكار أشكال و رؤى جديدة تختلف عن كل ما هو متعارف عليه تخالفه و لا تأتلف مع ما هو سابق و قبلي و جاهز ، و هكذا تظهر مهمة التقويم في أننا « لم نقابل الهدم بالهدم ، بل صرنا إلى مقابلة الهدم بالبناء ، فجعلنا اعتراضنا على الدعوة إلى الانقطاع عن التراث طريقا ممهدا لإنشاء نظرية مستقلة في تقويم التراث ، حرصنا أشد الحرص على أن تستوفي مسائلها مقتضيات المنهجية التي يزعم أصحاب هذه الدعوة القيام بها، حتى لا يكون الحق الذي نسبوه لأقوالهم ، بموجب هذه

1 نصر حامد أبو زيد ، إشكالية القراءة وآليات التأويل ،المركز الثقافي العربي، ط.4، 1996، ص.233.

2 المرجع نفسه ، ص.212.

المقتضيات ، ممنوعة نسبة إلى أقوال مخالفيهم ممن يدعون إلى تجديد الصلة بالتراث »[1]، و هكذا فإن الصلة بين التراث و مبدعيه لا تتأتى و لا ترتسم إلا بإفراغه من محمولاته و محاولة شحنه بدلالات تجديدية ، حتى يتسنى للمبدع صناعته و بناءه وفق لمكنوناته الإبداعية ، إذ « ليس التراث ما يصنعك بل ما تصنعه ، التراث ، الماضي نقطة مضيئة في مساحة معتمة شاسعة ، و أن ترتبط كمبدع بالماضي هو أن تبحث عن هذه النقطة المضيئة ، الوفاء لغير هذا البحث وفاء لسقوط مسبق »[2] ، فلحظة الابتكار « شيء آخر غير زمن التراث ، فالآثار الإبداعية ليست لكي تزكي الآثار اللاحقة أو تولدها و إنما هي لكي تشهد على عظمة الإنسان ، وعلى أنه كائن خلاق (أي أنها مجرد شواهد تاريخية كالاتجاهات التقدمية السياسية والثقافية)، ثم إنه الأثر الفني المعاصر و غير معاصر في آن، فاللحظة الإبداعية لا تتطابق بالضرورة زمن الراهن و قد يقيم في الماضي أو في الحاضر أو في المستقبل ، أو في هذه جميعا في آن معا ، و من هنا نفهم كيف أن لحظة الأثر الفني ليست بالضرورة لحظة الذوق السائد، صحيح أن بعض الآثار الفنية تحدد الذوق لكن الأصح أن الآثار العظيمة هي التي تحدد الذوق، تنسجم مع اللحظة ، أما الثانية فتخلقها ، الأولى تتابع تراثا أو تاريخا تندرج و تذوب فيه ، أما الثانية فتبدأ تاريخا، الأولى تدخل سلبيا رقما أو عددا في حركة التاريخ ، أما الثانية فتفاجأ هذه الحركة و تمنحها

1 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص.12.

2 أدونيس، الثابت والمتحول، (صدمة الحداثة)، دار العودة ، بيروت ، ط.4، 1983 ، ص.104.

بعدا آخر أو اتجاها آخر »[1]، هذا كله يؤكد صعوبة تحقيق حداثة عربية بعيدا عن الحداثة الغربية و مناهجها ، ليكون فعل الانفصال عن التراث ضرورة مهمة من ضروريات الحداثة الغربية ، أما عن حداثة النقاد العرب ففي تجسيدها لهذه الضرورة تقصي كل النماذج الشعرية و الثقافية ليصبح فعل القطيعة مع تراثنا و إرثنا الثقافي شرطا مهما لتبني مناهج الحداثة الغربية ، بدلا من البحث عن آليات تراثية تجديدية لتقويمه « و لقد نحونا في تقويم التراث منحى غير مسبوق و لا مألوف؛ فهو غير مسبوق ، لأننا نقول بالنظرة التكاملية حيث يقول غيرنا بالنظرة التفاضلية ؛ و هو غير مألوف، لأننا توسلنا فيه بأدوات (مأصولة) حيث توسل غيرنا بأدوات منقولة » [2]، يلح طه عبد الرحمن كثيرا على قضية الممارسة التراثية و مثبطات النظرة التفاضلية و المعوقات التي تفرزها في ذهنيات المفكر العربي، كالانغلاق و التحجر الثقافي و المبالغة في الترويج للأفكار الداعية للقطيعة مع التراث ، و بذلك أراد إنارة العقل العربي بآليات تجديدية لتقويمه التي تتيح له الإفادة منها و استثمارها في الممارسة الفكرية و التشديد على مواقفه من المفكر العربي (مبدعا كان أم ناقدا أو حتى باحثا) فعليه أن يستشعر المناطق المشرقة في التراث ، و كذلك استدراك كل الفجوات التي تطبعه بكل أشكاله ، فالحداثة المعاصرة « لا تجد مرجعياتها في ماضينا و لا في تراثنا ، بل هي نتاج أوروبي ، و بما أن الحضارة المعاصرة قد أخذت تعمم نموذج الحداثة الأوروبية على جميع منطق العالم فقد نشأ وضع فريد قوامه ظهر الحاجة

1 أدونيس ، الأصول، دار الساقي ، بيروت ، د.ط، ج.2، ص.104.

2 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص.12.

في الأقطار التي تقع خارج أوروبا وأمريكا الشمالية (التي هي امتداد حضاري لها) إلى الانخراط لا يمكن القيام بأي دور في التاريخ المعاصر ، و هذا الانخراط يتطلب إعداد الذات لتقبل الحداثة و تمثلها و الإبداع فيها مع الاحتفاظ بمقومات كيانها وعوامل خصوصيتها وشخصيتها »[1]، هذا الكلام يوحي بنداءات و استفسارات عن معضلات الصراع و خاصة أزمات الذات في رحلتها المحمومة للبحث عن البديل الذي يكرس القطيعة ، حتى و لو كان ذلك على حساب طمس و تشتت الهوية ، و تجاوز كل فعل يكرس السكون بدلا من الحركة، كما هو معلوم ومتعارف عليه لدى الحداثيين ، نموذجا ثابتا و جامدا سمته الموت و الانتهاء و الإزاحة النهائية ، و هكذا بدت لنا صور النقد المعاصر –و أيقوناته جزئية في تعامله مع التراث مركزا على فعلي المنهج و القطيعة ، لكنها قطيعة لا تتجاوز الشكل ومضمونه بل كانت تجاوزا لبعض القيم و الأسس الدينية و العادات و التقاليد الاجتماعية ، و كل الأسس و المعايير المألوفة في تصنيف الأعمال الأدبية و الحكم عليها « و ليس تكاثر الأعمال المشتغلة بالتراث ، دراسة و تقويما ، إلا دليلا قاطعا على الشعور بملازمة التراث لنا ، تاريخا و واقعا ، لكن أغلب هذه الأعمال التقويمية ، و إن شهدت على نفوذ التراث في وعينا ، فإنها تأخذ بتصور للمنهجية العلمية يضيق ضيقا عن استيفاء مقتضياته التاريخية و الواقعية ؛ كما أن هذا التصور الشائع ينظر إلى الحقيقة التراثية كما لو كانت حقيقة تاريخية غير دينية و غير قائمة على الوحي، تقبل أن ينزل عليها

1 محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، مرجع سابق، ص.293.

من المفاهيم و المناهج ما ينزل على التراث غير الديني » [1]، و هكذا فإن مفهوم المنهج لم يستقر على مضمون ثابت عبر مساراته النقدية انطلاقا من كونه يحتك بكثير من الاتجاهات الفكرية و الاجتماعية و الفلسفية و غيرها، و لذلك وقع على عاتق المفكرين واجب الإشارة إلى حصر دائرة المنهج باعتباره (آلية و وظيفة) و إدراك جملة النقلات التي تأذن بتحول مفهومه من المجال التراثي نحو فضاء (**الدراسات الحداثية studies Modérnte**)، إنه عصر النهايات لكل ما هو مقنن و مقعد و ثابت نحو الانزياح و التحول الحداثي لفهم و إدراك الأصول المشكلة للمناهج الحداثية ، فلا بد من الإلمام بمفهوم شامل لمصطلحي التراث والحداثة بين فكرتين متضادتين :

– **الرؤية المقدسة للتراث:** إن التراث رهين بأصوله و مرجعياته التاريخية و المعرفية رؤية مقدسة تمثلها جملة المواقف و الأفكار المثبتة في الحاضر ضمن منظومة النقد. ، فكان التمسك بهذا بالمنجز التراثي أمرا مقدسا إلى حد التعصب له.

– **دعوة للانقطاع عنه في الآن ذاته (التقديس / الانقطاع) :** هذه الثنائية التي وسمت مفهومي التراث و الحداثة هي التي أنتجت مفهوما مغايرا للفعل النقدي ، فعلاقة الحداثة بالتراث تتجسد تارة في تعالقهما و تارة أخرى في تعارضهما ، و هذا التعالق هو الذي أوجد فجوات و إشكالات مركزية ضمن بؤرة التقديس و الانقطاع ، و قد كانت وضعية الابتداء لفك غموض هذه الطروحات ، لا أقصد هنا أولئك الذين يقدحون في التراث دون علم أو دراية بل من قبيل سلطان العصبية الذي يحركهم ، وما « أن نهضنا بأول هذا العبء

1 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص.19.

الثقيل، حتى سعى إلينا من يثنينا عن عزيمتنا ، زاعما أنه ما كل حق يوالى ولا كل باطل يعادى ، و أن الثقافة قد صار حالها كحال السلطة لا تقوم إلا بسلطان العصبية ؛ ألا ترى أن العصبية بين أظهرنا ألوان وأشكال (...) و من كانت له عصبيته، الويل لمن يخالفه ، لكن الظفر بقواطع الحجج عندنا من الظهور بالعصبية ، لأن العصبية يطويها الزمن و قول الحق لا يطويه زمان و لا سلطان »[1]، بل المفكرين الذين يسعون إلى تجديد المناهج في تقويم التجربة التراثية و لا ينكرون الجوانب المظلمة فيها ، و كان هذا التجديد –مثبتا نوعا ما – بريشة بعض المفكرين الذين أسهموا في خط ملامح تجديدية في تقويمها، فوضعوا لها آليات و أسس تضبطها و نجد منهم: سعيد يقطين– سعيد علوش – عبد المالك مرتاض ، إضافة إلى طه عبد الرحمن ، و هكذا لا يمكن الحديث عن المنهج الذي تبناه في تقويمه، و نظرته التكاملية لإدراك مضامينها و فهمها ، دون أن نتعرض إلى مختلف الطرائق و الكيفيات التي بادرت إلى استيعاب التراث و محاولة فهمه ، و هذا المعطى يمكن التعبير عنه وفقا لمرتكزين أساسيين هما: « استراتيجيات القطعية مع التراث، و استراتيجيات إقامة الصلة مع التراث »*، هكذا تم التمييز بين صنفين من الفرق: فريقا متحمسا لتقويم التراث

1 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص.ص.12.11.

* يمكن تصنيف أصحاب هذا الاتجاه إلى فريقين: فريق يدعو إلى النهوض بالتراث من منطلق نقدي تجزيئي، يبتغي الوصل مع اللحظات التراثية القادرة على الإجابة عن راهن الأسئلة المطروحة على العالم العربي الإسلامي، يمثله المفكر محمد عابد الجابري. أما الفريق الآخر، فيدعو إلى النهوض بالتراث من منطلق نقدي تكاملي يبتغي تحقيق الوصل مع التراث في كليته، و يمثل هذا الاتجاه الدكتور طه عبد الرحمن، طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص.ص. 28/19.

و مد جسور الصلة معه ، و فريقا تغلب عليه فكرة القطيعة معه و حجته على ذلك تبنيه لأبحاث و مواضيع فكرية و فلسفية تمارس نقدها و تأثيرها عليه بقوة و بنوع من التقويض المبالغ فيه الذي ينفي و يزيح نهائيا صفة البناء لهذا الارث، مستندين في ذلك إلى طرائق الحداثة و أدواتها التقويضية في مواجهة هذا الأخير، و لعل أهم ما جاء به حداثة الفلسفة المعاصرة فكرتي: النقد و التقويض أو التفكيك ، و الحديث عن هذا الأمر يقودنا إلى ما يعرف بالتقويم المعاصر للتراث الذي اكتنفته النظرات و الرؤى التجزيئية التفاضلية التي عالجت الممارسة التراثية بطرائق و أدوات و آليات مجردة منقولة أفضت إلى تهميش هذا الإرث و تكبيله ، غافلة عن تلك الآليات التسديدية و التأنيسية التي تعالجه من منطلق نقدي تكاملي وفقا لضوابط و معايير محددة ،« و لقد نحونا في تقويم التراث منحى غير مسبوق ، و لا مألوف؛ فهو غير مسبوق ، لأننا نقول بالنظرة التكاملية ، حيث يقول غيرنا بالنظرة التفاضلية؛ و هو غير مألوف ، لأننا توسلنا فيه بأدوات مأصولة حيث توسل غيرنا بأدوات منقولة »[1]، إن التطاول الكثير و الصريح على التراث ، أدى بناقدنا إلى الذود عنه و الوقوف جنبا إلى جنب مع مؤيديه و انتقاد القادحين فيه عبر تعابير رنانة جميلة ، جسدت في قوالب و بوتقات بديعة و تجانست مضامينها في صورة رفيعة، تحوي دررا و كنوزا و خبايا معرفية و ثقافية خالصة تنم عن فكر صاحبها، و يقل وجودها الحي ويندر عند الفئة غير العالمة ، و إن القول على التراث بما ليس فيه و التجني عليه و قدحه دون علم أو

1 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص.12.

دراية ينم عن معرفة خاطئة و منهجية علمية ركيكة يشوبها الغموض و الاضطراب فتأتي في صورة مفككة و رثة ، من هنا يمكن القول أن الخوض في لجة التراث دون امتلاك آليات صحيحة و صارمة في المعالجة و دون التعمن الفعلي في الولوج لأغوار مكنوناته يعد تطاولا و إساءة علنية لا جدال فيها تحت غطاء تقويمه و من ثم، فإن التأني في الأحكام و التصرف في مثل هذه المواقف و الجدة في التحقق من أصول المعرفة و نظرياتها، و التأكد من نجاعة المناهج من جدواها يخلق و مروءة و شجاعة حقيقية ، وعدم إثارة الخنوع و الاستسلام لمثل هذه التطاولات جناية في حق التراث و حق أصحابه، و تكريس لعزف طويل لجهود المقبلين عليه و الملهمين برونقه و بهائه، و لقد أبان طه عبد الرحمان عن اهتمامه بجملة من الاجتهادات و النظريات التي تنبئ عن طرحه الموضوعي، و سخر جهوده للدفاع عن التراث بشموليته متوخيا آليات تبطل التقويم التفاضلي و النظرة التجزيئية له ، و ذلك كله استنادا على أدلة و حجج و ممارسات و مواقف حقيقة و منهجية له ، و ينصب جهد طه عبد الرحمن في محورية تفعيل رؤى جديدة في النظر إلى التراث على مرتكزين: الأول : ما ارتبط بمناهضة الفكر التجزيئي و التفاضلي المجرد للمحتوى التراثي و نقده و الكشف عن المواقف التي يمكن أن يبدو بها و التركيز على الأسباب و الحاجة التي أدت إلى ظهوره و تشكله ، إضافة إلى الكشف عن الخلايا التجزيئية المتصلة به سواء من قريب أم من بعيد، و قد انطلق طه عبد الرحمن من قضية تتجلى في « أن التقويم الذي يغلب عليه عملية الانشغال بمضامين النص التراثي، و لا ينظر البتة في

الوسائل اللغوية و المنطقية التي أنشئت و بلغت بها هذه المضامين، يقع في نظرة تجزيئية إلى التراث »[1]، تحمل قراءته للتراث رؤية ثنائية و مزدوجة تتجلى في إعادة بعث القسم المأصول منه والقيام في مناقشته على جملة لطرائق المنطقية و اللغوية دون إقصاء و تهميش للجانب المضموني أي؛ جعل كل ما يأتي من الثقافة الغربية (المنجز الغربي) عرضة للغربلة و محك الملاحظة و التصحيح الجاد كي يتأقلم مع حاضر الثقافة العربية ، بذلك يكون موافقا لمقتضيات التراث العربي شكلا و مضمونا و منهجا ، أما الثاني: تجديد النظر إلى التراث و استئناف بنائه : يشير طه إلى قضية مهمة في هذا المحور إلى أن التراث واحد في حد ذاته و متعدد القراء ، إذ حوله عديد الذوات القارئة له أو لنقل اختلاف القراءات والتصورات له، فيقول ذلك « أن التراث بوصفه جملة وقائع معلومة يبقى واحدا لا تعدد فيه، و لو أن الطرق الموصلة إلى هذه الوقائع هي بعدد المفكرين الذين اشتغلوا به وصفا أو نقدا »[2]، غير أن الكثرة الكاثرة التي أخذت التراث بالوصف و المعالجة و وضعه تحت محك النقد الجاد، سرعان ما فشلت في مهمة النهوض به و استئنافا لبنائه و بعث لمكنوناته ، و السبب في منظور طه عبد الرحمن وجود عجز في الفهم و الإدراك مما يؤدي إلى طريق مسدود في الحوار مع التراث فهو يتوسل بآليات حديثة مضبوطة ويحتكم في الآن نفسه إلى آليات استئناف و بناء النص التراثي نفسه، إضافة إلى الطرائق التقويمية لتجديد عطاء التراث و استئنافه التي ينتهجها ، فقد كان يقول و لا يزال « الحوار

1 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص.15.

2 طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، دار الهادي، بيروت – لبنان، ط.1، 2003م، ص. 13.

و الحوار وحده و لا شيء غير الحوار ... إذ ليس من العجيب أن ينزل الحوار منزلة الحقيقة »[1]، و هكذا يبتغي تجسيد منظومة نقد مزدوجة و متكاملة : نقد الذات العربية التي تمثل التراث، و كذا نقد الآخر الغربي و تصوراته الحداثية عن المنجز التراثي ، في ظل دائرة عربية و إسلامية تتنازعها هذين المركزيتين وفق نظرات فكرية متبادلة يشوبها الغموض و الاضطراب ، وهما مركزيتان : مركزية الإنسان الشرقي و مركزية الإنسان الغربي* ، و هذه الرؤية النقدية لمفكرنا مضبوطة بمنهجية و طرائق و آليات تطعم هذا التراث و تقومه ، من هذا المنطلق يظهر انتقاده لمشروع محمد عابد الجابري فعد مرجعياته و قراءاته غربية محضة في روحها و فلسفتها، يبدو« أنه ادعى مقاربة التراث موضوعيا و تاريخيا مستلهما من العقلانية الغربية أدواته، داعيا إلى تحقيق قطيعة مع النظرة التراثية لحل مشكلة الموضوعية و خلق سبل الاستمرارية أو الاستئناف. هل حقق الجابري قطيعة فعلية مع الفهم التراثي للتراث ؟ إذا كانت إيجابية الموقف الجابري من التراث تقضي بأن رفض التراث موقف لا علمي، ولا تاريخي، هو ذاته من رواسب الفكر التراثي في عصر الانحطاط، فإنه مع ذلك، إذ يطلب كسر بنية العقل المنحدر إلينا من عصر الانحطاط و تأسيس عصر تدوين جديد، لا نجده يقر بهذا المطلب بقدر ما يسقط في الاستنجاد

1 طه عبد الرحمن، حوارات من أجل المستقبل، مرجع سابق ، ص.07.

* مركزية الإنسان الغربي: التمركز حول الذات باعتبارها الكل المنشئ لأي فعل ، فقد « نهضت الميتافيزيقا الغربية على تقسيمات تدغدغ الذات وتروي عطشها المزعوم في التفوق ، وتؤكد أفضليتها على الآخر، لذا مدت الذات بجسور مصطنعة تربطها بالإغريق ، انطلاقا من حمى البحث عن ماض عريق و أصول ذهبية ينظر: حسن شحاتة ، الذات والآخر في الشرق والغرب- صور و دلالات و إشكاليات، مرجع سابق، ص.27.

بالحاضر و إسقاطه على الماضي أي؛ اتخاذ سلف خاص هو الغرب موضوعا بين قوسين، هذا بالإضافة إلى كون التأسيس الذي يدعو إليه يسقط هواجس الحاضر السياسي على الماضي ليستمد منها أسباب النهوض »[1]، هذا ما كان يهدف إليه الجابري في رؤيته حسب طه عبد الرحمن بأنه يتجاوز التراث و يرى في الحداثة محطة مهمة كسبيل لربط أواصر الحاضر في التراث بالماضي، فمنهج الجابري يتجلى في(الهروب إلى الوراء) على خلاف ما أخذ على غيره (الهروب إلى الأمام)، و هكذا يسمي الدكتور طه عبد الرحمن توجه الجابري مثل هذه الاتجاهات بالاتجاه المعكوس صاحب الآراء المنكوسة في فهم التراث ، إذ يقول: « إن نموذج الجابري في تقويم التراث يقع في تعارضين اثنين : أحدهما، التعارض بين القول بالنظرة الشمولية و العمل بالنظرة التجزيئية ؛ و الثاني، التعارض بين الدعوة إلى النظر في الآليات و بين العمل بالنظر في مضامين الخطاب التراثي » [2]، على الرغم من النموذج الشمولي لتقويم المنجز التراثي عند محمد عابد الجابري ، إلا أنه كان للدكتور طه عبد الرحمن وجهة نظر مناقضة له ، فهو يرى أن دعوته مزدوجة و ثنائية بين النظرة الشمولية (الاشتغال بآليات تقويم التراث) و بين التطبيق التجزيئي الذي يتعامل فيه مع علوم العربية المتنوعة بصورة تجزيئية، إذ قسمها إلى أنظمة معرفية مفاضلة لا متكاملة فيما بينها و هي: النظام المعرفي البرهاني، كون البرهان مقولة متعلقة بالصورة الاستدلالية العقلية، و النظام المعرفي البياني كون البيان مقولة متعلقة بالصيغة اللفظية،

1 إبراهيم مشروح، طه عبد الرحمن، قراءة في مشروعه الفكري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 2009، ص .ص. 152، 153.

2 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث، مصدر سابق، ص.29.

و النظام المعرفي العرفاني، كون العرفان مقولة متعلقة بالمضمون المعرفي. و يعقب طه عبد الرحمن في نقده لمنهجية الجابري الشمولية في وضعية الابتداء ثم التطبيق التجزيئي و يصف كل هذا بالتجزيئية المجحفة: و ما يبدو جليا في نموذج الجابري عند ولوجه المجال التطبيقي ، أنه صنف التراث إلى صور و صنوف متباينة تارة و مستقلة حيادية عن بعضها تارة أخرى مع تفضيل صنوف عن أخرى ، أو إلى تفضيل كل صنف واحد عن كل الصنوف الأخرى ، فلا « يبقى أي معنى لدعوته إلى الشمولية و التكامل، على خلاف ما يدعيه، ألا ترى أن وحدة التراث تتفكك في يده إلى أجزاء متعارضة متعالية فيما بينها ؟ »[1]، و هكذا يدعو طه إلى نبذ مثل هذه القراءات التي تجزئ التراث ، و إبطال مفعولها مع تبني الآليات المنهجية الصحيحة التي تسعى لزحزحة هذا التقليد المعاصر في تقويم التراث ، و قد سعى من خلال نموذجه التقويمي ذو النظرة التكاملية إلى تفعيل و مقاربة المنهج في تقويم المنجز التراثي طبقا لآليات و طرائق و انتقادات بناءة ، و لذلك فإن حقيقة التراث هي مضامينه التي تجتمع إلى الآليات التي أنتجتها، و أما منهجيات المنجز التراثي تتمثل في الممارسة و الاشتغال في نموذجيه التكامليين: التداخلي و التقريبي، و العملية تتمثل في تفعيل التراث و إعماله ؛ لأن عقله عقل واسع و علمه نافع يجمع النظر في الأسباب و مقاصد العمل به ، لتأتي المنهجية الاعتراضية التي انطلق منها طه لتبطل ما تعرض له التراث من قراءات أهملت جوانبه المضيئة

1 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، مصدر سابق، ص.33.

و قصرت في تبيان مجالات إمكان الاستئناف و المواصلة في العطاء، و هذا تأكيدا لحقيقة « أننا اتبعنا في الاشتغال بمسالك تقويم التراث منهجية تستمد أوصافها الجوهرية من المبادئ التي قامت عليها الممارسة التراثية الإسلامية العربية؛ فكانت في مقصدها منهجية آلية لا مضمونية: فلم تنظر في مضامين الإنتاج التراثي بقدر ما نظرت في الآليات التي تولدت بها هذه المضامين و تفرعت تفرعا، عملا بمبدأ تراثي، مقتضاه (أن اعتبار المعاني لا يستقيم، حتى يستند إلى اعتبار المبادئ) ؛ كما كانت، في منطلقها، منهجية عملية لا مجردة: فلم تعتمد معرفة نظرية منقولة و مقطوعة عن الضوابط المحددة والقيم الموجهة للممارسة التراثية، بل استندت إلى أساليب التبليغ العربي في خصوصيتها، و إلى معاني العقيدة الإسلامية في شموليتها، و إلى مضامين المعرفة الإسلامية العربية في موسوعيتها، عملا بمبدأ تراثي ثان، مقتضاه (أن المعرفة لا تثمر حتى تكون على قدر عقول المخاطبين بها) ؛ و كانت في مسلكها أخير منهجية اعتراضية لا عرضية: فلم تكن تقرر الأحكام تقريرا و ترسلها في عموم التراث إرسالا، و إنما كانت تفتح باب السؤال، فتورد ما جاز من الاعتراضات على ما ادعاه بعض من تعاطوا لتقويم التراث من أقوال، بل على ما جئنا به نحن من دعاوى، حتى تمحصها كما ينبغي و تقومها بالوجه الذي ينبغي، عملا بمبدأ تراثي ثالث، مقتضاه (أن الظفر بالصواب لا يكون إلا بمعونة الغير) »[1]، هكذا تتجلى اشراقات النظرية التكاملية لتقويم التراث التي يشدد عليها طه ، فهي تمثل النموذج الذي

1 طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث، مصدر سابق، ص.421.

يهدف إلى استعمال آليات و محتويات من أجل معرفته من حيث هو كذلك، على اعتبار أنه كلا متكاملا لا يقبل التفرقة بين أجزائه و أنه وحدة مستقلة لا يقبل التبعية لغيره ، فيبدو تقويمه له عاما و شموليا ، انطلاقا من منهجية تداولية منطقية تتجسد في طرائق المناظرة كأساس للحوار والنقاش و تفنيد حجج المعارضين و القادحين فيه بما لا يعلمونه و لا يفقهونه ، مرتكزا في ذلك كله على منهجية الاعتراض التداولي لنقد خطابات الخصوم ، و قد ساعده أسلوب المناظرة كثيرا في نظرته و توجهه من أجل اختيار منحى تراثي سليم لقراءة التراث ، و عن هذا يقول « و لما أكرمنا أنفسنا بهذه المبادئ النظرية و العلمية ، فقد حملنا ذلك على أن نأخذ في الممارسة التراثية ، و هي طريقة أهل المناظرة ... و ليس معنى أخذنا بمنهجية المناظرة نقلا لها إجمالا و تفصيلا، و إنما هو نقل حي لأركانها، و الشاهد على ذلك مراعاة هذا النقل لمقتضيين جوهريين: أحدهما مقتضى تجدد المعرفة العلمية، والثاني مقتضى خصوصية الموضوع المدروس (...) كما ألزمنا أنفسنا بأن تكون الآليات التي تستعملها ملائمة في خصائصها للموضوعات التراثية التي ننزلها عليها، فالموضوع التراثي، عموما مبني بناء لغوي ومنطقي مخصوصا ، و لا يمكن وصفه وصفا كافيا ، و لا تعليله تعليلا شافيا ، إلا إذا كانت الوسائل التي تستخدم في وصفه و نقده ذات صبغة لغوية و منطقية »[1]، و هكذا فطه عبد الرحمن يستند في تعامله مع التراث إلى المنهجية التداولية المنطقية ، كما يتكأ على أسلوب المناظرة في تعاملاته مع ميراث الأجداد و إعادة النظر في الكتابات الفكرية و النقدية المعاصرة في تقويمها له و ذلك يتم

1 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق ، ص.ص.20، 21.

من خلال مراجعة الآليات المنطقية و التداولية و النقدية التي تستعملها هاته الكتابات و فحصها ، ليكون التراث من المواضيع الشائكة التي يكتنفها الجدل و الغموض ، هذه الآراء التي تنوعت و تضاربت بين معارض لتبنيه مفضلا عليه النموذج الغربي ، و آخرون مؤيدون له و متمسكين به، و منهم من وقف متحفظا يقبع في موقف وسطي (بيني) ، و هكذا كان التطاول على التراث المحرك لطه عبد الرحمن لنفض غبار الزمن و الذود عنه و الانتصار لأهله ، فكانت نماذجه التقويمية (التجديدية) دعوة صريحة للإتباع قراءات مضبوطة متبصرة للموروث القديم مهما كانت صفته أو طبيعته ، وهذا كله بالاستناد على نظريات و آليات تقويمية للنهوض به ، و لا يختلف الأمر في منظومة النقد المعاصر فدعوات النقاد أيضا صريحة في قضية تقويم هذا الإرث التراثي و تحقيق إضاءة الجوانب المظلمة فيه مع تقويم إضافي للجوانب المشرقة – فهذا عبد العزيز حمودة يدعو النقاد إلى النهوض به و تقويمه ، إذ يقول في أحد تصريحاته التي مفادها « وما أفعله هنا أيضا، بالدعوة إلى (وصل ما انقطع) ، هو محاولة رأب الصدع ، و وضع نهاية لثقافة الشرخ إنني ببساطة أحاول الإجابة عن سؤال أصبح اليوم أكثر إلحاحا من أي يوم مضى : (من أنا) ؟ و التساؤل لا يكتسب شرعيته من هذا الإحساس المؤلم الذي نعيشه بالانشطار و التمزق فقط، و لكن أيضا من رفضي القاطع لأن أظل علامة ثقافية ثقافية هائمة تسبح حسبما يقذفها التيار، و يطلب منها أن تستقر في نهاية المطاف فوق شاطئ سوسير و ستراوش و ياكبسون و بارت و ديريدا ، بل حتى هوسيرل و هايدجر ، بينما شطآن العقل

العربي شطآن الجاحظ و قدامة بن جعفر و ابن طباطبا العلوي وعبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني قريبة ، أقرب مما يتصور الكثيرون ، من العقل و القلب »[1]، هكذا يتساءل عبد العزيز حمودة عن الفجوات و الإخفاقات التي مني بها التراث و يقترح فكرة تقويمه و تحقيقه بمسمى (وصل ما انقطع من تراثنا) أي؛ محاولة رأب الصدع عنه ، و يرى أن إكتسابه لشرعية تحقيقه و تقويمه لا يتحقق فعليا بل ضمنيا من خلال الشعور بذلك الألم و المعاناة المتولدة من الانشطار و التمزق ، بل الرفض القاطع و الكامل لفكرة أن تبقى ممارسة هذا **التراث** أشبه بومضة ثقافية تبدو و تتوارى وفقا لمفهوم **الحداثة الغربية** ، إذ أن الثقافة الغربية لها رغبات في إعطاء مقاربات تجزيئية و نسقية تجاه التراث ، فلقد امتلك(الفكر الغربي) سلطة تمثلت في إحداث نماذج نمطية مثلت الانقطاع الذي كانت بمثابة فراغ على مستوى العلاقة بين (**التراث**) **و** (**الحداثة**) ، و هكذا « ... قد قيل في هذه الكتابات إن مصير اللاغرب هو محاكاة التاريخ الذي صاغه الغرب بالفعل ، و بدا أن هذه المحاكاة لا يمكنها أن تكون أكثر من محاكاة ، و مهما كانت ضخامة نجاح سيرورة التحديث في اللاغرب . فليس بوسعها أبدا أن تكون شيئا أصيلا. و قد جرى تخيل الاختلاف الجغرافي بين اللاغرب و الغرب بوصفه اختلافا بين نسخة وأصلها ، و أن يصبح بلد ما حديثا فذلك معناه أن يندرج في حركة التاريخ . و هذه الحركة هي المسار الذي شقه الغرب و رسم معالمه. إن

1 عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة – نحو نظرية نقدية عربية ، عالم المعرفة، الكويت ، د.ط، 2001، ص.14.

التاريخ هو الغرب »[1]، هكذا كانت الانطلاقة الفعلية لسيرورة التحديث في الفكر الغربي لترتقي إلى مصاف ممارسات تجزيء قراءات التراث بوصف الاختلاف بين الغرب و اللاغرب على حد تعبير تيموثى ميتشل، فالغرب في دراساته الثقافية لم يستثن المحددات الثقافية المتداولة بين مختلف الذهنيات العربية و الشرقية ، وما تنضح به من ممارسات الدراسة و التحقيق و الترجمة، من هنا « أدت هذه الصورة الأشمل إلى إثارة أسئلة أخرى . فلو كانت أصول الحداثة تكمن في امتداد علاقات التبادل والإنتاج حول العالم ، ألا يجب لنا عندئذ اعتبارها نتاجا ليس للغرب و إنما لتفاعل بين الغرب و اللاغرب ؟ »[2]، و هكذا بنيت العلاقة بين الغرب و اللاغرب على نوع من التذبذب و الضبابية في التبادل و الإنتاج حول العالم و خاصة فيما ارتبط بمسألة التراث و الحداثة من خلال مبدأ عدم الانحياز الذاتي في التعامل مع اللاغرب « و حينما يستعمل المرء مقولات مثل: شرقي و غربي على أنهما نقطتا البداية و النهاية للتحليل و السياسة العامة...فإن النتيجة تكون عادة لاستقطاب الفارق يصبح – فالشرقي مشرقيا أكثر و الغربي يصبح غربيا أكثر... »[3]، لقد وسمت علاقات تعامل الغرب مع اللاغرب في مسألة الحداثة و التراث بنوع من التحيز الثقافي و الفكري ، و بهذا كان من الصعب تحديد تفاصيلها فلقد رسم كثير من المفكرين

1 تيموثى ميتشل ، دراستان حول التراث والحداثة ، تر: بشير السباعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د.ط، 2015، ص.67.

2 المرجع نفسه ، ص.68.

3 آنيا لومبا ، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية تر: محمد عبد الغني غيوم ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية–سوريا، ط .1 ،2007 ،ص. 57.

الغربيين صورا و نماذجا بقيت مدونة في أطروحاتهم و مرسخة في ذهنياتهم ، و هكذا جاء بعض من الكتاب و المفكرين ليضعوا أفكار الحداثة الأوروبية عرضة للسجال و إعادة الفحص ، و أثبتوا هذه المرة بأن ليس هناك حواجز فاصلة بين **(التراث) و (الحداثة)** ، فهما يملكان نفس مقومات الثقافة و التاريخ ، أما عدم التوافق بينهما فهي فروقات فكرية ، إذن « و قد أشارت التساؤلات حول موقع الحداثة ، إلى أننا بحاجة إلى إعادة فحص الكثير من الكتابات النقدية حول الحداثة الأوروبية ، و هي كتابات شكلت تفكيرنا حول ما بعد الحديث . و الحال أن **الحالة ما بعد الحداثية The post modern condition** ، بحث جون فرنسوا ليوتار الخصب ، لا يدع مكانا للاغرب في تعريف الحديث و من ثم في الانتقال إلى ما بعد الحديث »[1] ، و في هذا دعوة إلى إعادة فحص و مراجعة يقينيات و مسلمات الفكر الحداثي ، وقد نادى كثير من الكتاب و المفكرين بالانتقال إلى فكر ما بعد الحداثي بهدف فرض أنفسهم و إيصال آرائهم و أفكارهم ، و محاولتهم الرد عليها و على كل ما يسعى إلى إقصائهم، و في المقابل ظهرت حركات مضادة للفكر الحداثي عنيت بدراسة الفكر العربي و مسلماته الحداثية و محاولة فحصها ، فما كان من محمد سبيلا أن تساءل « رغم تداول الفكر العربي المعاصر، مدلول الحداثة ، فإنه يظل مدلولا يكتنفه الكثير من الالتباس .هل الحداثة هي التغير ؟ هل هي التقدم ؟ أم الشك ؟ أم السرابية ؟ أم النقد ؟ أم العدمية ؟ أم اللعب ؟ أم التاريخانية أم التشيؤ ؟ أم سيادة الروح الدهرية ؟ أم

1 تيموثى ميتشل ، دراستان حول التراث والحداثة، تر : بشير السباعي ، مرجع سابق ، ص.71.

ماذا»[1] ، و هكذا يعتبر الفكر ما بعد الحداثي اتجاها مناقضا لفكر الحداثة إذ « هذه اللغة المعيارية و النسقية هي المفتاح الضروري في الحداثة قصد فتح خزائن الفكر و مفاتن الواقع لكننا. في ثقافة ما بعد الحداثة ، نتطلع إلى لغة أنطولوجية هي أشكال ممكنة و عوالم مفتوحة أو أفاق لا نهائية (...) ، إنها فسحة إمكانية و وجودية تختبر فيها الذات أساليب نطقها و فنون خطابها وهي فسحة واسعة يتعذر حصرها في منطق وضعي أو يصعب اختزالها في نسق ألسني . اللغة هي فوارة المعنى لا تستنفذ معنى ما تقوله ، لأن هناك دوما إرادة في تشكيل العبارة تعبر عن واقع أو حال أو ظرف»[2]، ما بعد الحداثة من هذا المنظور قراءة لأفكار الحداثة بروح نقدية ، تمثل هذا النموذج في (ما بعد الحداثة) الذي يختلف عن الفكر الحداثي ، لكن ليس نفيا له إذ « إن ما بعد الحداثة ليست نفيا للحداثة أو اختزالا و إلغاءا لأنماطها في العقلنة والعلمنة أو أنظمتها في التأسيس و التأصيل و إنما هي الغريب الكامن في طبيعتها عملت الحداثة على اختزاله و إخفائه حفاظا على أشكال التناسق و التركيب (...) ما بعد الحداثة هي تأويلية أكثر منها تأسيسية بالمعنى الذي يصبح فيه التأويل إمكانا من المعنى و إضفاءا للدلالة » [3] ، و منه فالفكر ما بعد الحداثي فكرة عقلانية و موضوعية تسعى إلى تأسيس المعنى و الدلالة ، لتتمثل حقيقة إزاحة الحداثة و ميلاد وعيا ما بعدا حداثيا جديدا غير قائم على رؤية واحدة ، بل تتنوع رؤاه ضمن

1 محمد سبيلا ، مدارات الحداثة ، الشبكة العربية للأبحاث و النشر ، بيروت ، ط.1، 2009، ص.236.

2 محمد شوقي الزين ، إزاحات فكرية – قراءات في الحداثة والمثقف ، منشورات الاختلاف ، وهران ، ط.1، 2005، ص.49.

3 محمد شوقي الزين ، إزاحات فكرية – قراءات في الحداثة و المثقف، مرجع سابق ، ص.47.

المنظومة النقدية ، وتتجسد فكرة إزاحة الحداثة و إحلال ما بعد الحداثة محلها ، بما أكد عليه يورغن هابرماس عام 1980 بمناسبة استلامه لجائزة أدورنو هذا الموضوع المثير للجدل المتعدد الأوجه الذي مفاده أن « الحداثة مشروع لم ينجز بعد »[1]، و هكذا في وضعية الابتداء تبدو ما بعد الحداثة نفيا و رفضا للحداثة من خلال ما تقدمه من أفكار و خاصة فيما يرتبط بمسألة اللاتأسيس و اللاتأصيل ، لكن التساؤلات التي تثار حول الحداثة فهي سجالات حول ما توقف التساؤل عنه ، و كذلك نقد موجه لكل ما تم السكوت عنه ، من هنا تم تسليط النقد على ما جاءت به الحداثة ، و ليس نقضا و نفيا و إزاحة ومصادرة لأخطائها و معتقداتها ، بل توسيع لدائرة النقاش و أفق الحوار في الممارسات النقدية من أجل إنتاج أدوات و مفاهيم جديدة تسهم في تعديل دلالة الواقع النقدي، لكن و بالعودة إلى التراث العربي نجد الكثير من المثقفين متأرجحين بين معتقدات الحداثة و أفاق ما بعد الحداثة ومشتتي الأذهان في خضم هذه الأفكار الغربية ، فيقول عبد الله العروي : « إن المثقفين غير الأوروبيين لم ينتجوا بعد نقدا جذريا صارما للعقلانية الأوروبية »[2]، فهم تقريبا لم يستطيعوا الصمود أمام المنجزات الغربية التي سحرت فكرهم و معتقداتهم و حالت دون بناء فكري نقدي يوازي المنظومة الغربية ، فهذا المثقف « كلما شاهد أو عانى و كابد ، تزداد شكوكه في جدوى المذاهب الرائجة و الأطروحات المتداولة ،

1 يورغن هبرماس ، القول الفلسفي للحداثة ، تر : فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، د.ط، 1995، ص.06.

2 سعد البازعي ، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ، ط. 1، 2008، مجموعة مقالات، ص.41.

فانكشفت له اللعبة ، على حقيقتها ، و صار يرى إلى الأيديولوجات الشائعة بوصفها لغوا و عبثا. و من هنا قوي إحساسه بالمفارقة – و شعر بالغربة في موطنه و بين أهله و أقرانه، و كم كان يتأوه و يتمنى لو أمكنه الإفلات من سجنه و التعري من ذاته » [1]، من هنا تبدو الحجج على عدم التوازي بين التراث العربي و المنجز الغربي، إذ كيف يوجد مع وجود مثقفين عرب أضحوا تابعين للغرب و أعلنوا انتمائهم لفكر الآخر ، و هكذا « إذ أتينا إلى رسم معالم إنسان الهجنة هذا الإنسان الأخير، سنجد أنفسنا أمام معرض بورتريهات لا حدود له في أدبيات القرن العشرين، الإنسان الأخير هو الإنسان الأعلى الذي حلم به نيتشه ، هو المستقبليون عند هيدغر، و هو كادح ماركس ، و غريب ألبير كامو، هو رحالة دولوز و هامشي فوكو و منفي إدوارد سعيد كذلك »[2]، و هكذا نجد بعض المثقفين العرب يعيشون حالة بينية بين تراثهم العربي و نماذج الفكر الغربي (**الحداثة و ما بعد الحداثة**) فيحاولون التأقلم مع وضعه الجديد دون أن يتصادموا مع واقعهم الجديد (ثقافة الآخر) أي؛ يصير وفق مبدأ التفاوض دون الصدام و التماثل مع الآخر بعيدا عن الاختلاف، لكن نموذج الانحياز للفكر الغربي لا يمكن إسقاطه و تعميمه على جميع شرائح المثقفين العرب، إذ لا يخفى على كل المتتبعين لحركية النقد المعاصر ناقد بحجم طه عبد الرحمن الذي لا يمكننا المرور عليه دون تحليل فكره وفحصه والنظر في منهجه الذي يأبى أن يكون تابعا

1 علي حرب ، خطاب الهوية (سيرة فكرية) ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط.2، 2008، ص.23.

2 علي بن لونيس ، ملامح من إشكالية الهوية وتحليل الخطاب الاستعماري عند إدوارد سعيد ، إسماعيل مهنانة، الهجنة ، السرد ، الفضاء الإمبراطوري ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية –ناشرون ، لبنان، ط.1، ص.31 .

لأي جهة ، و الذي كان في أغلبه نموذجا نقديا ذاتيا مبني على عدة مفاهيم و رؤى و تصورات ممكنة ، و جاءت الكثير من كتاباته لتنبئ عن حصافته المنهجية و الأداتية و شعريته اللغوية تتناول العديد من القضايا و المواضيع النقدية المتعلقة بالتراث والحداثة و أزمة المصطلحات و المفاهيم و مواجهة للتوجهات المصادرة للتراث على تنوعها ، و لعل أهم ما ميز منهجه هو تفعيله لجملة المفاهيم و الخطابات التراثية التي فقدت بريقها و استهلكت طاقتها في ضوء غلبة الميتافيزيقا عبر لعبة الحداثة و ما بعد الحداثة ، و اقتراحه لمصطلحات جديدة أكثر قوة و تأثير مع توازنها مع المفاهيم الأجنبية من خلال ما استثمره من مفاهيم أفكار في تقويم التراث و انفتاحه المتجاوز لكل الأنماط و القوالب التقليدية مواكبا لكل ما يطرأ على الساحة الفكرية من أحداث و تأثيرات بين الثقافات على اختلافها العقدي و الفلسفي و النقدي ، و المهم أن يتحقق الفعل النقدي و القرائي على أكمل صورة و ضمن مجال منفتح لا منغلق.

3-3-2-الجابري و مسألة التراث : قضايا بين النفي و الإثبات : في إطار معالجتنا لـ (الممارسة التراثية في الثقافة العربية) سبق أن أكدنا على الآليات الاستهلاكية المستعملة في تقويم التراث و التي تنظر إليها نظرة تجزيئية ، كما ألفينا كثير من الكتاب المعاصرين اللذين أولوا اهتماما كبيرا لنقد التراث و تقويمه ، و من بين هؤلاء نجد المفكر عابد الجابري الذي اتجه إلى مراجعة مفاهيم الاتجاه التجزيئي و خاصة فيما يتعلق بالمضامين الفكرية ، لأن مثل هذه التقويمات تفرض نفسها بقوة في هذا المجال ، فدراسة التراث و نقده و تقويمه

من التحليلات التي صارت حديث القاصي و الداني فتزايد تداولها إلى درجة أن أنها فقدت بريقها ، أو لنقل إن شئنا لم تعد هناك ضوابط تحف أنساقها و معطياتها و تشد الأذهان إليها كممارسة مضمونية فكرية و مستقلة عن كل ما هو خارج عنها أو يسعى إلى تجزيئها، إذا نظرنا إلى النماذج التقويمية للتراث، و بنظرة خاصة عند الجابري وجدناها عبارة عن حلقة من المراجعات و الفحوصات لـ (التراث) ، و هكذا تبنى فكرة طه عبد الرحمن على النظر و إعادة النظر و النقد و نقد النقد لنموذج الجابري في تقويم التراث ،« اثنين : أحدهما التعارض بين القول بالنظرة الشمولية و العمل بالنظرة التجزيئية، و الثاني التعارض بين الدعوى إلى النظر في الآليات و بين العمل بالنظر في مضامين الخطاب الوارثي و في الآليات »[1]، و هكذا يلتمس طه عبد الرحمن تعارضا في نموذج الجابري التقويمي للتراث ، إلا أن هذا الاخير يفسر تحقيقه إلى الاستناد إلى جملة من الاقتناعات أهمها : التقويم الجيد و إعادة مراجعة التراث تتشكل انطلاقا من النظرة الشمولية ، و لا يتأتى التقويم الفعلي إلا بالنظر في الآليات التي رسمت معالم هذا الخطاب المتوارث، و هذا ما تنبئنا عنه كتاباته التي يبث فيها مناهجه و تصوراته الشمولية ، و لذلك نجده يعترض على الدعاوى الإستشراقية التي تفكك التراث إلى أجزاء متناثرة ، و يثبت المنهج التكاملي الذي اتبعه ، لذلك « نعم ، بل يمكن أن نذهب إلى أبعد من هذا، فنقول إن تطوير العقل العربي أو تجديده و تكسير بنية الفكر القديم يجب أن يتم من خلال ممارسة هذا الفكر القديم

1 طه عبد الرحمان، تجديد المنهج في تقويم التراث، مرجع سابق، ص.12 .

نفسه ، من خلال العيش معه ، من خلال نقده من الداخل ؟ من خلال التعامل معه ، و ليس من خلال رفضه رفضا مطلقا ، أمامنا ، مثلا ، تجربة شبلي الشميل و تجربة سلامة موسى، وهما من الذين تعاملوا هذا التعامل الخارجي مع التراث ، رفضوه رفضا مطلقا ، و بشروا بالفكر الأوروبي ، الأنواري النهضوي ، و لكن ماذا أنتج هؤلاء في حظيرة الفكر العربي ؟ سلامة موسى من 1910 إلى 1950 و هو يكتب ناشرا نفس الدعوة ، و النتيجة نجد أنفسنا مضطرين للحكم عليه في النهاية ، ليس فقط بكونه لم يجدد المجتمع العربي أو الفكر العربي فقط ، و لكن بأنه هو نفسه لم يتجدد و لم يتقدم خطوة واحدة »[1]، هكذا فالمطلع على المنهج الذي اتبعه الجابري في كتاباته يلحظ اعتراضه على الدعاوى الإستشراقية التي تسعى إلى التحيز ضد التراث ، و يقدم لنا نماذج لكتاب عرب مشتتي الذهن ، أضحوا من مبشري الفكر الأوروبي الأنواري النهضوي و يرى أنهم لم يقدموا ما هو مجدد للتراث ، و لكن في خضم هذه الطروحات بين طه عبد الرحمن و الجابري أمكن التساؤل : هل معارضة طه عبد الرحمن لنموذج الجابري تتغير بمجرد معارضة هذا الأخير للنماذج الإستشراقية أم هناك أمر آخر يدعم معارضته ؟ فنجد طه عبد الرحمن يصر على موقفه قائلا « و إذا ما اتضح لنا أن الجابري اتجه عند ولوجه باب التطبيق ، إلى تقسيم التراث إلى أجزاء متباين بعضها على بعض ، و تفضيل جزء واحد منها على باقي الأجزاء الأخرى ، قلا يبقى أي معنى لدعوته إلى الشمولية و التكامل على خلاف ما يدعيه ، و إلى تفضيل جزء واحد منها على باقي الأجزاء الأخرى ، ألا ترى أن وحدة

1 محمد عابد الجابري ، مواقف إضاءات وشهادات – كيف نتعامل مع التراث ، مرجع سابق ، ص.107.

التراث تتفكك في يده إلى أجزاء متعارضة فيما بينها »[1]، إن التأكيد الذي قدمه الجابري فيما يخص نظرته للتراث و معارضته للنظرات الإستشراقية ، إلا أن هذا حسب طه عبد الرحمن لا يبدو دليلا كافيا و مقنعا للاعتبار نموذجه شموليا و تكامليا في تقويم التراث ، و إن كان يصنفه مع أصحاب الروئ الإستشراقية من خلال دعوى الجابري على حسب اعتقاد طه بدعوته الانفتاح على الآخر الغربي و حداثته، كما يذهب هذا الأخير إلى أبعد من ذلك في طرحه ، إذ يرى تذبذبه بين النظرة الشمولية و الفعل التجزيئي من خلال ممارسات تنظيرية و تطبيقية على علوم اللغة العربية ، و نجد طه عبد الرحمن يقدم نماذجا من إرث السابقين والقدامى ، لطائف الإشارات للقشيري و كتب الصوفية ، و لعل السبب في توظيف هذه النماذج ذلك أن الجابري استقى و استخلص منها التقسيمات الثلاثية ، ليبدو انتقاد طه عبد الرحمن من خلال منهجية شاملة إلى تعارض تطبيقي ، فتجزيئات إلى قطع متناثرة سخيفة و مجحفة ، إضافة إلى استلهامه لمصطلحات و مفاهيم مستوحاة من الفضاء التداولي الغربي و توظيفها في إطار التراث العربي ، و هكذا « حقا لقد اقتبس الجابري وسائل فوقية من مجالات ثقافية غربية مختلفة : فقه العلم التكويني (بياجيه) و فقه العلم العقلاني (لالاند و باشلار) و البنوية و فلسفة التاريخ الهيجيلية و الماركسية ، و من الممكن رد هذه المسائل إلى صنفين أساسيين : وسائل عقلانية و وسائل فكرانية ، نذكر من الوسائل العقلانية المقتبسة : آلية القطيعة المعرفية ، و آلية التقابل (...) و آلية التأزيم (أي اصطناع أزمة الأسس) ، و آلية التفكيك (...) و آلية إسناد القيم

1 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق، ص.33.

للأنساق المعرفية الخ »[1] و كذلك نذكر « من الوسائل الفكرانية المقتبسة : آلية التوظيف ، و آلية الدمج و آلية التصارع ، و آلية الانعكاس، و آلية التبرير (السياسي و التاريخي و المادي) ، و آلية الإحياء ، بمعنى استعادة ما هو حي في هذا القطاع أو ذاك من التراث ، (...) ، و آلية الاستعارة التي زودت خطاب الجابري برصيد هام من الألفاظ و التعابير ذات الأصل السياسي أو العسكري ، (المصالحة) و(التحالف) و (المناصرة) ، و(الاصطدام) و(فك الارتباط) و (صد الهجمات) و(لحظة الانفجار) و (التفجير) الخ » [2]، يرى طه عبد الرحمن في نموذج الجابري لتقويم التراث قصورا و ينكر عليه استخدامه لآليات و تصورات مستقاة من مجالات تداولية غربية يتم توظيفها في التراث ، لذلك « إننا حينما ندعو إلى إقامة حوار معرفي مع التراث فإنما نريده من الموقع الذي يقينا خطر الانبهار مما قد يتوهم البعض به أن الفكر الخلاق إنما هو (الفكر الآخر) : غير العربي ، و من مستلزمات الموقف العلمي الواثق بضابط الموضوعية أن نتناول مادة التراث العربي خارج حدود المركبات : سواء أكانت مركبات الغرور و الاستعلاء أم مركبات النقص و الاحتواء ، و بين طرفي معادلة القراءة النقدية الواعية التي تستنبط بمجهر القراءة أشياء و ليست هي التراث في حرفيته »[3]، و هكذا حرص طه عبد الرحمن على معارضة التطبيقات التجزيئية للتراث و نماذجها من خلال استلهامها لآليات و مضامين مختلفة عما هو متاح في الفكر العربي ، إضافة إلى اقتصارها

1 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مرجع سابق ، ص.34.

2 المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

3 عبد السلام المسدي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر ، د.ط، أوت 1986، ص.ص. 175، 176.

في الاشتغال على مبادئ العقلانية المجردة و الآليات الفكرانية المسيسة لا المؤنسة ، على « أننا بهذا المنطلق الحضاري نؤكد أن التراث العربي جزء من التراث الإنساني ، فهو إذن ملك مشاع بين رواد المعرفة البشرية ، و حرام أن يظل مغلق الأبواب أمام بصائرهم ، فبقراءتنا للتراث لا نقدم فحسب خدمة لميراثنا ، و لا نقدم جميلا لذواتنا فقط : و إنما نغدق على الفكر الإنساني بوابل الإسهام »[1]، و هكذا بدا مسار طه عبد الرحمن في نقد الخطابات التجزيئية و المفاضلة في تحقيق التراث نقلة نوعية نحو نظرة تكاملية تؤطرها تلازمية الآليات والمضامين ، و من بين هؤلاء المنصفين في تقويم التراث نجد أيضا الطيب تيزيني الذي سعى إلى تشخيص هذا الأخير حينما يقول « أكثر حلقتين تنتميان إلى التراث هما الحقل المنهجي النظري و الآخر التطبيقي »[2]، من هذا المعطى بقيت الممارسات النقدية للتراث تتأرجح بين مؤيد و معارض و آخر يقف موقفا وسطيا متخذا من فكرة المزاوجة بين ما هو تراثي و ما هو حداثي منهجه ، أما عن الحجة التي يستعين بها المؤيدون للتراث تتمثل في الفضل الكبير للحضارة العربية التي يشكل التراث مرجعية مهمة من مرجعياتها على باقي الحضارات و الأمم الأخرى ، و لعل أبرز مثال ما جادت به قريحة زيجريد هونكه في مؤلفها الموسوم بشمس العرب تشرق على الغرب «... أحبت العرب، و ما زالت، و صرفت وقتها كله باذلة الجهد للدفاع عن قضاياهم و الوقوف إلى جانبهم، و كانت ترى أن للعرب فضلا على الحضارة الغربية، و لذلك ألفت

1 عبد السلام المسدي ، اللسانيات وأسسها المعرفية ، مرجع سابق، ص.176.

2 جورج طرابيشي ،المثقفون العرب ، دار الساقي، د.ط ، د.ت ، ص.10.

كتابها شمس العرب تشرق على الغرب فكان ظهور كتابها هذا حدثا كبيرا في ألمانيا و أوروبا »[1]، و هكذا لم يكن بعض المفكرين والمستشرقين بحاجة إلى شهادة إثبات لاعترافهم بفضل تراث الحضارة العربية على حداثة حضارتهم، بل إن بعض مثقفينا و نقادنا العرب هم من كانوا بحاجة إلى تلك الهوية التي تجعلهم ينحون مسارا متوازنا في تحصين التراث و تقويمه ، ليكون مادة خام تساعد في فهم الواقع و تعديل دلالاته ، لذلك يجب الرجوع دوما إلى الماضي و رؤيته كونه يشكل مسارا مهما في تحصين الحضارات و قيامها.

3-3-3- ملتقى أحباب الحداثة :

تتبني رؤى و تصورات ملتقى أحباب الحداثة وفق فكرة مفادها التخلي عن النماذج و القوالب التقليدية التي تخص الذهنيات الفكرية التي لا تسهم في الرقي بالفكر العربي و بإبداعاته و تبقيه عاجزا تماما ، فعلي سعيد أدونيس الذي يؤمن بالصلات بين ماضي التراث العربي و حاضره ، إلا أنه يرفض فكرة الانبهار بالماضي و البقاء مشدوهين له فـ « علاقة الحاضر بمملكة التراث (الماضي) إنها علاقة تابع بمتبوع ، إنها علاقة محاكمة ، يدان فيها الحاضر باستمرار و يدان سلفا »[2]، إن ما يراه أدونيس يتمثل في الخروج من التقوقع حول ماضي التراث و الانفصال عنه ؛ أي التخلي عن الخطاطة الماضوية بكل مقوماتها و أبعادها، أو بلغة أخرى الخروج من بوتقة الجمود الفكري و القوالب النمطية والمفاضلة المذهبية ، ليؤكد على فكرة مفادها ، أني « أدعو و لا أتردد

1 زيغريد هونكه، شمس العرب تشرق على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل ودار الأفاق الجديدة، بيروت، ط.8، 1993، ص.ص.7، 8.

2 أدونيس ، الثابت والمتحول، (صدمة الحداثة)، مرجع سابق ، ص.275.

باختصار أطالب بالانفصال على الموروث الذي استنفذ و لم يعد يختزن أية طاقة للإجابة عن أية مشكلة عميقة نجابهها اليوم ، أو على مساعدتنا في تلمس طريقنا نحو المستقبل ، أطالب بالانفصال عن الرماد ، لا عن اللهب مرة ثانية، هذا و نبذ الماضي جملة و تفصيلا شيء أخر»[1] ، ليأتي التأكيد مرة أخرى من أدونيس على كل ما قاله بأن كل التراث لا يتمثل في المدونات و الكتب و المؤلفات التي توارثتها الأجيال من الماضي البعيد ليكون استدعاؤه لها مشروطا بلحظة تاريخية تحدد كيفيات تلقيها، و لكن في الوقت نفسه تمثل المحرك الذي يسير بالمتلقي لهذا التراث باتجاه المستقبل ، ليكون توجهه محصورا في تلك الروح الدافعة لحركية الحاضر و المستقبل و تضيئهما ، و بين تصورات تيزيني و أفكار أدونيس الحداثية تأتي لغة عبد المالك مرتاض التوفيقية ، فقراءتنا لكتاباته التي تكشف جمالية تلاعبه باللغة تلاعبا لا مثيل له ، و هذا السر ينكشف في تعامله مع أفكار كثير من النقاد والمفكرين ، من خلال الكشف عن تعامله مع لغة تيزيني و حداثية أدونيس ومحاولة الجمع بين هذين المتناقضين ، فأنا « لم أحارب الحداثة قط فأنا حداثي حتى النخاع ...أنا عاكف على إعادة قراءة الكتابات الحداثية الفرنسية بتأن و تعمق...غير أن حداثتي لا تعني جحودي لمنزلة التراث العربي الإسلامي العظيم، فأنا أقرأ لعباقرة العرب و المسلمين في الوقت الذي أقرأ لعباقرة الفرنسيين و كل ما هو مترجم من اللغات الغربي الألمانية، الروسية ، الإيطالية ... إما إلى الفرنسية أو العربية. و الذي يرفض الحداثة لا بد أن يكون جاهلا مثله مثل الذي يرفض التراث... و أنا حين اعترضت على الحداثة كنت اعترض في الحقيقة على الحداثيين

1 أدونيس ، فاتحة لنهايات القرن، بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة ، دار العودة، بيروت ، ط.1، 1980، ص.307.

العرب الذين يتعلقون بالقشور فينبهرون لما يرون من هذه الحداثة لأنهم يجهلون المعرفة الكبيرة المنتشرة في أمهات التراث وفي كتابات كبار العرب ومفكريهم »[1]، و هكذا يبدو توجه عبد المالك مرتاض الإفادة منه و في نفس الوقت دون إهمال التراث و الانحياز الكامل لأي طرف و تفضيل جانب آخر على جانب آخر، كون الطرفين (حداثة – تراث) يسهمان في إثراء الحقل المعرفي و النقدي .

و استنادا على ما تم عرضه و تحليله من موقف طه عبد الرحمان، من التراث و الحداثة يمكننا القول بأن فكره يشكل مشروعا حداثيا قائما بذاته، فقد توصلنا إلى النتائج التالية:

- إنشاء نظرية تكاملية في التعامل مع التراث، من خلال تقديم منهجيات جديدة في قراءته و تقويمه ، تعتبر في عمقها مواجهة لأصحاب المشاريع الساعية إلى إعادة قراءة التراث مهما كان مضمونه.
- بناء رؤية جديدة في التعامل مع التراث تواصلا لا انفصالا، أي عودة الاتصال به من خلال مجاله التداولي، و بكيفية تكاملية لا تجزيئية.
- وضع مشروع لفلسفة إسلامية تضاهي في بنائها المعرفي والمنهجي الفلسفة الغربية أي ؛ فلسفة تستقل برؤيتها ومجالها التداولي.

1 كمال الرياحي ، مواجهات حوارية أدبية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، د.ت، ص.ص.417، 418.

الفصل الثالث : المقاربة التداولية –إشكالات التأثيل

- المبحث الأول : قلق العبارة

- المبحث الثاني : غموض أغراض الترجمة

- المبحث الثالث : طرائق تحليل المصطلحات النقدية و اللسانية في مجال التداولية

4- الفصل الثالث : المقاربة التداولية – إشكالات التأثيل قراءة في مدونة اللسان و الميزان التكوثر العقلي لطه عبد الرحمن :

بعد أن تطرقنا في الفصل التطبيقي الأول لإشكالية المصطلح النقدي و قيمة التراث في مدونة تجديد المنهج في تقويم التراث من خلال دراسة للفصلين المعنونين بـ : أ/ إبطال التقويم التفاضلي للتراث الإسلامي العربي

ب/ الباب الثاني: النظرة التكاملية إلى التراث الإسلامي العربي و الاشتغال بآليات التقريب التداولي ، و درسنا بعض المسائل المرتبطة بهذا المجال، سنتناول في هذا الفصل بعض المسائل المتعلقة بقلق العبارة و أنواعه و أغراض الترجمة و الغموض الذي يلفها من خلال مدونة لصاحبها السابق الذكر (طه عبد الرحمن) ومدونته الثانية الموسومة بـ (اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي) ضمن الفصل الموسوم بـ (لغة ابن رشد الفلسفية من خلال عرضه للمقولات النقدية) بالدراسة و التحليل ، لنلحظ الطروحات و الأفكار التي قدمها عن مختلف الترجمات المتواترة في المؤلفات و مقارنتها بالمقترحات التي ألفيناها في مدونتنا – محل الدراسة– و هذا كله من أجل إدراك القلق الذي تعاني منه العبارة العربية و كيف ينتقل هذا القلق من حدود العبارة إلى مستوى الجملة ، و نجد في قلق العبارة : القلق التعبيري ، القلق النحوي ، القلق الصرفي، و كذا الغموض الذي يحيط بالترجمة في أغراضها : التعبيري – الدلالي –الاصطلاحي–

التداولي – التأويلي إذ كان من الصعب تمثيل تقنيات الترجمة على المقابلات العربية المتنوعة للمفهوم الأجنبي .

تعتبر مدونة اللسان والميزان – التكوثر العقلي التي اخترنا فصلا منها ليكون موضوعا لبحثنا المعنون بـ (لغة ابن رشد الفلسفية من خلال عرضه للمقولات النقدية) المتبع بالكتاب الأصلي (اللسان والميزان أو التكوثر العقلي) ، ضمن منشورات المركز الثقافي العربي، يضم 438 صفحة ، في الطبعة الأولى بسنة 1998، و يحوي ثلاثة أبواب في كل باب ثلاثة فصول ، الفصل الأول من الباب الثالث هو محور دراستنا و هو كما يلي :

الباب الثالث: نماذج من التراث اللغوي المنطقي

الفصل الأول: لغة ابن رشد الفلسفية من خلال عرضه للمقولات المنطقية

تتضمن المدونة أفكارا بخصوص القلق و الغموض الذي يكتنف العبارة و ينتقل إلى الجملة وكذا الغموض في أغراض ترجمة المصطلحات التي اعتاد المفكرين على عدم تحديد دلالاتها ، الأمر الذي يخلق قلقا و غموضا ، لذلك فطه عبد الرحمن يشدد فيها على ضرورة ضبط مضمون اللفظة وفقا لمعايير و ضوابط محددة تتجلى في تطبيق آليات و طرائق انتقاء المصطلحات .

انبنت دراستنا لهه المدونة على وضع مسرد و قواميس للمصطلحات والمفاهيم المراد معالجتها، وذلك للتفريق بين ما هو نماذج لغوية و ما هو نماذج نقدية ؛ فالنماذج اللغوية تبرز استعمال معان الكلمة في نظامها العام ، أما النماذج النقدية تهدف لجعل هذا اللفظ

منتظما وفق معايير محددة ، و أما الفائدة من هذه المسارد و القواميس يتجلى في نقاط كثيرة أهمها: وضع حدود لمعنى المصطلحات ، و إزاحة كل ما هو عشوائي يجعل استخدام المصطلح متذبذبا تكتنفه الضبابية و الغموض الكثيف ، و كذا اتفاق المفكرين و تكريس مبدأ انتقال الخبرات و تبادلها بينهم ، و إن أهم ما يستشفه المطلع على منهجية و فلسفة طه عبد الرحمن تقديم جملة من القراءات النقدية التي تسهل من عملية تداول المصطلحات و شيوعها دون أن تكون عرضة الضبابية التي تجعلها تشيع وفقا للخطأ التي جبلت عليه ، فهو يعمد إلى تعريفها تعريفا وافيا و التفصيل في شرحها، و يطنب في تفسيرها و هو إطناب محبب ، و لا يتأتى ذلك إلا بالرجوع إلى أصولها و ممهداتها المعرفية و ذلك كله قبل تفعيلها و جعلها جاهزة للاستخدام و الاستعمال المعرفي، إذ أن كثير من المصطلحات المستعملة في نقدنا العربي أصولها أجنبية ، و هكذا كان اختيارنا قائما على ضرورة المساهمة و لو– بجزء بسيط –في ترجمة المفاهيم كونها مدونة باللغة الفرنسية ، أما اللغة العربية فليست سوى ترجمة معبرة عنها ، ليكون اختيار العبارات و انتقائها طبقا على أساس استعمالاتها و تداولها، و هكذا تشيع مشكلة مماثلة أخرى، و تعود لتظهر مرة أخرى في حقل النقد ، لنجد الكثرة الكاثرة من المصطلحات للمفهوم الأجنبي الواحد ، و لذلك قمنا بتنظيم دراستنا وفق للمعطيات التي يفرضها الفصل المدروس من المدونة أي؛ دراسة مستويات قلق الجملة بدءا بالقلق التعبيري و ما يحويه من مسارد

تضم مصطلحات و مفاهيم ثم القلق النحوي ختاما بالصرفي اللذان بدورهما يضمان مسارد تحوي مصطلحات و مفاهيم أخذناها بالدراسة .

جاء في كتاب اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي مما يرويه ابن رشد عن نفسه قائلا « استدعاني أبو بكر بن طفيل يوما، فقال لي: سمعت أمير المؤمنين يشتكي من قلق عبارة أرسطو طاليس– أو عبارة المترجمين عنه – و يذكر غموض أغراضه، و يقول: لو وقع لهذه الكتب من يلخصها و يقرب أغراضها بعد أن يفهمها فهما جيدا، لقرب مأخذها على النفس»[1]، و في حالات كهذه يصعب على المتلقي أن يقاوم إغراء القول بأن موجة إشكالات المصطلح و العبارة و قلقها و غموض أغراض الترجمة تقوم بمهمة حجب و إزاحة كل الأصوات التي تهدف إلى رفع قلق العبارة و إزاحة كل غموض زائف يشوب الترجمة ، و هكذا « و اجتمعت هذه العوامل كلها : (الترجمة الحرفية) و(النقص في امتلاك ناصية العربية) و (الضعف في التكوين الفلسفي) و (قوة المعتقد غير الإسلامي) لكي تؤدي إلى وضع لغوي جد معقد لا تفيد معه معرفة قواعد اللسان العربي و لا أساليب الكتابة العربية ، إذ يستحيل على العارف باللسان العربي وحده أن ينفذ معمياته ، فلنسم هذه العوامل الأربعة بـ(عوائق الترجمة العربية للفلسفة) و لنشرع في بيان ما نتج عن هذه العوائق من قلق في العبارة و غموض في الأغراض»[2]، لنجد المتلقي العربي يقرأ العبارة الواحدة

1 طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان – التكوثر العقلي، لغة ابن رشد الفلسفية من خلال عرضه لنظرية المقولات، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط.1، 1998، ص.327.

2 المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

لعدة مرات متتالية أو قراءة تلو قراءة أخرى لكي يفهمها ، و درجة الصعوبة لا تكمن في الفكر الذي تعدى التفكير العقلي بل في العبارة في حد ذاتها التي تخطت ثوابت الجمالية التي ترتكز عليها اللغة العربية، مما شكل صعوبة بالغة في فهم النصوص و الخطابات الفكرية ، و هكذا حاول كثير من المفكرين و الفلاسفة أن يرفعوا هذا الغبن و القلق و الغموض عن العبارة و الترجمة و يعيدوا صياغة الملفوظات و الترجمات درءا له الذي امتد فيما بعد إلى الجملة :

4-1-المبحث الأول :قلق العبارة:

4-1-1-القلق التعبيري: و يتم على مستوى الألفاظ و التراكيب، و كذا على مستوى المعنى و المضمون ، و أكد طه عبد الرحمن أن العبارة يجب أن تكون مفاهيمها متضمنة في فكر المتلقي العربي لا في فكر غيره ، كما يجب أن تكون خالية من الاضطراب و الغموض و بعيدة عن الزيف، و رد بعض أصحاب القلق التعبيري، من خلال فكرة جد مهمة مفادها أن : قلق العبارة دخل على الفلسفة العربية الإسلامية بصورة مكثفة و هذا ما يظهر في نموذج ابن رشد ، و على هذا الأساس نستشف نوعين مهمين للقلق التعبيري هما: القلق النحوي و القلق الصرفي ، فالتعبيري ما كان تحصيليا يعنى بحرفية اللفظ و تظهر مفاتنه في التراكيب ، و النحوي ما بدا توصيليا يتمسك بحرفية المضمون دون حرفية اللفظ و تظهر معالمه في المعاني ، و يوقع صاحبه في تهويل بعض المضامين، بما يجعل المتلقي عاجزا إزاءها ، والصرفي ما كان تأصيليا يظهر

في المضمون كما يبدو في اللفظ ضمن عقبات الفهم الزائدة عن حدودها من طريق المتلقي وتفاعله مع المنقول بما يحصر دائرة توسعه و يلغي آفاقه، و هكذا يقدم طه عبد الرحمن في هذا الفصل المتناول بالدراسة صورا واضحة عن قلق العبارة ، و يجعله في نموذج قلق عبارة أرسطو و هو الاصطلاح الذي بدأت معالمه مع الفيلسوف ابن رشد ، بدليل أن كثيرا من الفلاسفة الإسلاميين الذين سبقوه وجدوا صعوبة بالغة في الإحاطة بمضامين عبارات و مقولات أرسطو ، إذ « المسلم به أن فلسفة أرسطو نقلت إلى العربية ، إما مباشرة من اليونانية ، و هذا هو شأن كتاب المقولات الذي نقله حنين بن إسحاق و إما عن طريق السريانية التي طبعتها أساليب اليونان في التعبير »[1] ، هكذا كان الامتثال للأسلوب اللفظي وفاء للمعاني و المضامين ، ليواجه المترجمون و الشارحون الأوائل صعوبات بالغة في ترجمة المصطلحات بأنواعها ، لتكون عملية النقل آلية بسبب الافتقار إلى مرادفات في الوضعية الأولية له مما جعل الآثار بالغة السلبية تمثلت في تكريس فوارق جديدة بين المعجم اليوناني و المعجم العربي بدلا من إزالة كل التفاوتات السابقة و التخلص منها ، إذ من المنطقي لكل لفظ يوناني أن يوازي لفظا عربيا بدلا من أن يقابل لفظا عربيا واحدا عدة ألفاظا (ثلاثية أو عربية) في اليونانية أو العكس مقابلة لفظ يوناني بعدة ألفاظ عربية ، لتجلى إشكالات القلق التعبيري بوضوح أكثر ، من خلال مثوله في مستويين هما كما يلي :

1 طه عبد الرحمن ، اللسان أو الميزان – التكوثر العقلي ، لغة ابن رشد الفلسفية من خلال عرضه لنظرية المقولات ، مصدر سابق، ص.193.

4-1-2-القلق النحوي: و يتجسد في الإقحام غير المبرر لآليات متنوعة و متناقضة و تضمينها في العبارة من دون داع لذلك، هذا الأمر يمكن تفسيره بأنه « يرجع هذا الضرب من القلق إلى عدم إظهار المعاني النحوية المقدرة في اليونانية و التي يخل حذفها بنظام الجملة في اللسان العربي أو على العكس من ذلك عدم إضمار المعاني اليونانية التي يكون ذكرها في الجملة العربية مخلا بنظامها ، فضلا عن عدم التزام الشروط التبليغية للتقديم و التأخير بالنسبة لعناصر هذه الجملة » [1]، و هكذا كان استعمال الأمثلة اليونانية لتوضيح بعض المسائل المرتبطة بالجانب النحوي مثل « ثم إن الناقل يعمد إلى إيراد هذا التعبير المطول في جملة اسمية يقع فيها موقع المبتدأ ، أما الخبر فيها ، فيقوم به تركيب فعلي مستحدث هو الآخر ، تركيب لا يقل غرابة عن المبتدأ ، و هو: (يقال على) بمعنى (يستعمل) ، كما في قوله : (الذي له يقال على ...) »[2]، و هكذا « و نحن حينما (ننتقد) نسق الميولات المحرفة، فإننا نقوم بذلك باسم ماهية أخرى للترجمة ، لأنه إذا كان من الضروري هدم الحرف ضمن علاقات معينة ، فإنه من الضروري بالمقابل إنقاذه و (الحفاظ عليه) ، ضمن علاقات أخرى أساسية أكثر»[3]، مما يؤدي إلى إحداث اضطراب في الإدراك الصريح و المباشر للنصوص، و عدم مطابقتها الواقع العربي (عاداته

1 طه عبد الرحمن ، اللسان أو الميزان – التكوثر العقلي ، لغة ابن رشد الفلسفية من خلال عرضه لنظرية المقولات ، مصدر سابق ، ص.329.

2 المصدر نفسه ، ص.330.

3 أنطوان برمان ، الترجمة والحرف أو مقام البعد ، تر : عز الدين الخطابي ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، بيروت ، لبنان، ماي 2010، ص.94.

و تقاليده) ، و قد تم اعتبار هذه الطرائق و الأساليب الجديدة في العبارات و الجمل نوعا من التشويه و التهويل و الخرق غير المبرر للنظام العربي .

4-1-3- القلق الصرفي: و يكتنف هذا القلق الصيغ الصرفية التي يتم نقلها من المعجم اليوناني إلى اللغة العربية دون تمحيصها أي مراجعتها أي؛ نقلها على هيئتها الأصلية، و هذا القلق أنواع نذكر:

النقل الحرفي لعديد الصيغ الصرفية على هيئتها اليونانية دون تمحيص أو مراجعة لها، و يتم « استعمال لفظ (الموجود)* حيث يجب استعمال لفظ (الوجود) و استعمال لفظ (الصادق)* حيث يتعين استعمال لفظ (الصدق) »[1]، هذا النقل الحرفي لا يختص بالأسماء فقط بل نجده في الأفعال أيضا ليمتد إلى الجملة بأكملها ، هذا القول له ما يبرره عند محمد أمطوش لحظة ترجمته لكتاب المفاهيم و المصطلحات و إعادة الصياغة لمانويل سيليو كونسيساو « و من خلال نقلنا الكتاب إلى اللغة العربية اعترضتنا كثير من المصائب أولاها مشكلة غياب المصطلح المقابل أو تعده في العربية (...) و رأينا أنها أحسن ملاءمة لنقل فكر الكاتب ليلم القارئ العربي بدقة بإشكاليات الكاتب؛ فنحن بالتأكيد أمام علم و فكر جديد (...) و هي علوم وفدت إلى العالم العربي منذ مدة قصيرة و تخوفنا من مغبة التأويل الخاطئ و الإسقاط المتسرع لبعض المفاهيم عربيا ؛ فجل مقولات الكاتب

* نقل حرفي على هيئته الأصلية اليونانية وقد جاء على وزن اسم المفعول أون

* نقل حرفي للأصل اليوناني الذي جاء على وزن اسم الفاعل أليتيس

1 طه عبد الرحمن ، اللسان أو الميزان ، لغة ابن رشد الفلسفية من خلال عرضه لنظرية المقولات ، مصدر سابق، ص.329.

تولدت في بيئة لغوية و ثقافية تختلف عن البيئة العربية و تتعلق بلغات تختلف عن العربية نحوا و تاريخا و تولدت في بيئة فكرية مختلفة ، مع تساؤلات مغايرة لما حصل و يحصل في عالمنا العربي »[1]، هكذا يبرر بعض العرب رفضهم للقلق اللغوي بنوعيه نحوي و صرفي انطلاقا من أن المترجمين الأوائل بقوا مركزين اهتمامهم على الألفاظ التي تداولت في المعجم اليوناني و غير المعروفة في اللسان العربي « فهذا التكرار ، و إن كان مقبولا في اللغة اليونانية التي تؤخر ذكر (إيكساطون) و هو المقابل اليوناني للتعبير العربي : (كل واحد)، فإن اللسان العربي يستثقله بسبب هذا التأخير، فضلا عن أنه يحمل القارئ على أن يصرف من الوقت ضعف ما يقتضيه إدراك المقصود الذي قد يؤديه التصحيح التالي : (خليق أن يسأل أحد : هل كل من المشي و البرء و القعود يدل على هوية أو لا يدل عليها ؟ »[2]، و هكذا بدت العبارة العربية غامضة لحظة مقابلتها بالتعبير اليوناني ، فضلا عن أن اللسان العربي يستثقل التأخير في ذكر المقابل اليوناني ، مما يجعل المتلقي يصرف جهدا كبيرا و يضيعه في سبيل إدراك المعنى المراد من العبارات اليونانية ، فينصرف ذهنه إلى معان لا تمت بصلة للمعنى الأصل ، هكذا سيطر القلق اللغوي بنوعيه النحوي و الصرفي على فقه الفلسفة والنقد الأدبي ، من منطلق أن العلاقة بينهما معروفة لدى الكتاب منذ القديم ، لنلفي في كتابات المسدي أننا « دخلنا في ما عرف بأزمة

1 مانويل سيليو كونسيساو، المفاهيم والمصطلحات وإعادة الصياغة، تر: محمد أمطوش، عالم الكتب الحديث ، إربد ، الأردن، ط.1، 2012، ص.03.

2 طه عبد الرحمن ، فقه الفلسفة ، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط.1995،1، ص.326.

المصطلح النقدي التي تعكس بدورها أزمة في التفكير النقدي، يعيدها عبد السلام المسدي إلى افتقارنا للبعدين النقدي و الأصولي، فأما البعد النقدي فيفسره غلبة المناحي المذهبية في التيارات النقدية الحديثة، و هي ظاهرة يخصب بها الإفراز العقائدي و تشل بها الرؤية الواضحة ... أما انعدام البعد الأصولي فلا مرد له إلا الحواجز القائمة بين مصادر التفكير عند العرب و لا سيما المحدثون منهم، و أكبر حاجز آثم كاد يطغى على تاريخ الفكر العربي هو ذاك الذي قام بين الفلسفة و النقد الأدبي »[1]، يفسر المسدي أسباب الاختلاف من خلال نماذج تبين من خلالها نشأة المصطلح و انتشاره و تداوله بمفاهيم و مسميات عديدة و كما يفند الأسباب التي أدت إلى ذلك الاختلافات و الخصوصيات قديما في الفكر الفلسفي و انتقالها حديثا إلى النقد المعاصر عبر وسطاء ثقافيين يخضعون لتقاليد أدبية و مواصفات ثقافية، تسمح للمصطلح بانزياحات تطبع الاستعمال و الكتابة و القراءة تتجلى في قلق العبارة و قلق الجملة ، غموض أغراض الترجمة .

4-1-4-من قلق العبارة إلى قلق الجملة في النقد العربي المعاصر:

إن المتأمل في النقد العربي يلحظ استعمال مصطلحات جد كثيرة لمفهوم أجنبي واحد ، و هذا ما يظهر جليا في عناوين عدد كبير من المؤلفات النقدية ، و لعل الأسباب التي دعت إلى هذا التعدد في المصطلحات يتمثل في : غياب التحديد الدقيق و الواضح للمصطلح النقدي، و غياب الإطار النظري المرافق للعمليات و الممارسات النقدية ، غياب الثوابت الأسس اللغوية و النقدية العامة لصياغة المصطلح النقدي، و العجز عن إيجاد

1 للاستزادة ينظر: عبد السلام المسدي ، الأسلوبية و الأسلوب ، مرجع سابق، ص.18.

آليات أكثر ممارسة في نقل المفاهيم – بصورة صحيحة لا عشوائية من الثقافات الأخرى ، و هكذا نجد المفكر العربي يحاول تفسير هذا العجز حسب رؤاه الخاصة ، ليصبح في أمس الحاجة إلى المصطلحات التي تمثل صورا و نماذج للصلات القائمة بين عقل الإنسان و لغته ، فالمصطلحات في أي ثقافة من الثقافات بمنزلة النواة المركزية التي بها يعرف المجال المعرفي، إضافة إلى أنها أنظمة مهمة للتواصل بين شتى المعارف و العلوم البشرية ، إنها تسهم في ترقية الحوار الحضاري بين الأمم و التقارب الثقافي بينهم ، « و لذلك يلاحظ أن جانبا كبيرا من معركة النقد الأدبي اليوم في واقعنا العربي ترجع إلى خصام مبين حول المناهج النقدية و مصطلحاتها التي يتلبس بها الخطاب حول الأدب، كما أن الدراسة المصطلحية يمكن أن تتجه صوب هدفين متوازيين »[1]، إن سبب الغموض و الضبابية في المصطلح المعبر عن المفهوم الأجنبي يرجع في أصله إلى الجدل الدائر حول المناهج النقدية التي أدت إلى التباس الخطاب ضمن منظومة الأدب و النقد ، لذا بدت دراسة المصطلح خاضعة لمعطيين اثنين هما: **المعطى الأول:** سعي دراسة المصطلح إلى إزالة حواجز اللبس و الغموض بين أنصار النقد المعترضين على أي حركة تجديد منهجي من جهة و بين النقاد المجددين من جهة أخرى، ليتبينوا ما هو معقول من مآخذهم على حركة التجديد و أنصارها مما يسمح لها بالدخول إلى بنية المضامين .

المعطى الثاني: تتخذ أنصار التجديد من النقد مركزا لها لتيسر لهؤلاء التوسل بمعايير تشكل

1 عبد السلام المسدي الازدواج والمماثلة في المصطلح النقدي، المجلة العربية للثقافة، م.ع. للثقافة، ع. 24، مارس 1993، ص 54.

الألفاظ ، لكي لا يلتبس أمرهم لحظة الكتابة ، بدليل أن دراسة المصطلح النقدي تساعد على تبين الفجوات و الفراغات التي تتوسل بالخطاب النقدي المعاصر.

تنبني رؤية بعض الباحثين من خلال رصدهم لإشكالية المصطلح إلى أنها ترتبط ارتباطا فعليا بالمستويات التعبيرية و الصرفية و النحوية في العبارة أو الجملة، بينما رد بعضهم الآخر الإشكالية إلى الصحافة بأنواعها المقروءة و المكتوبة و نسبة الخلل و الزلل في استعمال الألفاظ النحوية و الصيغ الصرفية في هذا المجال و اختلاف الفئات المتأثرة بهذا المصطلح أو ذلك. و هكذا نرى أن بعض الدارسين لم يتفقوا على رؤية واحدة بشأن المصطلح و بدا اختلافهم ضمن محطات ثلاث هي:

1 . تنوع المصطلح الدال على مفهوم واحد.

2 . تشتت دلالة المصطلحات .

3 . تسمية مصطلح واحد كدال على عدة مفاهيم .

انبنت قراءتنا للمؤلف – اللسان أو الميزان – على مجموعة من التصورات التي توسلنا فيها بمجموعة آليات صياغة المصطلح، فكانت دراستنا هاته كما يلي: أتيح أن نقرأ في مجال طرائقية المصطلح في الفكر النقدي التسليم، بأن علم المصطلح يبحث في السمات العامة بوضع المصطلحات النقدية وفق طرائق معيارية موحدة ، من هنا فاللغة منظومة تتوسل بطرائق متعددة لبناء المصطلحات ، ليأتي دور علم المصطلح ينظم

المعايير الأساسية ، التي بفضلها يجد الباحثون كثيرا من الحلول لإشكالاتهم النقدية واللغوية حاضرها و مستقبلها.

إن صياغة المصطلحات لم تعد بالقضية اليسيرة ضبطها، كونها تبدو من المهام التي« تتطلب تمكنا من المادة و فقها في اللغة و الإحاطة بالتاريخ و وقوفا على النشاط العلمي المعاصر »[1]، و درجة الصعوبة تزداد حينما تتعلق بحقل الترجمة و النقل من لغة إلى أخرى، لذا كان التوسل بآليات و وسائل صياغة المصطلح من خلال عرض نماذج تطبيقية لمصطلحات من المؤلف – محل الدراسة –.

إن لكل أمة لغتها الخاصة تمثل الروح و القلب النابض ، و رمزا من رموز التجدد و الاستمرارية، لذا تسعى كل الأمم للرقي بلغاتها لتجعلها مواكبة المستجدات الفكرية و الثقافية ، تتجدد بتجدد الفكر و تصغي لنداءات التطور الإنساني بنوعيه الفكري و المادي و إذا لم تخضع لهذه المسلمات تندثر وتموت ، و هكذا فاللغة تستوعب كما هائلا من الصيغ الصرفية و النحوية التي تساعد على تشكيل و بناء مفردات جديدة من مفردات أو أصول معطاة سابقا، هذه الصيغ تكون إما **سوابق Prefixes أو لواحق suffixes**، و وفقا هذا التصنيف يمكننا صياغة الأسماء و الأفعال، فإمكانية اللغة العربية على مسايرة العصر تظهر في تجنيد آلياتها لإعادة بعث ثرواتها اللفظية ، عبر الأدوات التي تسهم في الصياغة اللفظية الاشتقاق الذي يعد في مرجعية مهمة من المرجعيات الأكثر استعمالا

1 إبراهيم مدكور، لغة العلم المعاصر، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، س. 10، ع.30- 1986، ص 10.

لكونه ينهض على مفردات معروفة لها نظامها و خصوصيتها المرتبطة بها، لتبدو الصلات وثيقة و عضوية بين المصطلح التداولي و المعطى الاشتقاقي ، فإنه و بالرغم من الميزات التي تميز الدراسات اللغوية و النقدية ، لكن نظرة خاطفة على بعض المصطلحات التداولية المشتقة في الكتب العربية لها أن تبرز لنا عن مفاتن العدد غير المتوقع لهذه الدراسات و مداها البعيد في رصد إشكاليات المصطلح التداولي، إنها تبدو عاجزة عن خلق أزمة المصطلح « و لعلي لا أخطئ إذا زعمت أن إحساسنا العميق بالأزمة التي تلف وجوه حياتنا جميعا و تتأصل فيها حياة عربية مأزومة، و ثقافة عربية مأزومة، و إنسان عربي مأزوم، هو الذي دفعنا إلى الانحياز المنهجي أو إلى شطط الاستعارة من الآخر»[1]، إن الرأي المتبع في الفكر العربي في السنوات الأخيرة ، هو الانحياز و الميل إلى الفكر الغربي في كل شيء و ذلك بسبب سيطرة المصطلحات الأجنبية المنشورة و المترجمة ، لتعلو آهاتهم التي تنادي بإشكاليات المصطلح النقدي، لكن ما يهمنا في هذا السياق هو سبلهم بخصوص وضع المصطلح التداولي اشتقاقا بغية المحافظة على جزء– و لو بسيط من دلالات المصطلحات المشتقة ، بالرغم من تعدد وجهات النظر في معالجة هذه المسألة ، ليكون التشديد على نقل المصطلحات بصورة إيجابية، بعيدا عن الغموض الذي اكتنف الترجمة و غيرها، رمنا تفحص مجال المصطلح التداولي وفقا لمجموعة من الطرائق و المعايير مجتمعة ملحين في الوقوف على مكامن التوافق و الاختلاف في هذه المصطلحات ، و لكن قبل الخوض في دراسة هذه النماذج أمكن لنا الوقوف على الغموض الذي منيت به أغراض الترجمة ،

1 أحمد وهبة رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1996، ص.21.

و بعدها سنسعى إلى تقصي هذه النماذج التي أمكننا تسميتها تداولية – و وفقا لمعالجة تنبني على جملة من الضوابط هي كالآتي:

- **المعيار المعجمي:** أي ؛ علاقة الدال الاصطلاحي بجذره اللغوي المعجمي .
- **المعيار الدلالي** : أي؛ المفهوم و وضوح الدلالة .
- **المعيار المورفولوجي** : أي ؛ الجانب الشكلي من المد الاصطلاحي و ما يستوجب من اقتناء لغوي (ما استطاع إلى ذلك سبيلا) و امتثالا للنظام النحوي و الصرفي للغة .
- **المعيار الفقهلغوي:** أي؛ مدى امتثال المصطلح لخصوصيات اللغة العربية، و خضوعه إلى أولويات طرائق الوضع اللغوي (كما حددها فقه اللغة) من اشتقاق و إحياء ، ثم تعريب و نحت و ترجمة .
- **المعيار التداولي:** أي مدى شيوع المصطلح بالقياس إلى مصطلحات أخرى تترادف معه دلاليا[1]، هذه المعايير كما حددها النقاد– إلا أن الاختلاف يظهر في أن المعيار الأخير (المعيار التداولي) يأتي كنتيجة لنجاح المعايير الأربعة « فنجاح المعايير الأولى في وضع مصطلح يتمتع بالقوة الاصطلاحية على حد تعبير الغذامي »[2]، و كل هذا يجعل المصطلح شائعا ، متداولا قياسا مع غيره من المصطلحات، لكن شيوع المصطلح و تداوله لا يعني بالضرورة خلوه من الأخطاء و الغرابة و تنافر الحروف

1 يوسف وغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، مرجع سابق، ص.78.

2 عبد الله الغذامي ، النقد الثقافي ، مرجع سابق ، ص.53.

و ثقل السمع و مطابقته لمعايير الاصطلاح ، لذلك وجب التنبيه على قضية مفادها أنه يجب استبعاد المعيار التداولي في حال كانت المعايير الأولى في مصطلح ما مصادرة على المطلوب، و في هذا الصدد سنعرض تعدد النماذج و الطرائق التي اتخذت ضمن هذا الفصل و امتثالا للآليات صياغة المصطلح .

4-2- المبحث الثاني : غموض أغراض الترجمة:إن الترجمة بحث مستفيض ينطلق من مشهد التنوع اللغوي الذي يهدف إلى التواصل و التفاعل اللذان يشكلان فعلا مشروطا يسعى إلى سد و ردم فجوات و هوات التباعد بين المتصلين، ومما لا شك فيه أن كل لغة تمارس تأثيرها على اللغة الأخرى، ليبدو الوجه الإيجابي المميز لها ، دون أن ننسى وجهها السلبي أي؛ (الوجه و القفا) الوجه السلبي الذي يتمثل في ظاهرة اللجوء المبالغ فيه و المفرط للمقترضات إضافة إلى التعدد الدلالي و الاشتراك اللفظي، و لما كانت الترجمة العربية القديمة لم تبالغ في الاقتراض و اتكأت على علوم ممنهجة ، فإننا اليوم نعثر على المفرضات في كل مكان و زمان ، و في كل بند من بنود أبجديات الترجمة ، و إن ما نقف عليه اليوم في اللغة العربية كما هائلا من المصطلحات في شتى مجالات النقد و الأدب و غيرها ، التي ينتظر منها إغناء معاجمها و حملها بما يتيح لها مواكبة اللغات الأخرى ، إلا أن هذا كله يتبدد مع عثرات الترجمة بما يشوبها من عيوب و سوء تأدية للمضمون الحقيقي لأغراضها ، و هذا ما سنورد عليه الأمثلة في دراستنا هاته و نعمل على تنظيره و تحليله، و لعل ما يصادفنا لأول وهلة أن الترجمة تجعل أكبر همها هو استبدال

مصطلحات من هذه اللغة بمصطلحات من تلك اللغة ، إذ أنها ليس ترجمة للمعنى الحقيقي للكلمة، و هذا يظهر في الحوار الذي أجراه **مالك التريكي مع طه عبد الرحمن** الموسوم **بهوس الترجمة الإبداعية « طه عبد الرحمن** : فإذا كيف نتصور الإبداع مع الترجمة و قد ... و خصوصا إذا تكلمنا على الترجمة العربية التي خلت من هذا الجمال كليا قبح الترجمة في إطار خصوصا الترجمة العربية الفلسفية يعني قبح ربما لا يقارن بغيره.

مالك التريكي: الترجمة القديمة أم الحديثة ؟ يجيب طه عبد الرحمن : الترجمة العربية واقعة في التقليد و في الإخلال بمقتضى الإبداع من جهتين ما يعني أنه ليس بها ابتكار و لا جمال، و هذا السبب جعل الترجمة الفلسفية العربية تتولد عنها شروح لا تنتهي ليس لعمق الفكرة و إنما لركاكة العبارة القديمة و أغلب الحديثة أيضا باستثناءات جزئية جدا كترجمة قديما ترجمات حنين بن إسحاق و ما إلى ذلك فإذا الترجمة العربية هي ترجمة واقعة في التقليد من حيث أو واقعة في الإخلال بمقتضى الإبداع من جهتين أن ليس فيها ابتكار و ليس فيها جمال فطبعا و هذا هو السبب اللي جعل الترجمة الفلسفية العربية تتولد عنها شروح لا تنتهي فليس لعمق الفكرة و إنما لركاكة العبارة التي تجعل الفكرة مستغلقة على الأذهان فيأتي الشارح حتى يرفع ذلك الاستغلاق »[1]، إن التداولية دراسة شائكة في مسألة المصطلحات وتنوعها: و هل التنوع هذا قضية طارئة أم هي أصل موجود فيها ؟

1 طه عبد الرحمن، هوس الترجمة الإبداعية ، حوار أجراه مع مالك التريكي ، مستويات الترجمة- الترجمة التأصيلية والموقف من ابن رشد ، مكة المكرمة ، المملكة العربية السعودية ، ج.5، 11-07-2018 ، https://www-aljazeera-net.cdn.ampproject.org، الساعة : 17:20.

و إذا كانت ضرورة ملحة و أمرا طارئا فما الذي سبب وجودها ؟ غير أن هذا البحث لا يقتصر على التداولية ، و لا على الفكر اللغوي ، إذ تتردد أصداء هذه المسألة الشائكة في الفكر النقدي الذي يرمي بسهم في المقاربة التداولية نظرا إلى الارتباط الوثيق بين **الفكر النقدي و المقاربة التداولية** من حيث المضامين التي يمكن وسمها **بالمقاربة التداولية النقدية ..** يعاني النقد العربي المعاصر أزمة تشتت في أفكاره و قناعاته ، سواء ارتبطت القضية بآليات الترجمة و طرائق استخدامها أم في إعادة التفكير في الأدوات الإجرائية المكونة للمناهج النقدية المتبناة من لدن النقاد ، و أغراض ممارسة تلك الترجمة التي يخيل إلى كثير منهم أنها مارست تأثيرها السلبي قبل الإيجابي لحظة تبني المناهج السياقية و النسقية و التعبير عنها ، فهشاشة الممارسة النقدية و المعرفية متجسدة –بشكل واضح – لحظة إخضاعها لأغراض الترجمة و استقبال ثقافة الآخر و مشروعاته الحداثية ، فالفكر النقدي العربي دون الإنكار لوزنه النقدي– بحثا و إقرارا – يتمتع بالاجتهاد و الرؤية النقدية ، الفكرية الواضحة ، لكنه يفتقر إلى الإرادة الذاتية التي تؤهله لإدراك كل التحولات النقدية ، فأغراض الترجمة بتعقيداتها تتطلب جوا نفسيا و استحضارا ذهنيا قويا لحظة توظيفها و استثمارها ، حتى لا تبقى الآثار و المؤلفات المترجمة في فكرنا النقدي حبيسة رفوف المكتبات و الملتقيات العلمية.

لقد عانى الفكر العربي قديما قلقا تعبيريا (قلق العبارة و قلق الجملة) و صاحب هذا القلق غموضا في أغراض الترجمة في النص الفلسفي، الأمر الذي وصفه طه عبد الرحمن

بقوله « ... ناهيك عن الغموض المبدئي العام الذي هو غموض كل نص مكتوب ، فلسفيا كان أو غير فلسفي ؛ فكل نص مكتوب يحتمل بما هو كذلك تأويلات و قراءات قد لا تقف عند نهاية معلومة ، فهو يصل إلينا أساسا ، كما يقول أحد اللسانيين المرموقين ، بصيغة الجمع »[1]، فالقلق التعبيري بأنواعه و غموض أغراض الترجمة لم يختص بالفلسفة فقط ، بل اكتنفت النصوص الفلسفية وغير الفلسفية وطبعت النصوص بتأويلات وقراءات لا نهاية لها، وسبب هذا الغموض و القلق حسب طه عبد الرحمن أنه يأتينا دفعة واحدة مجتمعا، و هذا الرأي نجده عند عبد المالك مرتاض حين يقول : « لا نزال نحن اليوم نضج بالمعاناة و الشكايا، و ننادي بالويلات و البلايا، و ذلك أمام تكاسلنا و تقصيرنا في حق التحصيل اللغوي(...) فنؤثر أن ننقل هذه المصطلحات جاهزة معلبة مقرطسة من أهل الغرب، كما نؤثر أن نستهلك ما يرد علينا معلبا مقرطسا من بضائع أهل الغرب »[2] ، لقد اعتبر مرتاض هذا القلق الذي منيت به العبارة و الجملة معا و الغموض في أغراض الترجمة تكاسلا و تقصيرا من قبل المفكر العربي في حق التحصيل اللغوي ، و رأى أن الغموض و القلق بضائع كنا و لا نزال نستوردها معلبة و مقرطسة من أهل الغرب، هذا أدخلنا في أزمة انتماء فعليا و مدركا يطبق على أنفاس النقاد في ظل غياب الإنتاج المعرفي وصعوبة تقديم البدائل الفكرية ، فالإنسان العربي كعنصر فعال في الفكر الغربي – الذي ننحاز إليه دون أدنى تفكير و أدان له بالولاء متشبها بكتاباتهم ، فإنه في تفكيره لا يزال مستوردا و مجرد

1 طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان- التكوثر العقلي، مصدر سابق ، ص.331.

2 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي، مرجع سابق، ص.24.

لاهث وراء فتات النظريات النقدية الغربية ، مكتفيا بتقديم وصوفات لا تسمن و لا تغني عن قصور الرؤية و العجز عن التحليل و التفسير و التأويل، بمنأى أنه يعاني و لا يفضل أن يصرح و يعترف – و لو اعترافا ضمنيا – بمعاناته من خلال الآراء المتباينة التي فرضتها جدلية التراث و الحداثة .

- دعاوي الانقطاع عن التراث .
- التشبث بالتراث والتقوقع حوله ، ذلك أن هدف و غاية أي مترجم إيصال لرؤاه و أفكاره إلى المتلقي دون غموض أغراض الترجمة أو قلق في العبارة أو الجملة، هذه الأغراض التي يلخصها طه عبد الرحمن كما يلي : **التعبيري– الدلالي – الاصطلاحي – التداولي والتأويلي** * ، الفعل المفضي إلى افتقار الفكر العربي وعجزه عن إيجاد الأغراض التي تقدم بها المفاهيم كونها ممارسة تقدم معارف لها من الأهمية ما كان في سبيل إعادة مراجعتها على مستوى استقبالها و الأسس و المعايير المشكلة لها، فلا أحد يستطيع أن يقصي بفكر الآخر الغربي، لكن لا يمكن أن يكون سوى موضة فاقدة لبريقها تجعل هذا المفكر العربي ميت الشعور بتراثه و تسعى إلى قلب تميزه إلى جوهر فردي غير قابل للتجدد و الاستمرارية و كذا تحويل عراقته و أصالته إلى تحفة رثة و بالية من مخلفات الفكر الغربي ، و تظهر أمانة المفكر العربي في تعامله مع المستجدات الفكرية و النقدية الغربية لحظة احتضانها لكنه يجد نفسه في كثير من الأوقات محتاجا إلى إعادة مراجعة المقاييس

* طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان- التكوثر العقلي، مصدر سابق ، ص.331.

و الأسس التي شكلت فكره حتى يتسنى له مواجهة الغموض الذي يكتنف أغراض الترجمة لحظة اشتغالها ضمن مقاربة من مقاربات النقد .

إن المتداول في الفكر العربي عند بعض فئات الطبقة المثقفة أن المقاربات الغربية جعلتهم يعيدون مراجعة التراث الأدبي والنقدي لا(سيما القراءات السيميائية و التداولية) مع التنبيه لغموض أغراض الترجمة في هذه القراءات عربيا « فلا بد من تبديد لبس قد يترامى إلى الأوهام ، و هو أهمية هذه النظريات من الوجهة المعرفية للنقد العربي المعاصر ، و للنظرية العامة للنص الأدبي ؛ فلا يشفع لنا أن نظرية لما يتفق عليها أهل الغرب ممن أنشئوه أن نزهد فيه نحن و ننبذه على حد سواء ؛ بل علينا أن نعنى بهذه النظريات الجديدة و أن نحاول تعويمها في إجراءاتنا النقدية –النظرية والتطبيقية –معا ، لإمكان الإفادة منها. فالمعرفة لا ترفض بحجة قلة الوضوح ، أو و هي الدقة المفهومية ؛ فالمفاهيم اللسانيانية و السيميائية و غيرها من المفاهيم المعرفية الجديدة في معظمها محتاجة إلى البلورة و التدقيق، و التبيين و التوضيح »[1]، إن الولوج إلى إشكالية المصطلح النقدي و المصطلح التداولي على وجه خاص لا ينفك يخرج عن مجال سقوط الثقافة العربية في مركز يعاد فيها قراءته قراءة استهلاكية فقط ، و الملاحظ أن الممارسات الفكرية لا تضع المصطلح تحت محك التفكيك، لذلك فهي تلجأ إلى بناءه وفقا المطابقة المباشرة مع المفهوم الأجنبي ، فتنامت الكثير من المصطلحات المرقعة، وبدت الفجوة سحيقة بين

1 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي، مرجع سابق، ص.ص.420.419.

المفاهيم الأجنبية و المصطلحات المترجمة. لتعيش فوضى التأليف، و مثل هذا مرده إلى غموض أغراض الترجمة التي يمكن عد أنواعها كما يأتي:

4-2-1 – غموض الغرض التعبيري : إن المصطلح التداولي واحد من المصطلحات التي ولجت إلى الدراسات العربية في العصر الحديث نتيجة الاحتكاك بالنقد العالمي، و الرغبة في تجاوز المفاهيم التقليدية التي سادت النقد القديم إلى مفاهيم حداثية تنفتح على آفاق المعرفة العلمية. فنجد في فضاء الترجمة أغراضا كثيرة تمثل مصدرا مهما لإغناء اللغة العربية ، لكن فيها غموض أكثر مما تدعو إليه الحاجة ، و هذه علة أشار إليها جل الدارسين و النقاد الذي اهتموا بترجمة المؤلفات ونقها من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، و يأتي الغرض التعبيري في مقدمة هذه الأغراض ، إذ « من مظاهر التعقيد اللغوي الناجم عن عوائق الترجمة العربية غموض الأغراض ؛ فقد كان لابد لركاكة التعبير التي تتسم بها النصوص المنقولة من أن تؤثر أيما تأثير في مستواها التبليغي ، هذا المستوى الذي تحصل به للمخاطب القدرة على الفهم و الذي يمكن تحقيقه إلا إذ التزمت العبارة بمعايير التركيب السليم، ثم إن مخالفة الأمثلة الواردة للمقاصد الممثل عليها أحدثت اضطرابا في الإدراك المباشر للنص و ضاعفت من الغموض الموجود فيه بسبب رداءة التعبير »[1]، فهم يتحدثون جميعا عن فوضى المصطلحات ، و عن الغموض التعبيري ، و التشابك اللفظي و هلم جرا ، و عن غير هذه وتلك من علل الترجمة . إذ لم يخطر ببال أحد أن تتم الأمور على غير

1 طه عبد الرحمن ، التكوثر العقلي ، مصدر سابق ، ص.330.

هذه الهيئة في فضاء عربي مشتت مأزوم ، و إن الترجمات العربية ثرية و غنية، ثراء يتجاوز الحدود، لكن هذا الحد إذ لم يكن له ضوابط انقلب إلى ضده؛ و المترجمون يسيرون وراء كل جديد بوعي أو بدون وعي ، و قد يفعلون هذا عن علم أو عن جهل، فهم دوما في انتظار التفاتة من الآخر إذ هو من يحدد مصيرهم و مصير وضعهم إزاء ترجمتهم لمفاهيمه ، لذلك نراهم يفعلون كل شيء ويبدون ولعهم بكل جديد يصدر عنه ، كما نلحظ شغفا بتقليده هذا الغالب في زيه و أفعاله و أقواله ، و ترجع أسباب تفشي الغموض التعبيري إلى عدة نقاط مهمة هي كالآتي: إن ما يلزم اللغة العربية في شموليتها أن تكون على مقاس اللغات الأجنبية ، فإذا كانت في اللغات الأجنبية ذاتية (مفهوم بسيط) وجب عليها في اللغة العربية أن تكون على لفظ تعبيري واحد (مقابل عربي بسيط) ، و يمكن رصد العديد من المصطلحات النقدية التي استعملت بتسميات عديدة للمفهوم الواحد في الدراسات النقدية الحديثة، و منها على سبيل المثال لا الحصر: –الترجمات للفظ (النص): النص، البناء، النظم، المنظوم، المنتج، المبدع، الخطاب، العمل، الأثر، الصياغة، الرسالة، التكنيك، الظاهرة، المولد، التشكيل اللغوي، الإبداع اللغوي، الظاهرة اللغوية، الظاهرة الأدبية، المعنى الأدبي، الشفرة، المرسل، الكائن اللغوي، المقول، صورة للعواطف، صورة للخيال، حدس، معادل موضوعي.*–الترجمات للفظ (الأديب) : الأديب، المبدع، المنتج، المصور، الخالق، المحاك، الباث، الصانع، المخيل، الكاتب، المرسل، المشكل، الباني،

* الماضي شكري ، في نظرية الأدب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان ، ط.1، 2005، ص.207.

المنشئ، الرامز، الناظم، المتخيل، المعبر، الناص، المولد، الراوي، القاص، السارد، الرابط، الموضح **– الترجمات للفظ (المتلقي) : القارئ، المتلقي، المستهلك، الجمهور القارئ، المؤول، الشارح، المولد، الموضح، المفكك، المفسر، الناقد، المتأثر، المتذوق، المرسل إليه، المخاطب، المشاهد، المشرح المحكي له، المقصوص عليه*، إن هذا الخلط العشوائي في تنوع المصطلح الواحد ، يدل على عدم الثبوت و الاستقرار و غموض الأغراض التي يمكن أن توحد ترجمة هذه المفاهيم وهذا لا يرجع إلى ناقد بعينه ، و لا حتى إلى فلسفة مضبوطة ، بل يعود إلى اضطراب في الأنساق الفكرية لهذا المصطلح أم ذاك دون مراعاتها أو إبداءها أي اهتمام ، و« تعد مشكلة ترجمة المصطلح من أهم ما يعترض سبيل المترجم باعتبار أن المصطلح يتضمن شحنات ثقافية تقف في خلفية النص الأصلي و تحيط به، و على المترجم حينئذ أن يترجم ليس فقط العناصر المختلفة للإطار السميولوجي، بل أيضا عليه أن يترجم مكان هذا العنصر في المجتمع كله، باعتبار أن التصور أو المفهوم واحد، بيد أن المصطلح يختلف من شعب لآخر. و بالتالي فإن لعلم الترجمة أهميته في التعامل مع المصطلح؛ بوصفه المرآة التي تعكس فهم المصطلح في لغته الأم، ثم تنقله إلى المتلقي في اللغة الهدف »[1]، إن ترجمة المفهوم الأجنبي كانت و لا تزال تشكل هاجسا

** الماضي شكري ، في نظرية الأدب ، مرجع سابق ، ص.206.

* المرجع نفسه ، ص.207.

1 عامر الزناتي الجابري، إشكالية ترجمة المصطلح- مصطلح الصلاة بين العربية والعبرية أنموذجا- مجلة البحوث والدراسات القرآنية، عين شمس ، مصر، ع.9، سنة.5، 6، ص.333.

لدى المتلقي العربي، فلم تعد المسألة نقل مفهوم من بيئة إلى أخرى، بل تتعدى الحد المطلوب، إذ لم يعد بإمكاننا أن ننكر دور الشحنات الثقافية في ترجمتها إلى الفكر العربي ، فهي تعبئ بجملة من الأنساق التي تجعل مضمونه الجديد مخالفا لطبيعته ، و هنا يصعب ترجتمه، فبدلا من أن يكون تعبيرا سليما عن اللغة المنقول لها (اللغة الهدف)، يصبح غامضا، و إيهاميا، ليجعل القارئ مضطربا فيعمد إلى مقابلة مفهوم أجنبي واحد بعدة مصطلحات من واقعه العربي، و كان أمرا ضروريا و طبيعيا أن يحتدم الصراع و يتنافس النقاد بحثا عن الأفضل و الأوفر نصيبا ، و الأكثر تناسبا و توافقا و الأصدق تعبيرا في رحلة البحث عن اللفظ العربي الملائم لكل مفهوم جديد ، لكن ما لا يتقبله العقل البشري التركيز على خوض معركة احتمال الفوز فيها معدوم و الرجوع دوما إلى نقطة الصفر ، إذ تحتاج اللغة العربية إلى كثير من الطرائق والسبل و الأدوات لتطويرها في التعبير عن المفاهيم الأجنبية فلابد من استغلال أغراض الترجمة استغلالا صحيحا بضوابطها و أصولها ، غير أن بعض من النقاد المعاصرين في سعيهم الدؤوب نحو الاكتشاف و الإبداع بأي وسيلة كانت فيبتدعون أغراضا هجينة في الترجمة ، تقوم على دمج لفظ عربي بمفهوم أجنبي و المزج بينهما أو بين لفظ عربي ومكون من مكونات مفهوم أجنبي قد يكون سابقة أو لاحقة أو جزءا من كلمة فرنسية أو إنجليزية أو يونانية ، لاتينية قديمة، مثال هذه الترجمة الهجينة في التعبير : بسيكولسانيات كترجمة اللسانيات النفسية (psycholinguistique) ،

و سوسيولسانيات كمقابل لفظ الأجنبي (sociolinguistique) و لفظة ميتالغة لترجمة ما اختار له بعضهم الكلام على الكلام على حد تعبير أبو حيان التوحيدي ، حينما يقول « إن الكلام على الكلام صعب »[1]، كمقابل لـ (métalangage) ، فلا تكون الترجمات المقترحة ملائمة لنظام اللغة العربية تعبيريا أو تركيبيا أو صرفيا و لا من حيث نظامها المقطعي، كما هو الشأن مع **مصطلح (بسيكولسانيات)** الذي يبدأ بحرف ساكن، ولعل أهم نموذج يجسد لنا عدم تلاءم هذه الترجمات المقترحة ما قام به عبد القادر الفاسي عندما أزاح من هذه الترجمة **(بسيكولسانيات)** من كتاباته و فضل **اللسانيات النفسية** التي يتبناها الكثير من الكتاب والنقاد، إلا أنه « احتفظ بـ سوسيولسانيات إلى جانب اللسانيات الاجتماعية ، كما احتفظ بـ " ميتالغة " و"ميتا لغوي" و"ميتا قواعد" و"ميتا خطاب"، و " ميتانقد " و غيرها »[2]، هكذا بدا الغموض التعبيري مكثف الحضور في ترجمة المفاهيم الأجنبية سواء قديما في اللغة اليونانية و اللاتينية القديمة أو في نقدنا المعاصر ، إذ يحتفظ النقاد بترجمات تشكل غموضا تعبيريا من قبيل مصطلح بسيكولسانيات الذي يبدأ بحرف ساكن، و سوسيولسانيات إضافة إلى مصطلحات من قبيل "ميتالغة" و"ميتا لغوي" و"ميتا قواعد" و"ميتا خطاب"، و " ميتانقد " و هلم جرا ، لتكون حجم فجوة الغموض التعبيري كبيرة فتحيلنا إلى غموض آخر ضمن ما يعرف بغموض الغرض الدلالي .

1 علي بن محمد أبو حيان التوحيدي، كتاب الإمتاع والمؤانسة: وهو مجموع مسامرات في فنون شتى، صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت، ج.1، ص .23.

2 عبد القادر الفاسي الفهري: معجم المصطلحات اللسانية: إنجليزي – فرنسي – عربي ، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، لبنان، د.ط، 2009، ص.(بتصرف)

4-2-2- غموض الغرض الدلالي: إن ما قيل عن الغرض التعبيري يصح أيضا عن غموض الغرض الدلالي إذ هو أشبه برغبة عارمة في محاكاة المفهوم الأجنبي في الترجمة، و محاولة إيجاد عناصر لغوية عربية تحاكي في دلالاتها العناصر المتضمنة في المفهوم الأجنبي، و من الأمثلة الدالة على ذلك : لقد كان التفكير في إيجاد مقابلات عربية ثابتة السوابق و اللواحق من خلال الرجوع دلاليا باعتماد ترجمة آلية تكون سببا في ترجمة تلك الألفاظ الإنجليزية و الفرنسية، يقابل كل سابقة أو لاحقة مقابلا عربيا ذو دلالة بصورة آلية ، لكن هذا التوجه يبدو مخالفا لما هو موجود في النقد بصفة خاصة و في باقي المجالات الأخرى عامة ، فالمفترض مقابلة كل زائدة أجنبية بلفظ عربي واحد، سواء كانت تلك الزائدة الأجنبية سوابق أم لواحق ، فرنسية أم إنجليزية، فكما « أن مفهوم الترجمة ، في إطار هذا التصور العلمي ، يتغير بحيث تصبح الترجمة، أساسا، نظرا في المعنى و في مقتضى الحال ، لا يتقيد بالصورة اللفظية و لا بالتركيب النحوي إلا في حدود استجابته لمقتضيات الدلالة و التداول »[1]، الاعتقاد الراسخ في الفكر العربي و بلدان العالم الثالث يظهر في أن السوابق و اللواحق و الدلالات في اللغتين الفرنسية و الإنكليزية ثابتة لا يشوبها أو يطرأ عليها أي تغيير ، معتقدين أن اللغات الفرنسية والإنجليزية لا تطالها الشوائب من فوقها و لا من تحتها ، و قد أثبتت كثير من المعالجات و الدراسات صنوف الخلل في هذا التصور ، إذن « موضوع الدلالة هو المعنى اللغوي ، و المعنى اللغوي ينطلق من المفردة من حيث حالتها

1 طه عبد الرحمن ، التكوثر العقلي- اللسان والميزان ، مصدر سابق، ص.335.

المعجمية و متابعة التطورات الدلالية و التغيرات التي تأخذها الكلمة في السياقات المختلفة إذ يصعب تحديد دلالة الكلمة ؛ لأن الكلمة لا تحمل في ذاتها دلالة مطلقة ، و إنما السياق هو الذي يحدد لها دلالتها الحقيقية »[1]، و هكذا يبدو الفارق بين اللغة العربية و غيرها هو في درجة تفشي الترادف و التعدد الدلالي و الاشتراك اللفظي كونه متضمن أيضا السوابق و اللواحق و المكونات الدلالية الفرنسية و الإنجليزية، إذ أن لكل عنصر منها دلالة واحدة لا يتعداها، و لا يشاركه غيره فيها، و إن وضع مقابلات عربية لكل عنصر من الألفاظ الأجنبية، يسهم في نقل ما فيها من علل الترادف و التعدد الدلالي و الاشتراك اللفظي، إذ ليست الترجمة الإيمان يقينا بأن يكون لكل لفظ أجنبي مقابلا عربيا ، فمثلا في المقاربة التداولية الاعتقاد بأن المضمون الإجمالي العام بل هو نقل للمضامين و المعاني المشكلة له، فالترجمة ليست جمعا لترجمات المكونات الدلالية ، و لا يؤدي إلصاق المقابلات و زيادتها و الترادف و التعدد الدلالي و الاشتراك اللفظي إلا إلى أفعالا هجينة وركيكة .

4-2-3-الغموض الاصطلاحي: يعرف هذا الغرض أيضا بالفتنة الاصطلاحية كما يحلو لبعض النقاد تسميته، و قد برزت في الكثير من الترجمات القديمة و الحديثة، التي عرفت اضطرابا واضحا في سياق النقد العربي وهي من قبيل التهجين ، و هذا « دون أقل حرص أو محاولة

1 كلود جرمان ، ريمون لوبلون ، علم الدلالة ، تر: نور الهدى لوشن ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ط.1، 1997، ص.08.

توخي أدنى درجات المعيارية »[1]، هذا التهجين الاصطلاحي تجلى قديما في النصوص الفلسفية و تجلى في ترجمات عن اليونانية من قبيل « إيكيين – اللوغوس – ليغيطاي– بوسون– بويون و هلم جرا » [2]، أما في النصوص النقدية المعاصرة نجد عدد من الترجمات التي هيمنت عليها الفتنة الاصطلاحية و يمكننا عرضها كمايلي :

الترجمة	المؤلف	المرجع النقدي	رقم الصفحة
السيماطقا	سمير حجازي	قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر	ص.90.
سيميوطيقا	جميل حمداوي	سيميوطيقا الترجمة	ص.29.
سوسيولوجيا	عبد الغني عماد	سوسيولوجيا الثقافة المفاهيم والإشكاليات ... من الحداثة إلى العولمة	ص.12.

و هكذا تأكد من خلال أزمة التسارع في نقل المفاهيم الغربية قد فرضت هيمنتها بإيهام واضح قد أثر بقوة على المتلقي و جعلته يفقد القدرة على إيجاد مصطلحات مناسبة لهذه الدلالات المفترضة، فتاهت الآراء بين هذه الفتنة الاصطلاحية و امتدت لتعلو عناوين الكتب الرئيسة و الفرعية و الأبحاث و الدراسات من مثل: « مقدمة

1 عزت جاد، المصطلح النقدي المعاصر بين المصريين المغاربة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مج:2، ع.3، 2003، ص.84.

2 طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي – اللسان والميزان، مصدر سابق، ص.ص. 330، 338.

في الهرمنيوطيقا »[1]، « العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي »[2]، « النقد الروائي و الإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي »[3]،« مدخل للصواتة التوليدية »[4]، و كل ذلك أدى إلى تعطل آليات التواصل، و اعتلال المصطلح النقدي في ترجمته ، و التواطؤ في استخدامه ضمن مرحلة معينة و من ثم تركه و تجاوزه دون حاجة له ليبقى فقط بين سطور مادة كاتبه، و هكذا فهذه المقابلات ليس لها مسوغات الأمر الذي يؤدي إلى ثقل كاهل العملية الإبداعية بأقطابها الثلاث **(المؤلف ، النص ، المتلقي)**، لأنها أصبحت جزءا من اللغة لا يمكن التخلص منها بعد أن شاعت و تداولت فترة طويلة، و اكتسبت سمة الخصوصية في لغة النقد التي هي أداة نشر و إشهار لفن الأدب.

4-2-4- غموض الغرض التأويلي: يرتبط هذا الغرض بالقراءات التي تقام حول النصوص ، إذ « كل نص مكتوب يحتمل بما هو كذلك تأويلات و قراءات قد لا تقف عند نهاية معلومة »[5]، إن عدم وضوح المفهوم لحظة ترجمته، يرجع أساسا إلى غموضه

1 دايفيد جاسير، مقدمة في الهرمنيوطيقا، تر: وجيه قانصو ، الدار العربية للعلوم –ناشرون، منشورات الاختلاف، ط.1، 2007، ص.13.

2 محمد فكري الجزار ، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د.ط،1998، ص.ص.9، 10، 11، 12، 13.

3 حميد لحميداني ، النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب، ط.1، 1990، ص.71-91.

4 إدريس السغروشني ، مدخل للصواتة التوليدية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب، ط.1، 1997، ص.07.

5 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان ، مصدر سابق ، ص.331.

في مصدره الأصلي ثم اعتماده انطلاقا من مهارات و إبداعات ذاتية ، عشوائية من طرف الباحثين، مما أفضى إلى فقده لمسة الوضوح و الرؤية النقدية الواضحة ، و لقد تكفلت المجلات الأدبية و النقدية بنقل المفاهيم النقدية و ترجمتها ترجمة غامضة في أغراضها التي يتلقفها المتلقي دون أن يفقه منها شيئا و يتشكل لديه وهم و عجز ينبئ عن غموض في ثقافته و صعوبة تأويله ، و هنا يجب التنبيه إلى أنه « هناك فرق دقيق بين الترجمة (la traduction) هي تحويل الأفكار المعبر عنها كتابة من لغة إلى أخرى في حين يقتصر التأويل (L'interprétation) على ترجمة الأفكار المعبر عنها شفويا أو سيميائيا. و من ثم، يعد التأويل جزءا من الترجمة، و فعلا مكملا لها »[1]، إن الفرق بين الترجمة و التأويل يبدو دقيقا، فأهم ما يميز كل منهما عن الآخر هو أنها تعبير عن الأفكار بالكتابة من لغة إلى لغة أخرى ، أما التأويل تعبير عن الأفكار و ترجمتها شفويا أو مضمونا ، لـ « نستنتج من ذلك أن عنف التأويل يرجع إلى تضمن كل ملفوظ معاني عديدة ؛ لذلك لا يمكن أن يستقر فهم المتلقين لنص معين على معنى واحد ، كما إن المترجم لا يمكنه التحرر من السياقات المحددة لفعاليته (...) و إن كان من الممكن أن يفقر لغته أمام الغنى اللغوي للعمل الأجنبي »[2]، هكذا كله يشكل إيهاما للمتلقي و للمترجم في حد ذاته الذي ينقل المفاهيم من منابع و مصادر غامضة و مضطربة من أجل التنافس في الحصول

1 جميل حمداوي ، سيميوطيقا الترجمة ، مرجع سابق ، ص.14.

2 أنطوان برمان ، الترجمة والحرف أو مقام البعد ، تر: عز الدين الخطابي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت – لبنان، ط.1، ماي 2010، ص.ص.18، 19.

على مصطلحات أكثر غرابة و بهرجة و تأويله ، إضافة إلى تلك الضبابية التي تلف النصوص فينفر منها المتلقي الأمر الذي يزيد من شيوع الغموض التأويلي في ترجمة المفاهيم الأجنبية ، لعله من نافلة القول أن نقل مثل هذه المفاهيم في مجملها ضمن مهادها و أصولها الفعلية، و إخضاعها إلى أغراض و معايير و أسس وتقاليد مختلفة عنها و من قبل مترجمين و نقاد ثقافيين تجعل المصطلح يخضع لتقلبات في استعماله و كتابته و قراءته ، ما يفضي إلى تعتيم الوضع و الترويج لتأويلات للمصطلحات تزيحها عن الموضع الذي أدرجت فيه ، و هذا أمر يفرضه النقل العشوائي ، فيولد خلطا و ارتباكا و غموضا في الممارسات التي تتصل به.

4-2-5-غموض الغرض التداولي: يشكل الغرض التأويلي آخر مرحلة في مسار الترجمة إذ من خلاله يتم الحكم على تبني المصطلح النقي من عدمه ، فإذا كانت المقدمات صحيحة ستكون الخاتمة صحيحة ، أما إذا كانت أشبه بالمصادراتعلى المطلوب فتكون الممارسة استدلالا منطقيا مبنيا على مقدمات خاطئة و بالتالي خاتمة خاطئة ، كما « أن هناك الغموض الخاص الذي يتسبب فيه المجال التداولي للقارئ العربي و الذي يحول دون تجاوبه مع النص ؛ و المراد بـ (المجال التداولي) هو كل الوقائع و القيم الثقافية المميزة لمجتمعه و العاملة في توجيه أقواله و أفعاله و تكوين نظرته الخاصة إلى العالم »[1]، نجد هناك مجموعة من الظروف و الأسباب التي تحكم عملية ترجمة المفهوم و انتقاله من بيئة إلى بيئة جديدة ، و هي مراحل بينية بين تقلبه أو رفضه ، فالمصطلح حسب هذه الرؤية

1 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان ، مصدر سابق ، ص.331.

يجب أن يكون مقبولا و ملائما للتصورات المتضمنة في المنظومة التداولية ضمن الثقافة المتنقل إليها و إذا كان المفهوم غريبا، متشعبا، يصعب أقلمته مع القاموس المتداول فنجد تشعبه كثيفا ، يكتسح المجالات و المنظومة اللغوية و يشكل جزءا منها ، لكنه جزءا مزاحما يخفى عجزه وراء نسق الاقتصاد الأدائي ، فيشيع و يألف استعماله ، فالتداول و الاستخدام ينفران عنه و هذا حال بعض الألفاظ نذكر منها : التكنيك و الديالكتيك، فالتكنيك مثلا لحظة ترجمتها حاول بعض الباحثين و الدارسين قلب الكاف إلى قاف ، و هذا ما نعثر عليه في فصل مدونتنا محل الدراسة « اللغة التقنية العربية »[1]، و هكذا شاع بشكل مكثف عند العرب ، فأصبح متقبلا مع كثير من المفاهيم لحظة هجرتها سلعة إما أن تترك لتشييع و تنتشر في منظومة الرواج داخل الثقافة الوافد إليها، فيمتلك محلا فيها يمكنه من أن يكون مفهوما بديلا يهدد وجود باقي المصطلحات المشكلة لفكر الثقافة المستقبلة ، إما أن يخضع لمعايير و قواعد المجال التداولي ، و هذا لا نجده في الوقت الراهن فقط ، ففي العالم الإسلامي العربي نجد الفلسفية اليونانية تختلف في تداولها عن اللغات الفكرية الفلسفية ، « لكن هذه الأساليب التي أفادت أيما إفادة (...) في اكتساب قوة تداولية ضمنت لها الانتشار و التأثير و التوجيه، لا نجد لها في اللغة الفلسفية العربية، كأنما لا يعني أهلها أمر إتباع هذه المقتضيات التعبيرية في وضع مصطلحاتها، فقد تتنافر أوزانها فيما بينها و تتنافر معانيها فيما بينها و قد تتنافر الأوزان فيما بينها و المعاني بعضها مع بعض ، بل

1 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان ، مصدر سابق ، ص.336.

قد لا تخضع مصطلحاتها لأي وزن معلوم »[1]، و لقد امتدت هذه الأزمة إلى وقتنا المعاصر، فتقصي انتقال المفهوم من مجال نقدي إلى آخر شكل مرحلة بالغة الصعوبة ، ذلك أن لكل فضاء مهاده التأصيلي الخاص به و خلفياته المعرفية و الفلسفية المنوطة به ، فهو في تغير دائم مع كل قراءة و مع كل توظيف في بيئة و واقع غير الواقع الذي لفظه ، و عليه يغدو تداوله هجينا لا يخضع لضوابط الثقافة التي وفد إليها فتشيع موجات الخطأ في اختيار المصطلح الأنسب الذي يسهل تداوله ، ليبقى غموض الغرض التداولي في ترجمة مفاهيم الفكر الأجنبي لحظة توظيفها في الفكر العربي هاجسا يؤرق المتلقي العربي ، إذ « إن القيم المعرفية القادمة مع المصطلح تختلف بل تتعارض أحيانا، مع القيم المعرفية التي طورها الفكر الغربي المختلف »[2] ، و هكذا فبمجرد نقل مفهوم من ثقافة إلى ثقافة أخرى دون أدنى معرفة بخلفيات هذا الوافد الجديد، سيؤدي إلى إفراغ هذا الوافد من دلالاته الأصلية التي منحته إياها تربته قبل أن يصبح مشروعا معرفيا ، كما يتحمل مضامين مختلفة تماما عما هو في تربة نشأته ، فيصبح ليتم نقله بعواهنه و عوائقه الفلسفية التي يؤدي إلى الفوضى و الضبابية في معانيه ، فيسهل شيوعه في ظل تعدد المصطلحات المعبرة عنه .

1 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان ، مصدر سابق ، ص.337.

2 عبد العزيز حمودة ، المرايا المحدبة – من البنويةإلى التفكيك، مرجع سابق، ص.55.

4-3-المبحث الثالث : طرائق تحليل المصطلحات النقدية واللسانية في مجال التداولية :

يدرج طه عبد الرحمن في آخر مدونته مسردا أو قاموسا لجملة من المصطلحات النقدية و اللسانية التي تشكل صلب المقاربة التداولية، و لعل توظيفه لهذا القاموس نابع من رؤيته بأن كثيرا من الدارسين لهذه المقاربة يستعملون مصطلحات ذات دلالة غير محددة ، و قد تجسد ذلك حتى في متن الفصل المعالج محاولة ضبط مضمون المصطلحات ، و في هذا دعوة صريحة منه للباحثين إلى ضرورة توحيد المفردات ضمن قاموس موحد أو ملاحقا في خاتمة البحث خاص بالمصطلحات و المفاهيم النقدية و اللسانية وفق معايير و أسس موضوعية ، و قد وقع اختيارنا على هذه الترجمات لأنها كتبت باللغة الأجنبية (اللغة الفرنسية و الإنجليزية)، و ما في العربية سوى ترجمات لها، أما انتقاءنا للمصطلحات و الألفاظ فقد كانت بالنظر إلى أهميتها و كثرة تداولها و استخدامها في حقل النقد و التداولية ، و لقد انصب اهتمامنا على المسرد الذي ورد في نهاية المدونة وكذا المفاهيم التي وردت في متنها و قابلناها باللفظ الأجنبي ، و فيما يلي جداول المصطلحات التي سنتناولها بالمعالجة و الدراسة :

المصطلحات	اللفظ الأجنبي
تداوليات	pragmatics / Pragmatique
تبادل	Commutativité
سياق	Contexte
تأويل	Interprétation

ضمني	Implicite–Implicit
البنية / الأبنية/ بنائية نقدية	structurés/structure/ Criticisme
تقليد	Imitation

4-3-1-تداوليات (pragmatique-pragmatics): ظهر هذا المصطلح منذ 1839- 1914 و هو مقابل للمصطلح براغماتيقا في تأثيله الغربي ، إذ « (pragmatique) بالفرنسية و (pragmatics) بالانجليزية ، و كلاهما يرجع تأصيله إلى اللفظ اليوناني التي تعني الفعل أو الحدث (action) »[1]، و هكذا فالتداولية تقابل مصطلح براغماتيقا في التأثيل اللغوي الغربي ، و اللفظتين كلاهما الفرنسية (pragmatique) و الإنجليزية (pragmatics) بالرغم من اتفاقهما في السابقة و اختلافهما ، إلا أن كليهما يرجعان في تأثيلهما إلى اللفظ اليوناني التي تعني الفعل أو الحدث (action) ، و ترجم طه عبد الرحمن مصطلح (pragmatique) الفرنسي و (pragmatics) الإنجليزي على حد سواء : **Pragmatique- pragmatics تداوليات- المجال التداولي،** و هكذا لم يضبط فضاء انتماء هذه المفردة ، و قد قدمت ترجمة واحدة و هي : تداوليات ليضيف لها فيما بعد لفظة المجال التداولي ، و كما جاء في كتاب أصول الحوار و تجديد علم الكلام و مؤلف تجديد المنهج في تقويم التراث كما ذكرنا آنفا : فالتداوليات « هي الدراسات التي تختص بوصف – إن أمكن بتفسير – العلاقات التي تجمع الدوال الطبيعية و مدلولاتها و بين الدالين بها »[2]، و بذلك فالتداوليات التي هي على صيغة الجمع مجموعة من الطرائق و التقنيات

1 نواري سعودي أبو زيد : في تداولية الخطاب الأدبي ، المبادئ والإجراء ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط.1، 2009، ص.18.

2 طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، مرجع سابق ، ص.28.

و المنهجيات التي تدرس العلاقات القائمة بين المتكلم و المخاطب ضمن الإطار الاستعمالي و التداولي و السياقي في النصوص و الخطابات على تنوعها، لغاية واحدة هي التأثير في متلقيها من خلال العناصر المتضمنة فيها باعتبارها أفعالا و أحداثا ، كما نلاحظ أن طه عبد الرحمن أضاف ترجمة جديدة للتداوليات ، ألا و هو (المجال التداولي) و هذا لتأكيد لفظ التداوليات ليكون أوسع و أشمل لتحصينه من أجل أن لا يقع في مغالطة مع باقي المصطلحات المقترحة و يسهل تداوله ، و في هذا الصدد نلحظ استعمال مصطلح تداوليات بمرتكزات و قواعد تبدو مختلفة عن مضمون المقاربة التداولية، و هنا يفرض التساؤل نفسه : هل يعد القياس بالوزن (مثلا قياس لفظ التركيبيات على وزن الرياضيات) شرطا كافيا لتبني مصطلح ما من المصطلحات ؟ تتوجب هذه المقابلة تتبع مسار القياس بالوزن لفظة على زنة لفظة أخرى ، إذ تتكشف لنا ممارسة طه عبد الرحمن من خلال قياس لفظة التداوليات على زنة ألفاظ الداليات و الدلاليات يتحدث عن الألفاظ كالآتي : – الداليات : « نقصد بها الدراسات التي تختص بوصف – و إن أمكن بتفسير الدال الطبيعي في نطقه و صوره و علاقاته ؛ و بهذا تكون الداليات عندنا شاملة للأقسام الثلاثة المشهورة : (الصوتيات) و(الصرفيات) و (التركيبيات) »[1]. – الدلاليات : هي الدراسات التي تختص بوصف – و إن أمكن بتفسير – العلاقات التي تجمع بين (الدوال) الطبيعية ومدلولاتها ، سواء اعتبرت تصورات في الذهن أو أعيانا في الخارج »[2]، و بين هذا و ذاك

1 طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، مرجع سابق ، ص.28.

2 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

(داليات و دلاليات) يأتي مصطلح التداوليات متوافقا معهما سواء من حيث التركيبة المصطلحية أو حتى من حيث الجهاز المفاهيمي ، و هذه حجة في تبني لهذا المصطلح (التداوليات) ، فالداليات و الدلاليات و التداوليات يختصون بدراسة العلاقات التي تجمع بين (الدوال) الطبيعية و مدلولاتها، إلا أن لفظ التداوليات بشيء يجمع اللفظين السابقين معا ألا و هو اختصاصه بدراسة العلاقات التي تجمع الدوال الطبيعية و مدلولاتها و بين الدالين بها، لذلك كان التأكيد على إدراج هذا المصطلح في البحوث والدراسات ، « و لقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم »[1]، و هنا إعلان على مطابقة مصطلح التداوليات لمعايير وطرائق وضع المصطلح ، و حسب طه عبد الرحمن تنتفي عن هذا المصطلح سمة المصادرة على المطلوب ، فهو يخضع للمعيار التداولي الذي ينم عن مدى شيوع المصطلح بالقياس إلى مصطلحات أخرى تترادف معه دلاليا، لكن بالرغم من مطابقة هذا المصطلح المتبنى لمعايير وضع المصطلح ، أما الانتقاد الأول الذي يبدونه حول هذا التبني عدم الضبط بدقة المراجع التي اعتمد عليها لحظة تبني هذا المصطلح ، و من أجل ذلك أضيفت ترجمة ثانية هي المجال التداولي أو قل إن شئت مجال التداول أو التداول لفظا مفردا، كما يفصح عن ذلك عبد المالك مرتاض عن الاستعمال الخاطئ لمصطلحي التداولية و التناص « و من عجب أن السيميائيين العرب يعكسون هذا الاستعمال بالقياس إلى استعمال مفهوم سيميائي آخر، فتراهم يقولون : « التناص » ، مثلا ، مقابلا للاستعمال الغربي : « Intertextuality،Intertextualité» ،

1 طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، مرجع سابق ، ص.28.

فـي حـين كـان يجـب فـي الحقيقـة أن يقولـوا : « التناصـية ». و إذن، فهـم يصـطنعون « التداولية » في مكان « التداول »[1]، هكذا تكون الحجة السائدة صريحة على الآراء القائلة تبنـي مصـطلحات غيـر دقيقـة و مفـاهيم يكتنفهـا الغمـوض مـن كـل جوانبهـا ، ومـن بـين الترجمات التي أوردت للمفهومين الأجنبيين pragmatique–pragmatics نذكر منها :

المترجم	المصطلح العربي	المرجع النقدي
عبد المالك مرتاض	التداول	نظرية النص الأدبي، ص.398.
جميل حمداوي	التداوليات	التداوليات و تحليل الخطاب ، ص.04.
سيف الدين دغفوس – محمد الشيباني	التداولية	التداولية اليوم ، آن روبول وجاك موشلر ، تر: سيف الدين دغفوس – محمد الشيباني، ص.ص.27، 28، 29. [2]
محمد يحياتن	التداولية	المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب ، دومينيك مانغونو ، تر: محمد يحياتن ، ص.142.

على أننا نجد إضافة إلى هذه الترجمات ، ترجمات أخرى كبراجماتية و مقامية [3] للمصطلح الإنجليزي pragmatics لسعد مصلوح و وفاء كامل فايد، و نجد أيضا تداوليات[4] كمقابلا

1 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، مرجع سابق، ص.398.

2 آن روبول وجاك موشلر ، التداولية اليوم ، تر: سيف الدين دغفوس – محمد الشيباني، ص.ص.27،

3 ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح- وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة ، د.ب، ط.2،2000، ص.487.

4 ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، د.ن، سيدي بلعباس، الجزائر،ط.1، 2007، ص.82.

للفظ الفرنسي Pragmatique عند عبد القادر فهيم الشيباني ، و لعل السبب في هذا التباين يعود إلى غياب الوعي و التوافق الجماعي ، و تعارض في الأسس الفكرية التي يرتكز عليها كل دارس في معالجة و ضبط مرتكزات هذا الفرع الجديد، أما في وجهة نظرنا فنفضل مصطلح التداوليات أو التداول لأننا نراه دقيقا و علميا ، و كما سبق و رأينا، بأن المصطلحات المقابلة للمفاهيم الأجنبية جاءت ضبابية في كتابات المؤلفين عندما تضاف إليها اللاحقة "**ية**" كما أكد على ذلك عبد المالك مرتاض .

4-3-2-تبادل Commutativité

الصفحة	المترجم	الترجمة العربية	اللفظ الأجنبي
411	طه عبد الرحمن	تبادل	-Commutativité Commutativity

يشير معجم تحليل الخطاب إلى تأثيل كلمة التواصل (**Communication**) فلم يكن « في الأصل قضية تقنية و أقل من ذلك تكنولوجية، فحسب المعجم التاريخي للسان الفرنسي (**Le robert**) أخذت هذه الكلمة (**Communication**) (آخر القرن الثالث عشر و بداية القرن الرابع عشر م) من المشتق اللاتيني (**Communicatio**) و يعني اشتراك في شيء، تبادل قول، إبلاغ ...»[1]، و هكذا ألحقت الدراسات مصطلح التواصل بالكلمة الأجنبية (**Communication**) ذات التأثيل للمفهوم المتداول في الدرس النقدي و اللساني عند الغرب إلى الاشتقاق اللاتيني (**Communicatio**) الذي يدل على مجرد

1 باتريك شارودو دومينيك منغو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري – حمادي صمود، مرجع سابق ، 109.

اشتراك في شيء، تبادل قول، إبلاغ، و قد امتد هذا المفهوم و توسعت دائرته فيما بعد ليشمل عدة مجالات ، لنرى التواصل في اللاهوتية و الطب و القانون و كذا في البصريات و وسائل الإعلام و لم يقتصر على اللسانيات و النقد و الأدب ، أما حسن سعيد بحيري فيحصر الاتصال في العلاقة بين المرسل و المتلقي، إذ يقول في كتابه علم لغة النص – المفاهيم و الاتجاهات « إن العلاقة بين المرسل و المتلقي التي حرصت البلاغة على إبرازها قد وجدت طريقها إلى نظرية الاتصال ، و بالتالي إلى التداولية التي عنيت بالسياقات المختلفة و أطراف الموقف التواصلي عناية كبيرة »[1]، و عليه فإن عملية الاتصال تتم بواسطة مرسل و متلقي مع وجود و عناصر سياقات مختلفة تحقق عملية التواصل ، و هكذا تعددت المقابلات المختلفة للمفهوم الأجنبي (Communication) فمثلا سمير حجازي يفضل ترجمة اتصال ، و هذا ما يفصح عنه في مؤلفه مناهج النقد المعاصر بأنه « نقل معلومات و أفكار من شخص إلى أخر، عن طريق الكلام أو اللغة . و يتضمن هذا النقل عدة عناصر أساسية : مرسل ، مستقبل ، دائرة ، رسالة »[2]، قام حجازي بترجمة المفهوم الأجنبي بمصطلح اتصال ، على اعتبار أنها الكلمة المناسبة :

المترجم	الترجمة العربية	اللفظ الأجنبي
مجدي وهبة	إيصال[3]	Communication

1 سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات، المكتبة المصرية العالمية للنشر –لونجمان ، الجيزة ، مصر ، ط.1، 1997، ص21.

2 سمير حجازي، مناهج النقد المعاصر ، مرجع سابق، ص.141.

3 مجدي وهبة ، معجم مصطلحات الأدب : انكليزي - فرنسي - عربي ، مكتبة لبنان ساحة الرياض ، د.ط، 1994، ص.79.

عبد السلام المسدي	إبلاغ [1]	Communication
محمد يحياتن	الاتصالي[2]	Communicationnel
مجدي وهبة وكامل المهندس	نقل المعاني[3]	Communication

يتضح من خلال عرضنا لبعض الترجمات للمفهوم الأجنبي **(Communication)** أن لفظتي إيصال واتصال لهما نفس المعنى ، و لكن تظل كلمة اتصال أبلغ و أدق معنى لأنها تجمع بين طرفي العملية التواصلية معا (مرسل و متلقي)، أما لفظة (إبلاغ) فقد تؤدي المعنى لكن بشكل نصفي أي ؛ تحقق جزء من عملية التواصل دون الجزء الآخر، ذلك أنها بشيء يبدأ في مرحلة ما و ينتهي عند مرحلة أخرى فهو غير دائم ، و الأكثر من ذلك فهو لا ينبئ عن تلقي الشيء أي يهتم بالحدث و يغفل ردة الفعل من مستقبله ، فنلحظ أن هناك تباينا في الترجمات العربية، و رغم ذلك، فإن طه عبد الرحمن أعطى مقابلا واحدا للفظ الأجنبي(**Communication**) هو تبادل، بيد أن استعمال لفظة (تبادل) فهو شبيه في مضمونه بالمفهوم الذي تؤديه لفظة (إبلاغ) أي؛ أن اللفظتين تنبئان عن الفعل دون ردة الفعل فهو يبدأ في مرحلة و ينتهي عند مرحلة أخرى ، أما من وجهة نظرنا فنفضل استعمال مصطلح (اتصال) ، لأن المصطلح الفرنسي و المقابل العربي يحيلان على المعنى نفسه لما بينهما من تكافؤ شكلا و مضمونا.

1 عبد السلام المسدي ، التفكير اللساني في الحضارة العربية ، مرجع سابق ، ص.389

2 دومينيك منغو، المصطلحات المفاتيح في تحليل الخطاب ، تر: محمد يحياتن ، مرجع سابق، ص.137.

3 مجدي وهبة وكامل المهندس ، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ، مرجع سابق، ص.480.

4-3-3- سياق (contexte)

الصفحة	الترجمة	المصطلح الأجنبي
417	مقام	(Context–Contexte)
414	سياق	(co- text –co–texte)

يعد السياق من المفاهيم التي تتضمن مجموعة العوامل التي تشكل توجهات و مسارات النصوص، إذ هو « مفهوم يشير إلى مجموعة العوامل التي تؤثر في اتجاه النص، و في تشكيله و في ظهوره ، فالسياق للأثر الأدبي أو النص هو المجتمع و التاريخ »[1]، و هكذا يرجع التأثيل اللغوي لكلمة contexte إلى سنة 1539، و هي مشتقة من اللاتينية contextus (co(cum) + texerce) و هي بمعان من قبيل : تجميع و ضم ، كما يشتق بدوره من contexere الذي يعني الربط و الجمع ، و نجد مصطلح contexte في قاموس لاروس بمعنى :

« contexte n.m. (lat. contextus, assemblage). 1. Ensemble du texte auquel appartient Um mot, une expression une phrase :Certaines phrases isolées de leur contexte sont incom - préhensibles.

2. Ensemble des circonstances dans lesquelles se situe un fait, et qui lui confèrent sa valeur, sa signification :le contexte social,

1 سمير حجازي ، مناهج النقد المعاصر ، مرجع سابق ، ص.143.

politique, économique (syn. ↓ SITUATION) .con– texetuel, elle adj. »[1].

و هكذا تتحدد دلالة لفظة السياق المتجسد في الترابط المنتظم بين الوحدات اللغوية التي لا يدرك معنى الكلمة داخلها إلا بما ورد قبلها وما ورد بعدها أي؛ الظروف المشكلة لها والمحيطة بها. و يجعل طه عبد الرحمن مصطلح المقام مقابلا للمفهومين الأجنبيين (contexte–context)، و لا بد « لهذا المفهوم الجديد من أن يؤدي إلى تكييف المعاني المنقولة مع أحوال اللسان الناقل ، أي يفضي إلى إحداث تغيير في المعنى المنقول بحسب وضعه اللساني الجديد ، و ها هنا يجب التنبيه على أنه يتعين على الفيلسوف ألا يعد هذا التصرف في المنقول في سياق النص الفلسفي إخلالا به أو تحريفا له ، بل عليه أن يتحمل تبعاته في وعي كامل، بل و أن يستفيد منه في تحقيق أغراض فلسفية جديدة لم يرمها النص الأصلي »[2]، إن نظرية السياق إذا تم تطبيقها وفق أسس و معايير محددة ، فهي تمثل النواة المركزية في إدراك المعنى ، فكل كلماتنا تقريبا هي بحاجة إلى الإيضاح المستمد من السياق الحقيقي، سواء أكان هذا السياق لفظيا أم غير لفظي، أما سمير حجازي يقابل **مصطلح السياق بمصطلح (contexte)** الذي هو « مفهوم يشير إلى مجموعة العوامل التي تؤثر في اتجاه النص ، و في تشكيله و في ظهوره فالسياق العام للأثر الأدبي أو النص هو

1 Étienne Gillon, Claude moreau, jean – louis moreau, pluridictionnaire Larousse- la dictionnaire des collèges, 17 rue du Montparnasse 75298 , paris cedex 06, librairie Larousse, 1997,p.330.

2 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي ، مصدر سابق، ص.335.

المجتمع و التاريخ ، و هو السياق يعزله الناقد البنيوي الشكلي عن العالم الخارجي حتى يستطيع الوصول إلى اكتشاف التواتر أو الاطراد بين النصوص الأدبية و بين بعضها و يعتمد عليه الناقد البنيوي التوليدي (الدينامي) من أجل فهم و تفسير الأثر أو النص الأدبي »[1]، بمعنى النسق العام الذي تنتظم فيه عناصر النص و وحداته اللغوية والنقدية و الظروف المشكلة له و المحيطة به، ففي البنيوية نجد إقصاء و إهمال لدور الظروف المحيطة بالنص ، كما أنها تهتم بالتحليل الشكلي للغة دون الالتفات للمعنى ، أو إلى القواعد التي يلجأ إليها المتكلم عند تكوينه الجمل (استعمال اللغة) بما يسمى الكفاءة اللغوية ، و لتكون نقطة الخلاف مع المقاربة التداولية بنظريتها التوليدية التحويلية ، فالجوانب التداولية للغة تتعلق بخصائص استعمالها للحوافز النفسية للمتكلمين ، ردود فعل المخاطبين ، النوع المجتمعي للخطاب، موضوعه و سياقات استعمالها ، كذا نجد البنيوية اهتمت بدراسة البنى السطحية دون البنى العميقة و قوانينها، لذلك أرست التداولية القواعد العامة التي تحكم البنية (سياقات الاستعمال)، و بالعودة إلى المصطلح فنجد اتفاقا في ترجمته، لكن الخلاف يظهر في تحديد المفهوم ، و فيما يلي عرض للترجمات المقترحة للمفهوم الأجنبي contexte.

الصفحة	المرجع	المترجم	ترجمته	المصطلح
109	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة	سعيد علوش	السياق	

1 سمير حجازي ، مناهج النقد المعاصر، مرجع سابق ، ص.143.

201	معجم المصطلحات الأدبية	فتحي إبراهيم	السياق	Contexte /co-texte
13	المصطلحات الأدبية الحديثة	محمد عناني	السياق	
88	الأسلوبية والأسلوب	عبد السلام المسدي	السياق	
41	المصطلحات المفاتيح في اللسانيات لماري نوال غاري بريور	عبد القادر فهيم الشيباني	سياق/مساق /contexte co-texte	
133	معجم تحليل الخطاب لباتريك شارودو دومينيك منغو	عبد القادر المهيري وحمادي صمود	سياق	
143	مناهج النقد المعاصر	سمير حجازي	سياق	

يلاحظ على الجدول أن لفظة السياق من بين المصطلحات النقدية أكثر ثبوتا من غيرها من المصطلحات الموقف و المقام، التي يتبناها الكثيرون من منطق أنها مستخدمة في تراثنا الأصيل، إلا أن مصطلح السياق فرض تداوله بقوة، و يقترن **المصطلح الفرنسي (contexte) و المصطلح الإنجليزي** بالمفهوم الأجنبي **(context)** بالمقابل العربي**(المقام)** خلافا لما اتفق عليه تبني المقابل **(سياق)** ، فطه عبد الرحمن يرى أن اللفظ (مقام) أكثر ثبوتا ونفعا من سياق ، كونه يأتي متوافقا مع استعمال لفظة **تداوليات** التي تتطلب مقاما ، وفي موضع أخر يستعمل المصطلحين سياقا ومقاما معا ، من منطق أن التداولية في أبسط

تعريفاتها استعمال اللغة في سياقها الاستعمالي ، و لفظة (**سياق)** فيقرنها بالمفهوم الإنجليزي (**co-texte**) و المصطلح الفرنسي (**co-text**) ، و هذا يفضي إلى ترجمات أخرى من قبيل فكلمة contexte التي تترجم بسياق ، أما كلمة co-text فتترجم بمساق كما في وجهة نظر عبد القادر فهيم الشيباني : contexte : سياق ، co-texte : مساق، هكذا و بالرغم من أن المفهوم واحد فمصطلح مساق يؤدي نفس الدلالة التي يؤديها مصطلح سياق ، أي معنى التتابع و الربط و الضم ، إلا أن الاختلاف في ترجمة المفهوم يبقى واضحا. و نلاحظ إذا أن هناك إجماعا حول ترجمة مصطلح (contexte) بالسياق، و لهذا من وجهة نظرنا نفضل استعماله لشيوعه و تداوله .

4-3-4-تأويل Interprétation : لقد ورد مصطلح تأويل في مسرد المدونة بهذه الصفة (Interprétation) ، إذ تعد نموذجا من نماذج الخطاب الفلسفي و الابستمولوجي و الديني ، و المتصفح لمهادها الفعلي يرى أنها ترجع إلى « الفعل اليوناني Hermeneuim و منه الاسم Hermenei الذي يترجم عادة بالفعل يفسر Interprète أو التفسير Interprétation »[1]، هكذا هناك كثير من المصطلحات التي تتشابك مع التأويل كلفظ معبر عن المفهوم الأجنبي (Interprétation) مما يجعلها في غالب الأحيان تحل محله أو تشرحه أو تطابقه ، ونذكر على سبيل المثال: الهرمنيوطيقا ، التفسير ، الفهم ، التأويل و الترجمة ... الخ ، و يقترح طه عبد الرحمن لحظة حديثه عن

1 صفاء عبد السلام علي جعفر، ، هرمنيوطيقا التفسير (الأصل في العمل الفني) ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، مصر، 2000، ص.23.

غموض الغرض التأويلي في ترجمة المفاهيم الاجنبية ، مقابلا واحدا لمصطلح Interprétation هو تأويلات ، ويؤكد عليه قائلا : «... وهذا ما يفسر بالضبط تعدد التأويلات بصدد المقولات والاضطراب الشديد الذي حصل في عددها وتصنيفها وتحديد قيمتها»[1]، و ذلك بسبب الأنساق الضمنية التي يتخذها كل مصطلح، و ما يترتب عن الترجمة من لغة إلى أخرى من تشويش دلالي أو غموض و التباس يكتنف هذا المصطلح أو ذاك، حتى غدا التأويل في حد ذاته عرضة للنقل الحرفي الذي يراه كثيرون وفيا للمعنى ، لكن ما نجده من مقابلات له يبدو إفراطا و إسهابا مبالغا فيهما ، و من بين هذه المصطلحات للمفهوم الغربي (**Hermeneutique**) تمييزا له عن **التأويل** المعبر عنه باللفظ الأجنبي **(Interprétation)** :

المترجم	المصطلح العربي	المرجع النقدي
محمد عناني	التفسيرية	المصطلحات الأدبية الحديثة [2]
عبد السلام المسدي	الهيرومنطقية	الأدب وخطاب النقد [3]
سعيد علوش	الهيرومنوتيكية	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة [4]

الملاحظ أن المقابلات المعبرة عن المفهوم الأجنبي **(Interprétation)** متنوعة نجد بعض المترجمين يقترضونه كما هو ، مع ترجمة حرف **T** إما بـ " **ت**" عند سعيد علوش الذي ترجمه بـ (**الهيرومنوتيكية**) أو " **ط**" كما هو المسدي الذي ترجمها بـ (**الهيرومنطقية**) الذي يبعد

1 طه عبد الرحمن، اللسان والميزان – التكوثر العقلي، مصدر سابق، ص. 339.

2 محمد عناني ، المصطلحات الأدبية الحديثة مرجع سابق،ص.08.

3 عبد السلام المسدي، الأدب وخطاب النقد، مرجع سابق، ص.147.

4 سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، مرجع سابق ، ص.ص.224، 225.

القارئ عن الترجمة للصحيحة للمفهوم الأجنبي ، أما محمد عناني فتبدو ترجمته أقرب إلى الترجيح فاختار له (**التفسيرية**) على اعتبار أنه كشف للمعنى و توضيح للأفكار و المعاني التي يتضمنها مصطلح (**التأويل**) ، و كونه يضم بين جوانبه معنى التفسير ، و الملاحظ أن غالبية الدارسين قد تبنوا المفهوم المقترض (الهيرومنطقية) و ابتعدوا عن ترجمة (Interprétation) ، بالرغم من أن هذا المفهوم المقترض يتنافى مع ضوابط و قواعد اللغة العربية ، أما نصر حامد أبو زيد فيقول عن هذه الترجمة « ... الهرمنيوطيقا أو التأويلية إذا شئنا استخدام مصطلح عربي »[1]، و شوقي الزين في كتابه (تأويلات وتفكيكات) ترجم المصطلح الفرنسي بفن التأويل ، ويصرح « إننا نبتغي صيغة فن التأويل لترجمة كلمة "Hermeneutique " تمييزا لها عن التأويل بمعنى " Interprétation " »[2]، و هذا بغرض تفادي التداخل الذي يطرحه مصطلح التأويل ، لأن **مصطلح التأويل (Interprétation)** يحتمل عدة معان أبرزها الترجمة ، إذ نجد في أغراضها ما يعرف بـ غموض الغرض التأويلي – كما أشرنا آنفا – ذلك لو تم ترجمة المفهوم الفرنسي لترجمناه قائلين (**interprétation**) بالترجمة أو نظريات الترجمة ، أما عند القول بالهرمنوطيقية فنفهم معنى تأويل النصوص لذلك يقترح الدارسون اعتماد مصطلح التأويل كمقابل للهرمنوطيقية مع إضافة كلمة فن إلى لفظ التأويل لتصبح (فن التأويل) حسب وجهة نظر محمد شوقي الزين، لذلك ربط طه عبد الرحمن (interprétation) بالترجمة و نظرياتها كون التأويل

1 نصر حامد أبو زيد ، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، مرجع سابق، ص.16.

2 محمد شوقي الزين ، تفكيكات وتأويلات (فصول في الفكر الغربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص.29.

ارتبط في المدونة بها ، و لو ارتبط المصطلح الذي اقترحه بغير الترجمة لأنكر عليه استعمال هذا المصطلح بدلا من(Hermeneutique).

4-3-5-مضمر أو ضمني (Implicite-Implicit): يترجم طه عبد الرحمن اللفظ الأجنبي (Implicite-Implicit) بـ مضمر أو ضمني ، وهكذا « ... أو على العكس من ذلك عدم إضمار المعاني اليونانية والتي يكون ذكرها في الجملة العربية مخلا بنظامها »[1]، يرجع التأثيل اللغوي للفظ الأجنبي(Implicite) إلى الاشتقاق اللاتيني (implicitus) و هو الأمر الضمني أي؛ ما يفهم ضمنيا فقد ورد هذا اللفظ في سياقات دينية كلفظ للتعبير و تعددت معانيه فتارة يستعمل بمعنى معقد و تارة بمعنى غامض ، و يستعمل بمعنى ما لم يتم الإفصاح عنه فعليا ، أو ما هو مضمن في حدث أو فعل ما ، و هذه الفكرة هي التي تتوارد في مجالات عديدة ، إذ نجده في الأدب و النقد و اللسانيات و غيرها ، و هو نقيض مصطلح الصريح ، و يمثل المعنى الضمني تصورا عن فكرة لم يصرح بها مباشرة، و إنما هي أنساق مضمرة بين السطور، ليترك المجال للمتلقي ليستشفه من خلال قراءته للنص.

الصفحة	الترجمة	المصطلح الأجنبي
415	مضمر/ ضمني	(Implicite-Implicit)

يترجم طه عبد الرحمن المفهومين الأجنبيين (Implicite-Implicit) بمضمر أو ضمني كما أنه « قد يرجع هذا الضرب من القلق إلى عدم إظهار المعاني النحوية المقدرة

1 طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان التكوثر العقلي ، مصدر سابق ، ص.329.

في اليونانية و التي يخل حذفها بنظام الجملة في اللسان العربي أو على العكس من ذلك إضمار المعاني اليونانية التي يكون ذكرها في الجملة العربية مخلا بنظامها »[1]، مما يستعصى على المتلقي إدراك هذه المعاني المضمرة في اليونانية القديمة ، أما في النقد المعاصر فيطالعنا سمير حجازي بتعريفه الذي يقول فيه أنه « مفهوما يستخدمه الناقد للدلالة على إبراز جانب غامض في النص فهو (النص) يتضمن عناصر و أشياء لم يستطع أحد أن يراها نظرا لأنه يعتمد في بنائه على الزمن و يحدث القارئ عن الإجتماعي و التاريخي من خلال ما قد يبدو جماليا أو روحيا أو أخلاقيا فترة تاريخية محددة »[2]، هذا يعني أن مبدع النص يبني معناه وفق طريقتين : المستوى الأول: إبراز معاني صريحة (مباشرة) ، أما المستوى الثاني: إضمار معاني ضمنية (غير مباشرة) ، لكن درجة الصعوبة و الاختلاف تكمن في فهم هذه المعاني الضمنية من قارئ لقارئ آخر، و مردها إلى اختلاف العلاقات التي يقيمها القارئ مع النص و يبنيها قارئ آخر مع النص نفسه .ذلك أن لكل قارئ طرائقه المختلفة في تعامله للنصوص، بالرغم من أنه يتبع مسار القراءة التي يفرضها النص على جل القراء، و هكذا فحجازي يجعل التفسير لكل ما يبثه الكاتب في نصه من معان ضمنية بيد الناقد لا القارئ كون الناقد هو من يمتلك كفاءة وخبرة في التفسير للقارئ و يلامس مواطن الضمنية التي لا تطالها يده .

الترجمات للمفهوم الأجنبي (Implicite–Implicit):

1 طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان التكوثر العقلي ، مصدر سابق ، ص.329.

2 سمير حجازي ، مناهج النقد المعاصر ، مرجع سابق، ص.150.

المترجم	اللفظة	المرجع النقدي
سمير حجازي	قراءة مضمرة	مناهج النقد المعاصر ، ص.150.
عبد السلام المسدي	ضمني	الأسلوبية و الأسلوب ، ص.223.
سعيد علوش	ضمني	المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ص.139
عبد القادر المهيري– حمادي صمود	ضمني	معجم تحليل الخطاب ، لباتريك شارودو– دومينيك منغو ص.296.
سعد عبد العزيز مصلوح– وفاء كامل فايد	ضمني	ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح– وفاء كامل فايد، ص.482.

الملاحظ من خلال قراءتنا للترجمات المختلفة للمفهومين الأجنبيين **(Implicite–Implicit)** أن هناك مقابلين له هما: **الضمني و المضمر**، إلا أن مصطلح « الضمني» هو الأكثر شيوعا و استعمالا، لكن نجد سمير حجازي قد استعمل مصطلح المضمر الذي يحمل معنى الخفي الذي لم يصرح به ، وفي موضع آخر يضيف إليه مركب **(قراءة)** الذي يقابله في اللغة الفرنسية **(Lecture)** ، و كلمة قراءة هنا مضافة زائدة ، أثقلت المضمون حتى لو وضع هذا المركب من باب توضيح غموض ما ، فالمعاني الضمنية لا يتم اكتشافها و حصرها إلا بعد القراءة التي هي السبيل الوحيد لولوج عالم النص ، و هذه قاعدة متفق عليها ، أما من وجهة نظرنا فمصطلح (ضمني) يعبر عن المعنى الأصلي للمفهوم ، الذي يعني الاحتواء و عدم الإفصاح إضافة إلى أنه المصطلح الأكثر شيوعا و تداولا كمقابل للمفهوم الأجنبي .

4-3-6-البنيـــة / الأبنيـــة / بنائيـــة نقديـــة :(Criticisme –structure – structurés) : لقد تحدثنا سابقا لحظة تطرقنا إلى المؤثرات الثقافية و الفكرية التي أسهمت في ظهور المقاربة التداولية في النقد و الأدب و التي تمثلت في التوليدية التحويلية و اللسانيات الوظيفية و اللسانيات النصية، و لقد لاحظنا في التوليدية التحويلية عدة مصطلحات تؤطر الجانب النحوي و الصرفي ضمن ما يعرف بأنواع البنية : البنية السطحية و البنية العميقة ، ونجد هذا المصطلح حاضرا في مؤلف طه عبد الرحمن – محل دراستنا – ما يوسم بأبنية الأفعال و الذي أخذه بالمعالجة و المناقشة و بحث في المفهوم الأجنبي **(structurés)** الذي قابله بلفظة **(أبنية الأفعال)** * التي تعرف بأنها « قوالب صورية تصاغ فيها المادة الدلالية ، بحيث يتشكل معنى هذه المادة بحسب القالب الذي تصاغ فيه »[1]، أي ؛ أنها أنساقا و مقاييس تحدد ضمنها جملة العناصر الدلالية بوضعيات و اختلافات تصبح منظومة من وشائج وصلات تربط بين مختلف ضوابط الجملة الواحدة ، بحيث تشكل هذه العلاقات معنى لكل عنصر من العناصر.

الترجمات المختلفة للمصطلح (structure):

المترجم	اللفظة	المرجع النقدي
عبد السلام المسدي	بنية	الأسلوبية و الأسلوب ، ص.234
سعيد علوش	البنية	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، ص.240

* أبنية الأفعال: اللسان والميزان – التكوثر العقلي ، مصدر سابق ، ص.339.

1 المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .

مبارك مبارك	تركيب ، نظم ، بناء	إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ليوسف وغليسي ، ص.121

يستقر طه عبد الرحمن على لفظة (أبنية) بلفظ الجمع مقابلة لـ (structure) و يستعمل المفهوم الأجنبي (structurés) ، استنادا إلى المعايير الدلالية و المعجمية و التداولية ، و إضافة إلى هذه الترجمات يقدم يوسف وغليسي ترجمته المتمثلة في مصطلح (بنية) ويواصل حديثه عن الكم الهائل من المصطلحات المقابلة للمفهوم الأجنبي (structure) إذ « رقم يعكس حقيقة تلقي الخطاب النقدي العربي للمفاهيم الغربية الجديدة و هي أنه تلق فردي مشتت تعوزه روح الانسجام و التناسق قائم على جهل الجهود الفردية بعضها ببعض (...) و التعصب لأنا الفردي أو القبيلة اللغوية »[1]، ليثبت وغليسي قضية جد مهمة تتمثل في أن : الدارس العربي يبقى في حاجة ماسة دوما إلى التحقيق الاصطلاحي مع زملائه أو حتى المراجعة التنسيقية مع نفسه، لأن كثير من النقاد تجده اليوم يتبنى مصطلحا ليتراجع عنه في الغد مقترحا ألاف المصطلحات كبدائل عنه، أما طه عبد الرحمن فيقابل (structuralisme) بلفظة (بنيوية) على وزن تداولية أو بصيغة الجمع بنيويات – تداوليات ، رغم ما يؤكده من علل صوتية فيه، ولكنه يؤكد استعماله له امتثالا للمعيار التداولي الذي لا يأخذ بالاعتبار صحة المصطلح و مطابقته لقواعد اللغة السليمة ، و هو الأمر الذي لا يرفضه طه عبد الرحمن لحظة تبني المصطلح، فإذا« أردنا النسبة إلى بنية ، نقوم بإضافة ياء النسبة فنحصل على (بنيية) و لتفادي التقاء

1 يوسف وغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، مرجع سابق، ص.130.

الياءات و ما يحدثه من ثقل في النطق نلجأ إلى قلب الياء إلى واو فنحصل على بنوية »[1]، و هكذا – و حسب رأينا– لتعويض التقاء الياءات وثقل النطق تحذف حرف الواو من (بنوية) و يعوض حذف حرف الواو بزيادة حرف الألف في بداية الكلمة لتصبح (أبنية) و هو اللفظ المناسب لغويا ، و ربما لذلك يؤيدها طه عبد الرحمن لتناسبها و تكافئها شكلا و معنى مع المفهومين الأجنبيين (structurés) و (structuralisme)، أما في يخص المجال النقدي فنجد طه عبد الرحمن يفضل كلمة (بنائية) على وزن (تداولية) التي يفضلها بالجمع تداوليات فتكون بنائيات ، و تكون اللفظة (بنائية نقدية) *.

4-3-7-تقليد Imitation :

تتضمن لفظة (**تقليد Imitation**) معنى « اتخاذ أثر فني نموذجا و النسج على منواله ، إما حيث المضمون ، و إما من حيث الأسلوب ، و إما من حيث الاثنان معا (...) و إن نظرية التقليد: هي التي نادى بها أرسطو و قال فيها إن مبدأ كل الفنون هو في تقليد الطبيعة »[2]، ليرجع التأثيل اللغوي للمفهوم (**Imitation**) إلى الصفة اللاتينية (**Imitatio**) التي تدل على معنى النسخ المستعملة في فضاء الدراسات الأدبية و النقدية كاستعمالات لنماذج موازية لروايات أو كتابات ما ، و يشدد طه عبد الرحمن على هذه القضية إذ يقول « إن ابن رشد واجه نصا لا ينطق، و استخدم لاستنطاقه منهجين متكاملين

1 عبد المالك مرتاض ، في نظرية النقد، دار هومة ، الجزائر، 2002، ص.191.

* بنائية نقدية : طه عبد الرحمن، اللسان والميزان – التكوثر العقلي، مصدر سابق، ص.411.

2 عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط.2، جانفي 1984، ص.76.

، أحدهما (تقويمي) هو التلخيص و الآخر (تقريبي) هو الشرح ؛ لكن كان لابد من أن يتعثر هذا الاستنطاق بين يديه و لا يبعد أن يتعثر لو قيض لابن رشد أن يعيد نفسه ، نظرا لأن تصوره للمضمون الفلسفي و اللغة الفلسفية تصور تقليدي عتيق ، هذا التصور الذي يفضي بأن ننقل المعاني الفلسفية نقلنا للحقائق العلمية الموضوعية ، و نغفل البعد التداولي لها لغويا كان أو غير لغوي ، في حين أنه لا يمكن أن يرقى الكلام الفلسفي إلى مستوى التبليغ المفيد إلا استجاب لمتطلبات المجال التداولي للمخاطب »[1]، و يمكننا القول أن طه عبد الرحمن أدرك إشكاليات ترجمة النصوص و المفارقات بين المصطلحات و المفاهيم المجسدة لبنيتها من خلال الكشف عن جملة المثيرات لوعي المتلقي (المخاطب) ، لكن ما نلحظه أن جملة هذه الإشكاليات و المفارقات انتلقت من القديم و شكلت جزءا من الواقع المعاصر و تكاثرت – بشكل مكثف – و ذلك بسبب عدم إخضاع الفلاسفة قديما و الدارسين في وقتنا المعاصر الأفكار و المفاهيم التي نقلوها عن التفكير الغربي لمتطلبات المجال التداولي العربي ، و كان للنقد و الأدب النصيب الأكبر من هذا النقل ، فاستعان كثير من الدارسين بهذه الآليات أي ؛ الشرح و التلخيص في ترجمة النصوص المنقولة من اللغات و الثقافات الأخرى ، فظهر الخلط و العشوائية في النقل مثلما ظهر في الفلسفة (اللغة الفلسفية قديما) فلاحظنا تعددية واختلافات كبرى في تقويم المفاهيم المنقولة ، و هذا الوضع يصفه لنا طه عبد الرحمن من جديد : ضرورة نحت مصطلحات جديدة :و يبين إشكالية المصطلحات الفلسفية و النقدية في الثقافات المختلفة ، إذ يقول

1 طه عبد الرحمن ، اللسان والميزان ، مرجع سابق ، ص.343.

مصرحا « أننا جرينا على عادتنا في استخدام المفاهيم المتداولة في الممارسة الإسلامية العربية حيث يستخدم غيرنا مفاهيم تحذو حذو المنقول الفلسفي الغربي حذو النعل بالنعل ، و حتى كأنه لا مشابهة و لا مقايسة ، إطلاقا بين مضامين هذا المنقول و بين ما جاءت به الممارسة الإسلامية من عندها ...»[1] ، و في مجال الأدب والنقد نجد القضية نفسها ، التي ينص عليها المسدي حينما يصرح قائلا : « اليوم لم يعد بوسع التاريخ أن يعيد نفسه في مجال النظرية النقدية ، و لم يعد للسابق أن يفهم قول اللاحق بمجرد الاحتكام إلى المعايير « الإنسانية الخالدة » في الأدب ، أو إلى المقاييس « العقلية الثابتة » في سلم النقد اليوم إذا عن السابق أن يفهم قول اللاحق تعين عليه أن يستدرك ما فاته من مسافة فاصلة بين محطتين معرفيتين، و عليه أن يستوعب ما به صار اللاحق لاحقا ، إذا ما قيس بالسابق : فالسبق و اللحاق هما الآن ثقافيان أكثر مما هما زمنيان » [2] ، و تبدو الممارسة التقويمية للمصطلحات في عصرنا ، ملحة و مثيرة لجدالات واسعة ، و يؤكد الغذامي على أن « الكلمة و بهذا تصبح في التجربة الجمالية إشارة ، تم تحريرها على يدي المبدع الذي يطلق عتاقها و يرسلها صوب المتلقي ، لا ليقيدها المتلقي مرة أخرى بتصور مجتلب من بطون المعاجم . و هو ما نقترفه دائما في حق النصوص الأدبية فتسهم في قتلها، و إفساد جماليتها. و إنما للتفاعل معها؛ يفتح أبواب خياله لها، لتحدث في نفسه

1 طه عبد الرحمن ، سؤال الأخلاق ، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط.1، 2000،ص.30.

2 عبد السلام المسدي ، الأدب وخطاب النقد ، مرجع سابق، ص.10.

أثرها الجمالي، و هذا هو هدف النص الأدبي، و على هذا تصبح قيمة النص بما تحدثه إشاراته من أثر في نفس المتلقي. و ليس أبدا فيما تحمله الكلمات من معان مجتلبة من تجارب سابقة، أو دلالات مستعارة من المعاجم » [1]، و إذا تمكنت هذه التقنيات أن تقدم إضافات جديدة في تناول و مواجهة النصوص و الخطابات الفلسفية و الأدبية و النقدية فإنها لن تنزاح عن تأثيلاتها لذا ينبغي التساؤل عن تمثلات هذه العلاقة بين (المصطلح النقدي و المقاربة التداولية) في تصورات جميل حمداوي باعتباره مفكرا موسوعيا في شتى المجالات الثقافية ، وهذا سنحاول إضاءته في الفصل التطبيقي المعنون بـ (قراءة في كتاب التداوليات و تحليل الخطاب).

1 عبد الله الغذامي ، تشريح النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط.2، 2006، ص.20.

5- الفصل الرابع : التداولية – المشروع و المسار – مدونة التداوليات وتحليل الخطاب لجميل حمداوي

5-1- المبحث الأول : المنطلقات المعرفية لتأصيل منهج التداولية

5-2- المبحث الثاني :المشهد التداولي العربي

5-3- المبحث الثالث : رحلة المفاهيم

5-الفصل الرابع : التداولية : المشروع و المسار

- التداوليات و تحليل الخطاب: تأليف: الناقد المغربي جميل حمداوي ، دار النشر: مكتبة المثقف، الطبعة الأولى ، اللون: أبيض، الحجم: 18/ 12.

5-1-المبحث الأول : المنطلقات المعرفية للتأصيل للمقاربة التداولية :

يلحظ المتتبع لحركية الفعل النقدي في الساحة المغاربية مؤخرا بروز أسماء مفكرين لهم وزن و قيمة في الدراسات المعاصرة ، ففضلا عن العطاءات التي أسهم بها طه عبد الرحمن نجد كذلك جميل حمداوي الذي كان قدم توضيحات في الحيلولة دون الدخول في سوء تفاهمات كثيرا ما يسقط فيها شرائح الدارسين والمتلقين لحظة تقديم مصطلحات للمفاهيم الأجنبية ، تذهب بنا إلى تأويلات و إشكالات مذهبية دون أن تحيلنا إلى المذهب الذي دلت عليه . لذلك نجد هؤلاء الدارسين يتحركون وفق تصورات وحدوية في معالجة مسألة المصطلح و المفهوم ، و بعبارة أخرى فالشيء الذي يشغل بالنا ليست مسألة (تحرير المصطلحات للمفاهيم الأجنبية) بل إعادة التأثيل بالمهاد الفعلي لهما أي؛ إعادة تأثيلها و تشكيلها كموروث نحتويه بدل من أن يحتوينا ، و إن قراءة متبصرة للمصطلحات التي وظفها و ضمنها جميل حمداوي في مؤلفه الموسوم بـ (التداوليات و تحليل الخطاب) تجعلنا ندرك حداثة هذه المصطلحات و عوامل تطورها و اختلافها من دارس لدارس آخر ، و الشيء الآخر الذي يلفت انتباهنا هو استحداثيتها في القاموس النقدي العربي لأسباب كثيرة نوجز منها : **الاتساع النظري، ضبابية المنهج و ضعفه و هشاشة النماذج التطبيقية في إطار الوعي بها** ، لتكون بحاجة إلى معجزات لتفعيل حركيتها انطلاقا مما جاد به غالي شكري

عندما يقول « اتسعت الفجوة بين الناقد و القارئ اتساعا لا يسده الوصفيون و لا البنويون و إنما يحتاج إلى معجزة »[1]، هكذا بدت حتمية الفجوات الموجودة في الأفكار لحظة إيصالها للمتلقي ، لتكون عدة احتمالات لتقلي هذه النماذج و المحمولات الفكرية ، و كان جميل حمداوي واحدا من أولئك الدارسين الموسوعيين الذين خاضوا في هذه المسألة من خلال الوعي بها ، فرأى من وجهة نظره أن كثيرا من المصطلحات بحاجة إلى إعادة مراجعتها و تصحيحها ، فهل تكون وجهات نظر جميل حمداوي الموسوعية بمثابة إضاءات للمقاربة التداولية بكل تفرعاتها ، مادام المصطلح و المفهوم و غيرها من القضايا النقدية لها صلات و وشائج متينة تربطها بالنقد و تفتح المجال لإعادة المراجعة و وضع كل فكرة أو تصور في مجاله المنوط به ؟

يعد جميل حمداوي أيقونة من أيقونات المشروع الموسوعي في شتى مجالات الأدب والنقد ، القصة القصيرة ، اللسانيات ، و هذا كله ينكشف من خلال كتاباته التي تقوم على النقاش و التحليل المعمقين و النقد الهادف و البناء في معالجة الأفكار و المسائل على اختلافها و تنوعها ، و لقد انتهج في مؤلفه – محل الدراسة– مسارا موسوعيا و خاصة في توظيف المصطلح العربي للمفهوم الأجنبي **(pragmatique)** و هذا ما نستشفه من خلال العنوان السابق الذكر لمؤلف المؤلف الذي يقترح فيه عدة مفاهيم أجنبية منها ما هو مقبول و منها ما هو هجين مستثقل على السمع و النطق به يشكل نوعا من تنافر الحروف و الغرابة ، كما هناك عدة مقابلات هي إعادة اجترار للفظ الغربي

1 غالي شكري ، برج بابل – النقد والحداثة الشريدة ، رياض الريس للكتب والنشر ، د.ط، 1989، د.ط، ص.105.

كالبراكماتية و هناك من يتشدق بها على الوزن اللفظي العربي البراجماتية بإبدال الكاف جيما ، لتبدو عملية نقل المفاهيم من فكر إلى آخر و ترجمتها أشبه بالومضة التي تتوارى و تبدو بسرعة خاطفة، لتجعل الفراغات ممكنة و عميقة في أي ممارسة يمكن القيام بها على مستوى الفكر و« جاءت هذه الثغرات بسبب الاضطراب في مفهومات بعض المصطلحات، و شعور بعض المهتمين أنها لا تخدم الثقافة العربية الإسلامية ، بقدر ما تسيء إليها و تحدث شروخا في الصف الثقافي مما يعيد مفهوم الغزو الثقافي عن طريق المصطلح في مجالنا هذا ، بينما قد تكون أكثر وضوحا في دلالاتها عند بعض من يروجون لها »[1]، يمكن تشبيه ممارسات نقل المفاهيم و ترجمتها من فكر إلى فكر آخر لحظة تمثيلها و إدراجها في خانة الغزو الثقافي و الوشم النسقي ببراشم الحنة التي تستعملها النساء للزينة ، و لقد استخلصنا التشبيه انطلاقا من فكرة تلك الرسومات التي تنتج بكثرة و تثبت على الأيدي مثلها مثل المصطلحات المتنوعة التي تسم فرعا معرفيا و تزاحم تخصصاته و تصبح جزءا لا يتجزأ منه، و يحاول حمداوي تفسيره من خلال عرضه لكثير من المصطلحات للمفهوم الأجنبي (**pragmatique**) **وهي : كالذرائعية – التداولية – البراكماتية – الوظيفية – الاستعمالية – التخاطبية – النفعية و التبادلية** ، و يرجع سبب هذا التعدد إلى الوشم النسقي الذي يكتنفها لحظة ترجمتها و نقلها ، هذا الأمر نفسه تؤكده خولة طالب الإبراهيمي في مؤلفها المعنون بمبادئ في اللسانيات بقولها « تعددت المقابلات

1 علي بن إبراهيم الحمد النملة، إشكالية المصطلح في الفكر العربي- الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر ، ط.1، 2010، ص.10.

العربيـــة للمصـــطلح الأجنبـــي pragmatique ، فقيـــل براجماتيكـــا أو البراغماتيـــة و البراغماتيـك ، البرجماتيـة ، و البراجماتيـك، كمصـطلحات معربـة لـه ، كمـا نجـد مقـابلات عربيـة مترجمـة للمصـطلح مثـل : التـداوليات ، التداوليـة ، المقاميـة، الوظيفيـة ، السـياقية ، الذرائعية ، النفعية ، غير أن المصطلح التداولية الذي وضعه أحمد المتوكل خلال 1985 في موضوع خاص حول الوظائف التداولية في اللغة هو الذي صار شائعا بين المختصين و مستعملا بينهم » [1] ، لقد بدا تفسير إشكالية المصطلح لدى خولة طالب الإبراهيمي عبر مسـتويين : مصـطلحات معربـة للفـظ: براجماتيكـا–البراغماتيـة–البراغماتيـك– البرجماتيـة– البراجماتيك. مصطلحات عربية مترجمة: التداوليات–التداولية–المقامية–الوظيفية–السياقية– الذرائعية–النفعية، إن التمييز بين هذين المستويين مصطلحات معربة للفظ و مصطلحات عربية مترجمة كما هي دون تغيير أي نقص يطرأ عليها يمكن تفسيره كما يلي : **مصطلحات معربـة : براجماتيكـا– البراغماتيـة– البراغماتيـك– البرجماتيـة– البراجماتيـك،** ليكون تفسير استعمال هـذه المصـطلحات المعربـة وفـق رؤيتـين همـا : « إن الـدعوة إلـى اعتمـاد اللغـات الأجنبيـة في التعليم و التعليم الجامعي خاصة ما هو إلا تجد من التحديات التي تواجهها اللغة العربية فـي وسط هذا الصـراع الحضـاري بشـتى أشكاله ، و لـيس بغريـب أن تعد هـذه التحـديات أو الصعوبات جانبا من جوانب المشكلة اللغوية ، و إنما الغريب هو أن يختلط الأمر فلا يكاد التمييـز بـين ذوي النيـة الحسـنة و ذوي النيـات السـيئة » [2]، مـن هنـا يمكـن القـول أن هـذه

1 خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة ، الجزائر ، 2000، د.ط، ص.176.

2 سمر روحي الفيصل ، اللغة العربية الفصيحة ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق، سوريا، 1993، ص.40.

المصطلحات المعربة تسهم في تعديل دلالة المجال التداولي مثلما يمكن أن تنزاح عن مضمونها ، هذا التباين يفضي إلى تصور ثالث بيني ، فإذا « كان نفر كبير من أهل العلم أدركوا قيمة هذه المشكلة و قدروا خطرها ، فليس من شك أن نفرا آخر غير قليل مازال بعيدا عن إدراكها و هو راض بل مقتنع بأن اللغة الأعجمية (الأجنبية) انجليزية أو فرنسية هي الأداة الصالحة في هذه العملية الثقافية الكبيرة »[1] ، هكذا يتم اعتماد هذه المصطلحات المعربة (الأجنبية) و كأنها شيء منزه، إذ أن اللغات الأجنبية نفسها تعاني من هذه الازدواجية فبين الفرنسية و الإنجليزية اختلافا في السوابق و اللواحق هذا من جهة ، و من جهة أخرى تتمثل في إشكالية معاكسة المصطلح الواحد تدور في فلكه مفاهيم متنوعة خلافا لما هو متاح في الفكر العربي الموسوم بإشكالية مصطلحات كثيرة لمفهوم واحد ، و فالمسألة في أصلها تتمثل خطورتها في ذلك الاستيراد غير المقنن و الممنهج لتلك المفاهيم فإن « قضية التعريب مرتبطة بقضية أكبر هي قضية العالم العربي المعاصر، فما دمنا نستورد من حاجيات و كماليات ، فسوف نظل نستورد أسماءها و مصطلحاتها ، و ما لم يكن لنا علماؤنا العرب الذين يفكرون بالعربية و ينتجون العلم بالعربية، فسوف نبقى دائما في موقع المتلقي التابع المشغول أبدا بحل الأزمات و الإشكاليات التي تفرزها تبعيته »[2]، و هكذا لما كانت التبعية للغات الأجنبية في استيراد أسماءها و مفاهيمها ، بدا التخمين باختلاق مصطلحات و مفاهيم خاصة ، فتم اللجوء إلى مصطلحات عربية مترجمة و قد

1 إبراهيم السامرائي ، في شعاب اللغة العربية ، دار الفكر ، دمشق ، 1990، ط.1، ص.287.

2 ممدوح خسارة، أثر التعريب في تسمية اللغة العربية ، مجلة التعريب، ع.29، 2005، ص.85.

تجلت في المؤلف المصدر – محل الدراسة – كما يلي : **التداوليات – التداولية– المقامية – الوظيفية – السياقية – الذرائعية – النفعية** ، في وضعية الابتداء يطل علينا حمداوي بتعريف للمقاربة التداولية بأنها تلك « النظرية النقدية التي تدرس الظواهر الأدبية و الثقافية و الفنية و الجمالية »[1]، بهذا المعطى فهي تعمل على تعزيز الكلام و إضفاء عليه قوة إضافية لازمة و إعادة الاعتبار للمسكوت عنه و تأويله ، و ببعض « هذه الملاحظة نرى أن قدرة التداولية على التدخل في إثراء معاني الكلام ، و الذهاب في تأويل المسكوت عنه ، و هي من الغنى و السعة ما يثري الخطاب بتمكينه من إثمار قراءات لم تكن دلالة اللغة البسيطة تحتملها » [2]، هكذا التداولية حسبه أعادت السلطة للمتلقي و فتحت المجال واسعا للإمكانيات التأويل على عكس ما قامت به تيارات البنوية ، لكن ما بعد البنوية كانت بعض تياراتها بمثابة الدفعة النوعية لظهور مذهب أو اتجاه أو بلفظ آخر مقاربة جديدة عرفت فيما بعد باسم (**التداولية)** ، لكن برغم هذا التنوع الثقافي و الفني و الجمالي لهذه المقاربة ، إلا أن هناك تنوعا آخر لكن في منحاه السلبي بما يوسم بأزمة المصطلح التي استشفيناها من العنوان الذي ميز مؤلف (التداوليات و تحليل الخطاب) ، و إذ ما نلحظ على وجهات نظره الوعي بالمصطلحات و المفاهيم و عوامل ظهورها لذلك فعندما يقدم ترجمته للمفهوم الأجنبي (**pragmatique)** يعبر عنه بمفهوم **التداولية** ، ثم يجنح إلى مصطلح آخر أكثر دقة فيحصره في نموذج الجمع (**تداوليات**) ، وبذلك تكون وجهات نظره يسير تقريبا

1 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مكتبة المثقف، ط.1، 2015، ص.4 (المقدمة)

2 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، مرجع سابق ، ص.394.

على منوال طه عبد الرحمن ، وهذا قد يكون من باب الصدفة ، إذ تشابه في منطلقات تفكير كثير من المفكرين ، وهذا لا ينقص من قيمة أي منهما، ليتبنى **مصطلح (التداولية)** ثم يحيله على صيغة الجمع **(تداوليات)** عندما يتحدث في مقدمة المؤلف عن سبب اختياره لهذا العنوان قائلا : « ... هذا ما سوف نرصده في كتابنا هذا الذي عنوناه بـ(التداوليات و تحليل الخطاب)، على أساس أن ليس هناك مقاربة تداولية واحدة، بل هناك عدة تيارات و اتجاهات و مدارس تعني بالفعل التداولي(...) سواء أكان لسانيا أم أدبيا أم نقديا أم فلسفيا أم منطقيا »[1]، ينبني مؤلف (التداوليات و تحليل الخطاب) وفق تصور جوهري يتعلق بالتداوليات ، و هي مقاربات تنظر في النصوص و الخطابات ، و كذا العلاقات بين المتكلمين و المخاطبين ، و يذكر حمداوي للمرة الثانية بأن « المقاربة التداولية في مجال الأدب و النقد ترفض التركيز على البنيات الشكلية و الجمالية ، دون مساءلة أفعال الكلام و المقصدية الوظيفية فضلا عن ذلك ، تدرس المقاربة التداولية اللغة العادية و اللغة اللاعادية (اللغة الشعرية ، اللغة الروائية ، و اللغة الدرامية ...) و حضور الأنا و الأنت ، و السياق التواصلي ، و الوظيفة المقامية و المقالية ، و الانتقال من الحرفي إلى الإنجازي (...) و أيضا دراسة السرد الإقناعي كما عند غريماس، و خاصة في خانة التطويع و التحفيز المبنية على فعل الاعتقاد، و فعل التأويل ، و خانة الكفاءة المبنية على منطق الجهات (وجود الفعل، و معرفة الفعل، و قدرة الفعل، و إرادة

1 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مصدر سابق ، ص.04. (المقدمة)

الفعل) » [1]، فالجنوح إلى الوعي بفلسفة مقاربة تداولية بكل معطياتها و مبادئها هي محرك التداوليات و موضوعاتها ، فالتداولية تداوليات مثل ما هو الأمر بالنسبة للتأويلية و التفكيكية التي يمكن حملها على محمل الجمع تأويلات و تفكيكيات ، ليكون التشديد و الإلحاح على تلازمية النقد و الأدب مع المقاربة التداولية كنماذج متوافقة ، فالتداوليات كرؤية جامعة خاصة في ظل النقلات النوعية التي شهدتها المنظومة النقدية العربية سواء في سلبياتها و ايجابياتها ضمن تيارات البنوية و ما بعد البنوية ، و أن نماذج المقاربة التداولية في المشهد النقدي المعاصر مقلقة و مثيرة للقلق في جوانبها المتنوعة، فيشير كثير من المفكرين إلى بروز ملامح للتداوليات كمحاولات تأطيرها و ضبط حدودها كمقاربة في النقد ، لكن ذلك لم يشفع لها كلفظ جامع في أن ترتقي فعليا إلى مصاف المقاربة، وهذا ليس حالها فقط ، إذ ما نلفيه على باقي المجالات الأخرى هو الوضعية المتأزمة و على سبيل المثال – لا الحصر – نجد « ثمة تضخم نقدي يقابله ضعف نقد النقد »[2]، إذ هناك تصور يجنح إلى القول بأن التداوليات يجب أن تعزل عن المنظومة النقدية بكل مضامينها الفكرية أما تصورا آخر فيجعلها جزءا لا يتجزأ من باقي الاتجاهات التي تختلف عنها كالذرائعية و النفعية و هلم جرا، لكن لا يمكننا تناسي أن الجهود التي يتضافر بها الدارسين في تأصيل التداوليات هشة في جوانبها النظرية و التطبيقية ضمن المدونات النقدية العربية الحديثة ، هذه الهشاشة تجسدها فيما يذكره مرتاض ، فبعد أن « يبحث فرنسيس

1 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مصدر سابق ، ص.09. (المقدمة)

2 نبيل سليمان ، مساهمة في نقد النقد الأدبي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية ، 1986، ص.218.

جاك في المناحي المختلفة و المتنوعة ، لمفهوم تداولية اللغة ينتهي إلى شبه يأس من مسعى الساعين في حقله ، فيختم مقالته ، في الموسوعة العالمية ، بأن وضع التداولية ككل الفروع العلمية الجديدة و الحية معا، تظل متذبذبة بين فرط الشرف الرفيع الذي تطمح إلى أن تستأثر به، و فرط التدني الذي لا تود أن تقع فيه »[1]، هذا ما تعكسه بعض المؤلفات و المدونات عن التداوليات و منهجها ، غير أن هذا « الجدل خامره إشكال يمثل في تعدد المعاني التي تطلق على مصطلح التداولية »[2]، جعل المتلقي يعيش غبنا مزدوجا يلازم تحديده لهذا المصطلح وضبطه ضمن شبكة مفهومية دقيقة تحدد مساره و علاقاته الداخلية و الخارجية مع باقي المصطلحات باعتباره مصطلحا– بالدرجة الأولى –يثبت شرعيته و قيمته مع باقي مصطلحات المجال ، ذلك « بل إن بار–هليل (Bar–Hillel) ، و هو أحد مؤسسي هذا المفهوم يرى أنه لا يعدو كونه نفاية تداولية ، من أجل تعيين مزبلة نظرية(Dépotoir théorique) ، في حين يمكن إلقاء كل المشكلات المعتاصة على الحل في النظم، و الدلالة . إن تداولية اللغة المعاصرة ، لا تجمع في ثناياها إلا طائفة من البحوث المنطقية اللسانياتية ذات الحدود الغامضة »[3] ، هكذا كان حال التداوليات فالكثير من الدارسين يرون فيها نفاية تداولية جاءت من أجل تعيين **مزبلة نظرية (Dépotoir théorique)** ، و هذا كله جعل منها غامضة في حدودها و ضوابطها ، فلجأ بعض الدارسين استعمال مصطلح التداوليات كحجة للجمع بين عدة مقاربات تحت مسمى

1 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، مرجع سابق ، ص.ص401، 402.

2 المرجع نفسه، الصفحة نفسها .

3 المرجع نفسه ، ص.400.

واحد ، لكن سرعان ما تتكشف التعارضات بالجملة في الجوانب النظرية و التطبيقية ، لتشكل في ذهن المتلقي نوعا من الغموض و الجمود الفكري في ضبط تعريفات جامعة ، مانعة لها كل واحدة على حدى .

مثال على ذلك : تلازمية نقد النقد و النقد: إن حال نقد النقد في تلازمية مع موضوع النقد ليس بأقل من تلازمية التداولية الواحدة مع باقي التداوليات ، ضمن ما يصطلح عليه نبيل سليمان « التخوم ما بين المعارك النقدية و التأرخة للنقد، و نقد النقد »[1]، و هكذا فملازمة نقد النقد للنقد و التداولية الواحدة على اختلاف أنواعها و تخصصاتها مع جملة التداوليات ليس بالضرورة التطابق الكامل بينهما فقد يتفقان في رؤية واحدة و يختلفان في الكثير من الرؤى و التصورات (مرجعيات ، موضوعات ، فرضيات) تكون مبنية على مبدأ المصادرة على المطلوب ، هذا كله أفضى إلى تداخلات أثرت سلبا على عدة تخصصات مختلفة من حيث المرجعيات و الموضوعات و الفرضيات.

مثال ثان: لعل السبب وراء هذه الإشكالات في جمع المقاربة التداولية تحت مسمى واحد « **تداوليات** » متوافقة من ناحية الشكل و المضمون ، هو قلة الالتفات لهذه الدراسات و الاشتغال ضمن مجالاتها الفعل الذي أحال الدارسين على نوع من الثبات و الجمود الفكري و عدم الديمومة أي ؛ عدم التواصل في مراجعة المنجزات النقدية لتتولد في نهاية المطاف هوات تراجيدية و فجوات إيديولوجية يصعب تذليلها ، فأصبح المتلقي يدور داخل حلقات مفرغة ، و هذا ما لوحظ على مجال نقد النقد على سبيل المثال لا الحصر «...

1 نبيل سليمان: فتنة السرد والنقد، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، 1994، ص.63.

و شاهد على ذلك عند بعضهم أن دوران القراءة على القراءة و نقض التأويل على التأويل و هما يقودان الفكر النقدي إلى التعدد و التنوع ، قد يقفان ببعض نقد النقد في طريق مسدود ينطبق عليه جابر عصفور – فما أكثر العراك و اللجاج ، وما أكثر النفور من وعثاء هذا الطريق »[1]، إن ما يرمي إليه جابر عصفور في قراءته لمصطلح نقد النقد من خلال تجربة الكتابة النقدية لدى نجيب محفوظ هو توضيح جملة الشحنات الثقافية و الأنساق الضمنية التي يمكن أن تلحق بالمصطلح لحظة الوعي به و تأثيله ، إضافة إلى الدلالات التي قد تشحن بسمات الاستهجان و التهكم والسخرية فتغير مضمونها و شكلها ، و هذا حال التداوليات ، من خلال وجهات نظر حمداوي حينما يقول «... بيد أن المقاربة التداولية من الصعب جدا تطبيقها بكل سهولة و يسر على النص الأدبي التخييلي ، نظرا لتمرده عن المعيار، و اتسامه بالتخييل و الانزياح و التشويش و الخرق ، و مجانبة الحقيقة و الصدق الواقعي »[2]، و هكذا كان وصف المقاربة التداولية شبيها بالمعركة النقدية ، ذلك أن النص الأدبي يتمرد عليها و يعلن انزياحه و تشويشه فكانت معركة مصطلحية مغرضة هدامة ، لذلك وقف الدارسون إزاءها موقف المتشككين لأنها تكمن في عدم توفرها على كفاءة تؤهلها لتكون مقاربة فعالة ذات رؤى واضحة و آليات دقيقة و غايات مبررة ، هكذا بدت علاقة كل مقاربة تداولية بمقاربة تداولية أخرى قلقة غامضة في بنيتها الداخلية و الخارجية ، لكن مع ذلك « فالمعرفة لا ترفض بحجة قلة الوضوح ، أو وهي الدقة

1 جابر عصفور: « قراءة في نقاد نجيب محفوظ... ملاحظات أولية »، مجلة فصول ، م.1، ع.3، أفريل 1981، ص.164.

2 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مصدر سابق ، ص.61.

المفهومية ، فالمفاهيم اللسانياتية و السيميائية و غيرها من المفاهيم المعرفية الجديدة في معظمها محتاجة إلى البلورة و التدقيق ، و التبين و التوضيح »[1] ، و لذلك وجب وضع كل ما يتصل بالمجال التداولي على المحك و مراجعتها مراجعة خالية من أي تعصب لحظة انتقاء مصطلح ما ليعبر عن مفهوم بعينه ، و هذا لا يتأتى من وجهة نظرنا إلا من خلال الصرامة العلمية و ضبط المنهجية في التعامل مع مثل هذه المسائل ، لتظل المقاربة التداولية تتأرجح في تقبل مصطلحاتها بين مؤيد و معارض لها خاصة فيما يتعلق **بالمقاربة التداولية للنص الأدبي (تداولية النص الأدبي)**، و يشير حمداوي في معرض حديثه عن إعادة قراءة المقاربة التداولية للنصوص و الخطابات الأدبية و الإبداعية ، و إذا « كانت المقاربة التداولية قد عرفت انتشارا في الغرب ، فإن هذه المقاربة ما زالت في بداياتها الأولى في العالم العربي ، على الرغم من وجود آثارها في تراثنا العربي القديم في البلاغة و الفقه و الفلسفة و أصول الفقه ... و لم يتم استخدامها بعد في حقلنا الثقافي العربي الحديث و المعاصر لمقاربة النصوص و الخطابات الإبداعية ، ما عدا بعض الاستثناءات القليلة التي تعد على الأصابع »[2]، إن معالجة هذه القضية يكمن في التركيز المعمق و التشديد على استدماج التداولية في الحقل الثقافي العربي الحديث و المعاصر و الوعي بها ، وعدم إغفال جملة الإرهاصات التي طبعت التراث العربي القديم و حضور مفاهيمه التي تغطي نوعا ما حداثة المصطلح ، و هذا الفعل له ما يبرره لدى مسعود صحراوي

1 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، مرجع سابق ، ص.420.

2 جميل حمداوي ، التداوليات و تحليل الخطاب ، مصدر سابق، ص.04.

في كتابه « التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية) في التراث اللساني العربي »[1]، إن البحث عن أصول التداولية في نقدنا العربي القديم نجد أنها حققت قفزات و نقلات نوعية ، و هكذا « البلاغة تداولية في صميمها ؛ إذ أنها ممارسة الاتصال بين المتكلم و السامع بحيث يحلان إشكالية علاقتهما ، مستخدمين وسائل محددة التأثير على بعضهما »[2]، و هكذا فالنقد العربي القديم ركز كثيرا على فن القول و ممارسته وفقا لمواقف القارئ أو المتلقي و هكذا هو حال التداولية فهي « تعنى بالعلاقة بين بنية النص و عناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منتظم ، مما يطلق عليه سياق النص ، و يأتي ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي أنتجت المقولة الشهيرة في البلاغة العربية لكل مقام مقال »[3]، إن التداولية واكبت في منظومتها القديمة التداولية المعاصرة حذو النعل بالنعل، و ذلك أنه من الواجب « إثبات احتواء التراث العربي على مباحث و أفكار ذات توجهات و إجراءات تداولية : أي الكشف عن الوجه الآخر للتفكير اللساني العربي، و من ثم تكون التداولية مدخلا مناسبا من مداخل فهم هذا التراث العظيم ، و أداة من أدوات قراءته »[4] ، لقد بدا هذا الحراك لإثبات احتواء التراث على مفاهيم تداولية ، و هنا لا يمكن اعتبار كلمة احتواء في معناها السلبي ، لكن غلبة

1 مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ، مرجع سابق ، ص.03.

2 صلاح فضل ، بلاغة الخطاب و علم النص ، مرجع سابق ، ص.97.

3 المرجع نفسه ، ص.98.

4 مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ، مرجع سابق ، ص.12.

المناحي و التيارات المذهبية التي اكتنفت الدراسات الأولى ، و هذا ما يمكن تفسيره في الدراسات المعاصرة بغياب الوعي النقدي فـ « التداولية اليوم هي مقاربة من مقاربات النص الأدبي (...) لها أفق داخلي تضطر فيه سائر المقاربات إلى الانخراط فيه، فالمهم ليس أن تكون مع التداولية أو ضدها في التحليل الأدبي، و لكن علينا مع ذلك أن نحدد أي صنف من التداولية نستخدم. و لكن علينا مع ذلك أن نحذر من مغبة الارتداد إلى تصورات للنص سابقة للبنيوية (...) و لكي تستثمر التداولية في دراسة الخطاب الأدبي، ينبغي أن تحدد مسلكها و قد حف به مزلقان أحدهما النزعة النفسية و الآخر النزعة الشكلية (...) و سواء تعلق الأمر بالتداولية أو بأي تصور آخر للغة ، فإننا نجد أنفسنا إزاء معضلة : هل نعامل الآثار الأدبية بوصفها جنسا من الملفوظات كسائر الأجناس ، أو إننا نضعها على حدة . و الحال أنها ملفوظات ليست كسائر الملفوظات من جهة ، و هي من جهة أخرى ، ليست ملفوظات خارجة عن قوانين اللغة »[1]، إن مثل هذه الخلافات التي تولدت عن استثمار التداولية في دراسة الخطاب الأدبي أسهم في تعطيل دينامية الفكر و تشتت في الآراء و التصورات النقدية ، و مهما كان من التفوق الذي لازم التراث القديم ، إلا أن هذا لا يمنع من وجود تأثيلات للتداولية في الفكر المعاصر ، و هذا ما يشدد عليه مسعود صحراوي للمرة الثانية «... على الرغم من اختلاف وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية و تساؤلاتهم عن القيمة العلمية للبحوث التداولية و تشكيكهم في جدواها ... فإن

1 فليب بلانشه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة ، دار الحوار ، المنامة ، البحرين ، د.ط، 2006، ص.197.

معظمهم يقر بأن قضية التداولية هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي و التعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي »[1]، إن ما لاحظناه من اختلاف في وجهات النظر بين الدارسين حول التداولية و التشكيك في جدواها و التساؤل عن قيمتها العلمية ، و ما سبقه من إسهامات البلاغيين الأوائل ممن اشتغلوا على التداولية و مناهجها لكن دون إدراك أو معرفة مسبقة بمصطلحاتها و موضوعاتها و ضوابطها التي تميزها عن باقي المعارف و العلوم الأخرى في رسم حدود و معالم التواصل اللغوي دليلا كافيا على مبعث بوادر تداولية في الفكر المعاصر ، و قد نتج عن هذا جملة من الإشكالات مع أن النموذج قديم و مع ذلك له أثر في تراثنا البلاغي، فقد « واجهتنا عدة صعوبات عند محاولتنا الاقتراب من « الأبعاد التداولية في شروح التلخيص للقزويني»، منها عسر تناول المتن ، فقد ضم خمسة شروح تتألف و تختلف تجتمع و تفترق ، و خشينا أن نضيع في الفويرقات القائمة فيما بينها (و البحث في هذا الأمر مشروع) ، فعمدنا إلى النظر إليها . و كأنها جسد واحد أو صياغات متقاربة لرؤية عامة واحدة فجعلناها كالمتعاوضة، و من الصعوبات الأخرى شساعة المتن البلاغي ...»[2]، هذا كله أدت إليه أسباب فكرية و مذهبية وعقدية لازمت المقاربة التداولية ، فعندما نجري حوارا أو مقارنة أو مسألة تمثيلية بين التراث القديم و الفكر النقدي المعاصر و ما آلت إليه هذه المقاربة ، نجد « أنه شديد الثراء و التنوع حتى ليعسر تحصيل فكرة شاملة عنه ، و قد تعددت التيارات التي تنظم هذا المنهج ، و كثر

1 مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب – دراسة تداولية لظاهرة (الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي) ، مرجع سابق ، ص.ص.16، 17.

2 صابر الحباشة ، التداولية والحجاج – مداخل ونصوص ، مرجع سابق ، ص.09.

الأعلام الذين أسسوا له فل سفيا و ابستمولوجيا ، و الباحثون الذين أجروه تطبيقيا فضلا عن اللسانيين الذين نقدوه نقدا داخليا و / أو خارجيا. لذلك وجدنا عنتا في المسك بزمام هذا المنهج »[1]، و اليوم نجد اتساعا و فجوات كبيرة في هذه المقاربة مما يفضي إلى المصطلحات المقابلة للمفاهيم الأجنبية ضمن هذا المجال، وهذا ما سنركز عليه في المبحث الموالي .

5-2- المبحث الثاني:المشهد التداولي العربي: إن التداولية مصطلحا مستجلبا إلى القاموس النقدي العربي، فقد كان ظهوره منوطا بأسباب و دوافع عديدة أثبتت حداثته، ولكل دارس تصوره الخاص به حولها يختلف به عن دارس آخر ، و قد أدلى كل من طه عبد الرحمن بتصوره عن التداولية ، فاعتبرها نتيجة للوعي بأصول التراث ، فهي ليست « سوى أصول ما دعوناه باسم « مجال التداول الإسلامي العربي » أو « مجال التداول الأصلي » أو باختصار« مجال التداول » [2]، و وصلها عبد المالك مرتاض بالتداول و إذن « فهم يصطنعون التداولية في مكان « التداول »[3]، أما من وجهة نظر جميل حمداوي الموسوعية فيربطها بمجموعة من المصطلحات المتحاقلة، فيما بينها و نذكر منها : الذرائعية – التداولية – البراكماتية – الوظيفية – الاستعمالية – التخاطبية – النفعية – التبادلية ، و نفهم من ذلك كله أن أصول مصطلح التداولية غير منوطة بالمثاقفة الحضارية العربية و الغربية ، لكنه في الآن ذاته لا ينزاح في تركيبته عن هذه المثاقفة ،

1 صابر الحباشة ، التداولية والحجاج – مداخل ونصوص ، مرجع سابق ، ص.ص.09، 10.

2 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق ، ص.243.

3 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، مرجع سابق ، ص.398.

ذلك أن الفعل الأجنبي مجسد في ممارسات الدارسين في سؤالهم عن تأصيلات هذا المصطلح في الفكر العربي – فهو في سياق ظهوره يتشاكل مع العديد من التيارات ، إذ « و من المعروف أن الدراسات التداولية قد ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية في القرن التاسع عشر الميلادي ، و تبلورت بعد الحرب العالمية الثانية »[1]، بهذا الاعتبار فإن التداولية صورة عن النظرية البراغماتية – التي نعلم كلنا أصولها الغربية – للجانب المنفعي و المصلحي المنسوب فيما يذكره حمداوي منسوبا إلى وليام جيمس ، أما عند الحديث عن إمكانية انتقال مفهوم التداولية إلى الفكر العربي ، «... و إنا بكل أسف، لا ندري من اللغويين العرب المعاصرين هذا المفهوم لأول مرة في اللغة العربية، أثناء القرن العشرين. نقلا عن أصحابه من المفكرين الأمريكيين ؟ و لا كيف اهتدى السبيل إلى إطلاق هذا الاستعمال الذي يدل من الوجهة المعجمية على التعاور على شيء و أخذه بالدول بحيث يقع التداول عليه مرة يأخذه هذا من ذاك، و مرة يأخذه ذاك من هذا ... و يستعمل هذا التركيب اللغوي في العاميات العربية بوجه صحيح إلى يومنا هذا ...»[2]، و هكذا تخضع انتقالية مفهوم التداولية إلى الفكر العربي للرغبة في الوعي به التي تمثلت في ممارسات الثقافة الغربية في القرنين التاسع عشر و بدايات القرن العشرين قبل أن تتمثل في ثقافتنا، لكن يجب التنبيه إلى أنه لم يتم التأكيد كثيرا على تمثل تلك الانتقالية بصريح العبارة ، بل الاكتفاء بالقول (و يستعمل هذا التركيب اللغوي في العاميات العربية بوجه صحيح

1 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مصدر سابق ، ص.11.

2 عبد المالك مرتاض ، نظرية النص الأدبي ، مصدر سابق، ص.391.

إلى يومنا هذا) ، و لم يؤكد على تطورها و أماراتها ، أما طه عبد الرحمن فقد ذكر بصدد حديثه عن بداية اشتغال العرب بمصطلح التداولية ، من خلال ما قدمه فرانسيس جاك : « تتطرق التداولية إلى اللغة كظاهرة خطابية و تواصلية و اجتماعية معا »[1]، و لم يفته التنبيه إلى أن فرانسيس جاك على الرغم من تناوله قضايا فكرية و نقدية طرحت في القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ، فصدح بأن ينظر في التداولية إلى قصد المتكلم و نواياه و حال السامع و ظروفه ، و هو ما يفسره فعلا التعريف السابق لجاك فرانسيس للتداولية بمعنى ؛ أنها تفاعل قصد المتكلم و نواياه مع حال السامع و ظروفه و تحاورهما و يبدو أن طه الذي يفهم التداولية ، باعتبارها « مجال التداول في التجربة التراثية ، هو إذ محل التواصل و التفاعل بين صانعي التراث »[2]، ليجعلنا ندرك بأنه أول من أدخل التداولية إلى الثقافة العربية بعد تأصيلات فرانسيس جاك ، و هذا ما ينم عن أنها لم تنفصل عن المؤثرات الغربية ، و قدم جميل حمداوي تركيبة من المصطلحات العربية التي يعتقد بأنها تعبر عن المفهوم الأجنبي ، نذكر منها : **الذرائعية – التداولية –البراكماتية – الوظيفية – الاستعمالية – التخاطبية – الوظيفية – النفعية – التبادلية** ، و من وجهة نظره أن الاستخدام المفرط لها دون وعي يكرس كما لا متناهيا من الرداءة :

الناقد	المصطلح المفضل	المرجع
أحمد المتوكل	الوظيفية	الوظائف التداولية في اللغة العربية

1 فرانسوا أرمينكو ، المقاربة التداولية ، تر : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط ، المغرب ، د.ط، 1986، ص.12.

2 طه عبد الرحمن ، تجديد المنهج في تقويم التراث ، مصدر سابق ، ص.244.

يستعمل أحمد المتوكل في العديد من مؤلفاته **الوظيفية و التداولية** بمفهوم واحد، حينما يقول في أبرز كتبه الموسوم بالوظائف التداولية في اللغة العربية « ... بما يسمى بالبراجمانتاكس pragmantax التي تمثل أحد التطورات الأخيرة لما كان يدعى (...) و النظرية الوظيفية (functionalism) »[1].

الناقد	المصطلح المفضل	المرجع
سعد البازعي – ميجان الرويلي	الذرائعية	دليل الناقد الفني
محمد محمد يونس علي	علم التخاطب	مدخل إلى اللسانيات

يستخدم في حين آخر كل من سعد البازعي و ميجان الرويلي مصطلحا مخالفا لما للوظيفية و يتمثل في الذرائعية في كتابهما « دليل الناقد الفني »[2]، و يأتي محمد محمد يونس علي و يطرح بديله للترجمات المقدمة من طرف الدارسين حين ألح كثيرا في مؤلفاته على قضية **علم التخاطب** فاصطنع مصطلح علم التخاطب في صورة عبارة « أفضل ترجمة مصطلح pragmatics بعلم التخاطب ، و ليس التداولية ، أو النفعية ، أو الذرائعية كما يفعل عدد من اللسانيين العرب ، توهما منهم بأن pragmatics و pragmatism شيء واحد »[3]، و هكذا يكمن العجب في تصور محمد محمد علي يونس تبنيه لمركب ثنائي أو لفظ ثنائي (**علم + التخاطب**) ، فيقول (**علم التخاطب**) ، مقابلا لـ (**pragmatics** ، و **pragmatism**) في حين كان يجب أن يقول « **التخاطبية** » ، إلا أن

1 أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة نشر وتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط.1، 1985، ص.08.

2 سعد البازعي وميجان الرويلي ، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط.1، 2004، ص.100.

3 محمد محمد علي يونس ، مدخل إلى اللسانيات ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ط.1، 2004، ص.102.

جميل حمداوي رأى أن التداوليات هي المركب الأصح من حيث القياس اللغوي و أن التداولية هي مركب صحيح و مستسهل النطق به أيضا ، بالرغم من أن معيار التداول المعاصر لا يزكي أيا من هذين المصطلحين السليمين ، فاختار التداوليات مقابلا مكافئا شكلا و مضمونا لـ (**pragmatique**) ، و قد جاء هذا الاختيار باعتباره موسوعيا في تناوله لمثل هذه النماذج و القياس عليها ، و لكن بالرغم من موسوعية و محاولات استغلاله أثناء التعامل مع المفهوم الأجنبي و إيجاد مصطلحات عربية له، لنجده يؤثر استعمال التداولية ، و مثلما يعلل يوسف وغليسي استعماله لمصطلح البنوية بدلا من البنوية أو البنيية و هجره للمصطلح السليم (البنيية) بقوله « إن البنوية – على علاتها الصوتية – تبدو بوضوح أكثر اطرادا و أشيع استعمالا؛ فقد فرضها التداول و غلبها كما غلب الاستعمال العربي النسبة إلى قريش قرشي على النسبة الأصلية القياسية قريشي ... إذ فلا مناص من البنوية و لا محيص عنها »[1] ، من وجهة نظر جميل حمداوي في تأكيده على فكرة عدم استعمال المصطلح السليم و تغليب الاستعمال لمصطلح التداولية بدلا من التداوليات و التداول من منطق أن المصطلح يفرضه التداول و يغلبه حتى لو كان غير سليم ، و على « أي حال ، سواء أخذنا بالتداولية أم بالتخاطبية ، فالمصطلحان معا أفضل بكثير من مصطلح الذرائعية »[2]، و هكذا فتغليب المصطلح الخاطئ على المصطلح الصحيح استنادا إلى مدى امتثاله لمعيار التداول المعاصر . قد يبعث على الوهم فكان من الأفضل

1 يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، ص.137.

2 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب، مصدر سابق ، ص.06.

بالكاتب أن يستعمل مصطلح التداولية و يبعثه من جديد و يغلبه على المقابلات الخاطئة . و ذلك بالدعوة إلى استعماله ، و هذا يبدو متعارضا مع ما قدمه طه عبد الرحمن الذي يذكره في أحد تعابيره « وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح (التداوليات) مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) ، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي (الاستعمال) و (التفاعل) معا. و لقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم » [1]، فتبني مصطلح (التداولية) وفقا للتصنيف المتبع من طرف الدارسين قد لا يولي بقيمة و لا أهمية لصحته و مدى استيفاءه لقواعد اللغة المتينة ، و هو الأمر الذي يؤكده طه عبد الرحمن في مقولاته ، و لذلك وجب بعث مصطلح (التداوليات أو التداول) – على حد لغته، ليعمد حمداوي إلى دراسة المصطلحات النقدية– ذات الصلة – بالمجال التداولي ، فنجده يستهل دراسته أولا بمصطلحي : النص الأدبي ؛ من خلال طرحه لوجهات نظره في معالجة كل مصطلح ، و يبدأ بمصطلح النص

5-2-1-النص : يطرح جميل حمداوي تصوره في معالجة مصطلحات المجال التداولي و ينطلق من مصطلح النص الذي يقابله في المفاهيم الأجنبية لفظان (**text - texte**) ، و بعد مناقشته أهم الترجمات لهما ، يقع اختياره على مصطلح النص كمقابلا موازيا للمفهوم الغربي امتثالا لمعايير ضبط المصطلح و تداوله المذكورة آنفا ، و هو يعبر عن تبني هذا المصطلح بقوله « ... فثمة تصورات تداولية عدة حول النص و الخطاب الأدبي تختلف

1 طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الرباط ، المغرب، ط.2، 1986، ص.28.

من تيار إلى آخر، و من تداولي إلى تداولي آخر »[1]، و بهذا التبني يتضح استهجان و رفض حمداوي لعدة مصطلحات أخرى نذكر منها : **النصية – التنصيص – النصوصية – النصنصة** ، يستند إلى الضابط التداولي في مواجهة الفساد المصطلحي ، و هو ما نلفيه في مؤلفه – محل الدراسة – و الظاهر أنه غير مقتنع بلفظ النص، فهناك ألفاظ أخرى أفضل بكثير منه – على سبيل المثال – النسيج أو النسج – كما يتجلى في تفكير طه عبد الرحمن ، الذي يعود دائما إلى **الضابط التداولي (معيار التداول الذي يبرز مدى مناسبة المصطلح للمفهوم)** .

5-2-2-الأدبية : يبدو للقارئ المتفحص لكتاب التداوليات و تحليل الخطاب أن كاتبه يشير فيه إلى أن تشكل النص أو الخطاب يخضع لمعيار الأدبية أي ؛ السمة التي تجعل كل منهما أثرا خالصا فـ « تتعامل التداولية مع النص الأدبي باعتباره خطابا و ملفوظا لغويا ذا كلية عضوية ، سواء أكان ذلك الخطاب شفويا أو كتابيا حيث نربطه بالوظيفة ، و السياق المقامي و الأداء الإنجازي و ندرس مكوناته التلفظية السياقية (...) و نربطه أيضا بالحوارية و المقصدية و الإحالة و التفاعل...»[2]، في هذا السياق لا يمكن أن ينأى أي نص أدبي عن أدبيته الخالصة بربطه بسياقاته المقامية و أداءاته الانجازية (مكوناته التلفظية السياقية) ؛ لذلك وجب عرضه على محك النقد ، و من ثم لا بد من التنويه هنا إلى أن المقاربة التداولية للنص الأدبي تنزاح نحو مناقشة الأدبية في حد ذاتها التي عرفت

1 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مصدر سابق ، ص.13.

2 المصدر نفسه ، ص.14.

بدورها تساؤلات جمة عن كنهها ، و حري بنا أن ندركها كمفهوم ، ثم نواصل رحلة البحث عن المصطلحات المعبرة عنها ، ومن وجهة نظر حمداوي أن لفظ الأدبية هو المصطلح الأنسب للمفهوم الأجنبي خلافا للترجمات المقترحة للمفهومين الأجنبيين (**Littérarité- Littérarisation**) مثل : الأدبنة أو الأدببة اللفظين اللذين يتبناهما بعض الدارسين في مؤلفاتهم ، لذلك من وجهة نظرنا يبدو لفظ الأدبية الترجمة الأنسب للمفهومين الأجنبيين ، و نرى أنه يبدو متكافئا شكلا ومضمونا معهما و أكثر ثبوتا من مقابلات كالأدبنة و الأدببة كونها مقابلات غريبة و ثقيلة على سمع المتلقي ، و في هذا الصدد لا تتم عملية التواصل أو بعبارة أخرى الاتصال إلا بجملة من العناصر، تشكل هوية المجال التداولي ، وكما أسلفنا الذكر قد عرفت هذه كما لا متناهيا في دلالاتها يمكن التعرف عليه من خلال الجدول الآتي :

اللفظ العربي	اللفظ الأجنبي
المرسل إليه	Destinataire
المرسل	Destinateur
الرسالة	Message
الاتصال	Contact
رمز / شيفرة	Code

5-2-3-الاتصال Contact: تقوم عملية الاتصال على فكرة التفاعل بين طرفين اثنين استنادا إلى جملة من المعطيات والأسس الفكرية، والملاحظ أن هذا المفهوم قد عرف

غموضا كبيرا في محاولة ضبط الترجمات المعبرة عنه في إطار المجال التداولي، لذلك « و عليه إذا أردنا – مثلا – دراسة عنوان نص أو خطاب ما في ضوء تواصلية رومان جاكبسون، فالعنوان عبارة عن رسالة ، و هذه الرسالة يتبادلها المرسل و المرسل إليه ، فيساهمان في التواصل المعرفي و الجمالي ، و هذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية يفككها المستقبل و يؤولها بلغته الواصفة ، و هذه الرسالة ذات الوظيفة الشاعرية أو الجمالية ترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال »[1] ، يقدم لنا حمداوي نموذجا حسن الواد في تصويره لعملية الاتصال أو الإبلاغ على حد تعبيره فـ « لقد اعتنت نظرية التخاطب ، على وجه الخصوص، بمرور البلاغ من الباث إلى المتقبل عبر قنوات الاتصال ، و رأت أن الباث يسجل بلاغه في الكلام حسب قواعد في التسجيل تواضع عليها الناس ، و أن المتقبل يعمد إلى فك رموز الكلام ليحصل على البلاغ منها »[2]، و كذا « تحديد أطراف التواصل اللغوي »[3]، و هكذا لتتحقق عملية الاتصال يجب أن تستند على جملة من الوسائط اللغوية التي تؤطرها و تجعل كل من المرسل والمستقبل في علاقة دلالية واحدة ، و بهذا المعنى هو فعل تبادل و تثاقف رمزي بين المرسل و المستقبل ، ليكون المتلفظ به صادرا من مرسل يضمنه في رسالة يوجهه من خلالها إلى المرسل إليه عبر قناة أو سياقا يعد بمثابة مرجعية أو خلفية لإدراك محتوى القول المتلفظ الذي قد يكون مضمرا برموز و أنساق يجب أن تكون معلومة لدى كل من المرسل إليه و بالأخص لدى المرسل

1 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مصدر سابق، ص.17.

2 حسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية ، منشورات المغرب ، ط.2، 1985، ص.ص.74، 75.

3 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مصدر سابق، ص.21.

إليه الذي يقع على عاتقه مسؤولية فك غموضها ، و هذا كله من أجل تحقيق عنصر التفاعل ، الذي يشير إليه سمير حجازي حينما يقول بأن الاتصال « نقل معلومات أو أفكار من شخص إلى آخر، عن طريق الكلام أو اللغة ، و يتضمن هذا النقل عدة عناصر أساسية : مرسل ، مستقبل ، دائرة ، رسالة »[1]، تشكل موضوع الاتصال وقد عرفت جملة من الإشكالات في ترجمتها من الثقافة الأجنبية إلى الثقافة العربية ، ففي وضعية الابتداء نجد لفظة الاتصال تتنوع في ترجمتها ، فنجدها تقابل مصطلحات من قبيل إيصال – تواصل – إبلاغ ، فالإيصال مصطلح لوهبة مجدي في معجم مصطلحات الأدب : انكليزي – فرنسي – عربي *، تواصل مصطلح السعيد بوطاجين في الترجمة و المصطلح : دراسة إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد ** إبلاغ مصطلح يتبناه المسدي في الأسلوبية و الأسلوب *** ، و حسب وجهة نظرنا نحبذ استعمال تواصل بدلا من إيصال؛ لأن التواصل يتطلب بالضرورة وجود مرسل و مرسل إليه ، أما الإيصال فينم عن وجود طرف واحد الذي يتجسد في شخص المرسل الذي يوصل رسالته إلى المرسل إليه ولا يكون هناك تفاعل أو رد ثنائي من المرسل إليه نحو المرسل، أما لفظة إبلاغ فنراها بعيدة كل البعد عن المعنى المقصود و تقترب نوعا ما من لفظ إيصال ذلك أنهما يحققان الاتصال عبر

1 سمير حجازي ، مناهج النقد المعاصر ، مرجع سابق ، ص.141.

* وهبة مجدي ، معجم مصطلحات الأدب : انكليزي – فرنسي – عربي، مكتبة لبنان ، ساحة الرياض ، 1994، ص.79.

** السعيد بوطاجين ، الترجمة والمصطلح : دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، الدار العربية للعلوم – ناشرون – ط.1، 2009، ص.218.

*** عبد السلام المسدي ، الأسلوب والأسلوبية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط.3، 2009، ص.218.

طرف واحد ، فالإبلاغ هو وصول وانتهاء أي ؛ فعل دون رد الفعل، و في هذا المقام نرى بأن حمداوي اكتفاءه بعرض الترجمات المختلفة للمفهوم الأجنبي دون انتقاء أو اختيار لفظة واحدة بعينها .

5-2-4-مرسل Emetteur : بعد عرض المقابلات العربية التي استعملت لترجمة المفهوم الأجنبي اتصال الذي يقابله بـ **Contact** و التي تمثلت في تواصل أو إبلاغ أو اتصال و مناقشتها سنواصل مع باقي مصطلحات المجال التداولي ، و هذه المرة مع مصطلح (مرسل) و سيتم عرض هذه الترجمات كالآتي :

- المرسل و وظيفته انفعالية ، و هذه الرسالة يتبادلها المرسل و المرسل إليه [1]
- المرسل (الباث ، المتكلم ، المتلفظ، المرسل ، المتحدث ، المبدع) [2]
- و تحيل المعينات على أطراف التواصل من: متكلم ومستقبل، و مرسل و مرسل إليه [3]

و قد جاءت الترجمات على النحو الآتي : **مرسل – الباث – المتكلم – المتلفظ –المتحدث – المبدع – المستقبل** ، و الملاحظ أنه قد تم صياغتها عبر آلية الاشتقاق ، لنجدها تتداول في مؤلفات الدارسين : فأحمد مومن **يترجم بلفظة مرسل** [4] ، **أما عبد السلام المسدي يترجمها**

1 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، ص.ص.15، 17.

2 المصدر نفسه ، ص.19.

3 المصدر نفسه ، ص.24.

4 أحمد مومن ، اللسانيات – النشأة والتطور – ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية – بن عكنون – الجزائر ، ط.2، 2005، ص288.

بلفظة باث [1] ، **سعيد بحيري** يترجمها بقوله « ... أو إذا ما الباث Emittent يكتب أو يقول شيئا لنفسه فحسب »[2]، بعد قراءة هذه الترجمات العربية التي عبرت عن المفهوم الأجنبي **(Emetteur)** نجد أن هناك اتفاقا على ترجمته بالمقابل العربي الموسوم بالباث كونه يكافئه و الأقرب له شكلا ومضمونا ، لكن ما يلاحظ أن لفظ **(Destinateur)** أكثر ثبوتا و تداولا من لفظ **(Emetteur)** ، إذ أن كلمة مرسل يمكن أن تعبر عن المفهومين الأجنبيين.

5-2-5- مرسل إليه Destinataire : يواصل جميل حمداوي معالجته لمصطلحات المجال التداولي ، و هذه المرة مع مصطلح مرسل إليه الذي يشار إليه بالمفهوم الأجنبي **(Destinataire)** و يتم تأثيله وفق **المنهج التداولي**[3] ، لتتنوع الترجمات العربية فنجد كما لا متناهيا منها يمكن إحصاؤه كمايلي: **مرسل إليه – مستقبل – متلقيا – قارئا – مخاطبا – متلفظ إليه – شخصية مقابلة للشخصية المتكلمة – متقبلا و هلم جرا** ، و مهما تكن الترجمة عن الفرنسية أو الإنجليزية نبقى نحصي هذا التعدد في المسارد التي تتواتر في مؤلفات الباحثين بين **مرسل و مرسل إليه و غيرها** [4] ، لنجد مايلي :

- الرسالة يتبادلها المرسل والمرسل إليه. وهذه الرسالة مسننة بشفرة ، لغوية يفككها

1 عبد السلام المسدي ، قاموس اللسانيات – عربي – فرنسي ، فرنسي- عربي مع مقدمة في علم المصطلح ، الدار العربية للكتاب ، د.ط، د.ت، ص.102.

2 سعيد بحيري حسن ، النص – المفاهيم والاتجاهات ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، مصر ، ط.1، 1997، ص.114.

3 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مرجع سابق، ص.ص. 15 وما بعدها

4 عبد القادر الفاسي الفهري ، معجم المصطلحات اللسانية ، إنجليزي – فرنسي – عربي – دار الكتاب الجديد المتحدة ، الرباط ، المغرب، د.ط، 2007، ص.16 (بتصرف) .

المستقبل ، النص الأدبي تخاطب وتداول يجمع بين أطراف ثلاثة هي : المرسل المتكلم الذي قد يكون كاتبا أو مؤلفا أو ساردا أو شخصية ، و المرسل إليه الذي قد يكون شخصا مخاطبا، كأن يكون قارئا أو متلقيا أو شخصية مقابلة للشخصية المتكلمة

- المتلقي (القارئ– المرسل إليه– المستقبل– المتلفظ إليه .) و من ثم، فالباث أو المرسل هو الذي يسنن رسالة ما، سواء أكانت ذهنية أم وجدانية، ليرسلها إلى المتلقي ليفككها في ضوء سنن مشترك أو لغة يعرفها كل من المرسل والمرسل إليه .

و نجد ترجمات أخرى للمفهومين الأجنبيين هي كالآتي :

مخاطب	Destinateur	Addresser
مخاطب	Destinataire	Addressee

يتضح من خلال الجدول أن هناك تباينا في الترجمات العربية التي تم إحصاؤها ، لكن قد يبدو الأمر منطقيا لكثير من الدارسين عند ملاحظتهم لذلك التعدد على أنه متطلب من متطلبات الدراسة ، انطلاقا من فكرة مفادها أن كل فرع رهين مصطلحاته ومفاهيمه، كما لا يجب الخلط بين ما هو أدبي وما هو لساني، فالكتابة الأدبية تعاني من نفس الإشكالات لنجد المتلقي و القارئ و المتقبل ... الخ ، أما حسب وجهة نظرنا فنفضل استعمال لفظ المرسل إليه لأنه يبدو متكافئا مع المفهومين الأجنبيين (**Addressee– Destinataire**) .

5-2-6-رسالة message : لقد تعامل جميل حمداوي مع لفظ رسالة كسابقيه ، وهذا وفق الجدول الآتي :

- ترجمة مصطلح **رسالة**[1] **message**

1 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مرجع سابق، ص.ص. 17، 19، 30.

- و هذه الرسالة مسننة بشفرة لغوية، يفككها المستقبل، و يؤولها بلغته الواصفة
- و الرسالة (النص– الأدب– الخطاب– التلفظ ...)

و نلاحظ من خلال الجدول أن هناك تباينا في وضع **مصطلح (message)** و تحديده، ، فعرفت ترجمته اضطرابا لدى الدارس العربي كما هو موضح في الجدول الثاني :

الكاتب	ترجمته
خولة طالب الإبراهيمي	رسالة أو (الخطاب)[1]
أحمد مومن	رسالة [2]
عبد القادر الفاسي الفهري	إرسالية ، رسالة [3]
عبد السلام المسدي	رسالة [4]

نستنتج من الجدول ، أنه لا يوجد اتفاقا وإجماعا في ترجمة **مصطلح (message)**، و في وجهة نظرنا نستحسن ترجمته برسالة لوجود تقارب بين المفهومين في اللغات الأجنبية و اللغة العربية ، و سبب اختيارنا له دون غيره من المصطلحات راجع إلى أن المختصون الفرنسيون استعملوا **مصطلح (message)** كدلالة على النص المرسل والمتداول بين المرسل و المرسل إليه ، أما في الدراسات التداولية في جانبها الأدبي و النقدي فيتم استعمال المصطلح نفسه باعتبار أن النصوص الأدبية و النقدية رسائل ، و يمضي حمداوي طرح وجهة نظره بخصوص باقي المفاهيم و هذه المرة مع مصطلح (**شفرة**) الذي يقابلها **اللفظ الأجنبي (Indice)** ، و قد تعددت مقابلاتها ضمن المؤلف – محل الدراسة – فكانت

1 خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ط.2، 2000، 2006، ص.192.
2 أحمد مومن ، اللسانيات – النشأة والتطور ، مرجع سابق ، ص.293.
3 عبد القادر الفاسي الفهري ، معجم المصطلحات اللسانية ، مرجع سابق ، ص.192.
4 عبد السلام المسدي ، قاموس اللسانيات ، عربي، فرنسي – فرنسي ، عربي ، مع مقدمة في علم المصطلح ، الدار العربية للكتاب ، د.ط، د.ت، ص.ص.120، 121.

كالآتي : **شفرة – السنن – رموز – القرائن– المؤشر – الإشارية – دليل** ، لأن أغلب المقابلات التي جاءت في متن المؤلف لا تعبر عن اللفظ في حد ذاته ، فمثلا : إشارة تترجم بـ Signal ، علامة و دليل يشتركان في التعبير عن اللفظ نفسه Signe، أما دلالة فتترجم بـ Signification على شاكلة ما هو معروض في الجدول الآتي :

عبد السلام المسدي	قرينة	قاموس اللسانيات ، ص.149.
عبد القادر الفاسي الفهري	قرينة	معجم المصطلحات اللسانية ، ص.143.
خولة طالب الإبراهيمي	مؤشر	مبادئ في اللسانيات ، ص.198.
عزت جاد محمد	مؤشر	نظرية المصطلح النقدي ، ص.475.

و الملاحظ أن حمداوي ميز بعض الترجمات التي لا يمكن أن تعبر عن **اللفظ (Indice)** ، أو « الوحدة الإشارية (Index) عند شارل بيرس (Peirce) ، أو التعبير الإشاري كما لدى بار هيليل (Bar–Hillel) ، أو المؤشر (indicateur) أو دليل التلفظ (indice de l'énonciation) ... »[1]، و في تصورنا يبدو المقابل العربي قرينة مناسبة للتعبير عن المفهوم الأجنبي ، باعتبار أنه يحمل نفس الدلالة التي يمتاز بها المفهوم الفرنسي ، و عرفت المصطلحات التي تمثل المقاربة التداولية في تعاملها مع النص الأدبي اضطرابا و تنوعا هائلا، فكانت البداية بلفظ الفعل الكلامي الذي يعرفه مسعود صحراوي بأنه « نواة مركزية في الكثير من الأعمال التداولية ، و فحواه أنه كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري (...) و من ثم فهو فعل يطمح إلى أن يكون ذا

1 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مرجع سابق، ص.28.

تأثير في المخاطب ، اجتماعيا أو مؤسساتيا ، و من ثم إنجاز شيء ما »[1]، و هكذا تنطلق المقاربة التداولية من الفعل الكلامي المجسد لفكرة القوة الانجازية و التأثيرية لشيء ما، و من أهم الترجمات المختلفة لهذا المفهوم نجد الفاسي الفهري يستعمل مصطلحي (**فعل الكلام و فعل الملفوظ**) كمقابلات للفظ الأجنبي (Speech act)[2] ، أما يوئيل يوسف عزيز فيستعمل فعل الكلام (أفعال الكلام) كمقابل للفظ الأجنبي « act (s) speaking »[3]، لحظة ترجمته لكتاب علم اللغة لدوسوسير ، و يقترح حمداوي وجهة نظره المتمثلة في استعمال مصطلح أفعال كلامية حيث يرى فيه أنه المصطلح الأنسب للمفهوم الغربي من منطق أن « النص الأدبي ليس مجرد خطاب لتبادل الأخبار و الأقوال و الأحاديث، بل يهدف عبر مجموعة من الأقوال و الأفعال الانجازية إلى تغيير وضع المتلقي و تغيير نظام معتقداته، أو تغيير موقفه السلوكي من خلال ثنائية افعل و لا تفعل » [4]، إن الاستعمال لمصطلح (**أفعال كلامية**) يبدو من وجهة نظر حمدواي ، لكن هناك من اقترح مصطلحا أخر بديلا عن أفعال كلامية و هو من صميم التراث العربي الذي تداول في كتابات البلاغيين العرب ، فـ « آثرنا أن نستخدم ، في هذا الفصل ، الاصطلاح العربي

1 مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، مرجع سابق ، ص.40.

2 عبد القادر الفاسي الفهري ، معجم المصطلحات اللسانية ، مرجع سابق ، ص.312.

3 فردينان دوسوسير ، علم اللغة العام ، تر: يوئيل يوسف عزيز، أفاق عربية ، الأعظمية ، بغداد ، ط.1، 1915، ص.265.

4 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مرجع سابق ، ص.32 ، نقلا عن : Catherine kerbrat-Orrecchioni: Enonciation de la subjectivité dans le langage, Paris, Armond Colin, 1980, p: 181.

(الخبر والإنشاء) بدلا من المصطلح الغربي (الأفعال الكلامية) ، و ذلك بقصد الانسجام مع المصطلح الأصيل المتداول و البعد عن التشويش الاصطلاحي والفوضى المفهومية ، طالما أن غايتنا من هذا الكتاب هي إثبات وجود ظاهرة الأفعال الكلامية في التراث العربي من خلال ظاهرة الخبر والإنشاء »[1]، و هكذا يكون الاستلهام من التراث في انتقاء المصطلحات الأصيلة الخاضعة للمعيار التداولي بعيدا عن التشويش و الفوضى فيهما ، وحسب وجهة نظرنا نحبذ استعمال مصطلح (الخبر و الإنشاء) كونه من صميم التراث العربي .

يشكل التناص مصطلحا مهما من المصطلحات الحديثة ، و قد ألفيناه متداولا في مؤلفنا محل الدراسة ، و حضوره في المقاربة التداولية للنص الأدبي عبر عنصر الحوارية التي أفصح عنها حمداوي من خلال تعريفات مفكرين غربيين لها ، فالحوارية كل « مكون لكل كلام ، و تعرف كتوزيع لكل خطاب إلى لحظتين تلفظيتين توجدان في علاقة حالية، و يقدم المبدأ الحواري من خلال الحدود التالية : كل تلفظ يوضع في مجتمع معين لا بد من أن ينتج بطريقة ثنائية »[2]، و هكذا يشكل التناص آلية مهمة من آليات المقاربة التداولية عبر فعل التلفظ الذي ينتج وفق طرائق ثنائية ، لكن بمعطى المبدأ الحواري الذي لمح فيه إلى إمكانية ظهور فرع جديد يعرف بـ (**التنـــاص Intertextualité**) ، و تأكيده ينبني على تصور « لكي يدلل باختين على الصفتين الأساسيتين المميزتين لنسيج الخطاب الروائي

1 مسعود صحراوي ، التداولية عند العلماء العرب ، مرجع سابق ، ص.ص.49، 50.

2 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، ص.43، نقلا عن : فرانسواز أرمينكو :المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ، ط.1، 1987، ص.112.

، و هما : تعدد الملفوظات، و التناص ، فقد أفاض في توضيح ما يقصد بالملفوظ بوصفه موضوعا لعلم لساني جديد يسميه أحد الباحثين عبر – اللساني La translinguistique أو ما أصبح يعرف اليوم بالتداولية و يربطه في معناه بالخطاب وبالكلمة ، وكلها عناصر مشتملة على علائق حوارية تلتقي مع مفهوم التناص في معناه »[1]، و هكذا يشكل مرجعية مهمة من مرجعيات الفرع الجديد الذي أصبح يعرف بالتداولية ، ليعرف هذا المصطلح تعددا كبيرا في الفكر العربي المعاصر فنجده كما يلي :

	المؤلف	المرجع	الصفحة
التناص	سعيد علوش	معجم المصطلحات الأدبية	215
	محمد عناني	المصطلحات الأدبية الحديثة	46
	فيصل الأحمر	معجم السيميائيات	142
	المؤلف	المرجع	الصفحة
حوارية	مولاي علي بوخاتم	مصطلحات النقد السيميائي	111
	محمد يحياتن	المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب	36

1 ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، تر: محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط.1، 1987، ص.15.

حوارية	محمد مفتاح	دينامية النص	81

تناصية	المؤلف	المرجع	الصفحة
	عبد الصمد وأخر	معجم تحليل الخطاب	111
	نهلة الأحمر	التفاعل النصي – التناصية – النظرية و المنهج	106-107-109-118
	عبد المالك مرتاض	نظرية النص الأدبي	81
	سعيد الغانمي	السيمياء و التأويل	244
النصية	المؤلف	المرجع	الصفحة
	عبد العزيز حمودة	المرايا المحدبة	88

هكذا عرفت ترجمة **مصطلح (Intertextualité)** إلى الكتابة العربية فوضى ، و ذلك لعدم استيعاب المفهوم الأجنبي من لدن الدارسين كما أسلفنا في الجداول السابقة، وحسب نظرنا نفضل استعمال (**التناصية**) فإنه المصطلح الأكثر دلالة على مفهوم المفهوم الغربي .

يمضي حمداوي في معالجته التأصيلية للمصطلحات النقدية المشكلة للمجال التداولي ، التي من بينها نجد **مصطلح (الانزياح)** الذي أثبت حضوره بقوة في المجالات الحديثة ، و الأكثر من ذلك ولوجه إلى فضاء الدراسات التداولية ، و يشير في وصف

الرموز و السنن التي يضمنها المؤلف أو الكاتب في رسالته (نصه الأدبي) ، فـ « النص الأدبي باعتباره ظاهرة تخاطبية بين المتكلم والمخاطب يثير عدة صعوبات بسب الغموض ، و الإنزياح ، والتضمين ، والتلميح »[1]، و هكذا يطرح حمداوي هذا التعدد فنجد أيضا : **الانزياح – الخرق – انتهاك المعيار التقعيدي – التشويش الدلالي** وغيرها من المصطلحات التي استعملت للتعبير عن **اللفظ الأجنبي (écart)** لتزداد المترادفات لدى الدارسين المعاصرين فنعثر على : **الانحراف – العدول ، المجاورة ، المغايرة ، الخروج عن المألوف ، اللحن عند النحويين ، باب اللغة الشجاعة** ، و تأتي تصنيفاتهم للانزياح كالآتي: يتبنى كل من عبد المالك مرتاض ، عدنان بن ذريل ، حميد لحميداني ، محمد عزام ، حسين خمري مصطلح (الانزياح) و جمهور الدارسين في بلاد المغرب العربي خصوصا كما يشير إلى ذلك يوسف وغليسي * ، الذي يمضي أيضا تصنيفه للطائفة الثانية التي تتبنى مصطلح الانحراف – و بشكل مباشر – « شاع مصطلح الانحراف في عامة الكتابات النقدية المشرقية ، المصرية بدرجة خاصة و بحكم الثقافة الإنجليزية لعامة هؤلاء ، فقد جعلوا الانحراف مقابلا Déviation »[2]، و هذا كله ينم عن أزمة بين الطوائف المغربية و المشرقية ، إذ نجد أغلب الكتب المتداولة في الوقت الراهن في جل المجالات المتعلقة بالأدب و النقد و اللسانيات و هلم جرا، أما باقي التصنيفات الأخرى فهي مصنفة وفق الجدول الآتي :

1 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مصدر سابق ، ص.20.

* يوسف وغليسي ، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد ، ص.ص.210، 211، (بتصرف) .

2 المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

المصطلحات	المؤلف	المرجع	الصفحة
الانحراف	سمير حجازي	معجم المصطلحات اللغوية والأدبية	93
الفارق	سعيد علوش	معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة	162
العدول	مولاي علي بوخاتم	مصطلحات النقد السيميائي	275
الفجوة	محمد عناني	معجم المصطلحات الأدبية الحديثة	36
الانزياح	عبد السلام المسدي	الأسلوبية والأسلوب	162
الشذوذ	مجدي وهبة و كامل المهندس	معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب	209

و هكذا لم يتوقف ظهور الترجمات العربية للمفهوم(**écart**)، بل تعدى الأمر إلى مصطلحات مستهجنة على سبيل المثال: **الشذوذ و الفجوة و هلم جرا**، لنجد نقلا لـ « écart إلى الانزياح Déviation ، إلى الانحراف ، ثم جاء بمصطلح فرنسي آخر يقع على محيط المفهوم ذاته هو Contraste الذي ترجمه بأربع مقابلات عربية (فرق ، اختلاف ، تباين ، تضاد) »[1]، و في رأينا ينبغي الرجوع إلى التراث و استغلاله من أجل تقديم ترجمات مكافئة للمفاهيم الاجنبية و نرى أن الترجمات المقترحة مثل (**الغموض ، الانزياح ، التضمين و التلميح**) يمكن أن تسهم – نوعا ما – بمكافئة اللفظ الأجنبي .

إن قراءة متبصرة لوجهات نظر التي استند إليها حمداوي في معالجته لإشكاليات توظيف المصطلحات النقدية في المقاربة التداولية ، يمكن أن تسهم في التخفيف من الضبابية و الغموض لحظة انتقاء المصطلحات المعبرة عن المفاهيم الأجنبية، لكن من وجهة فهو

1 عدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق، 1980، ص.158.

لم يلتزم بطريقة واحدة في تأصيله ، فنجده يؤصل أحيانا و يتناسى التأصيل (مدخل للمصطلح – أصوله في الفكر الأجنبي – جذوره في التراث العربي) أحيانا أخرى ، وقد استعمله مرة واحدة لما تحدث عن سياق ظهور المقاربة التداولية ثم تخلى عنه في الحديث عن باقي المصطلحات التي تشكل جزءا مهما من أجزاء المجال التداولي .

5-3-المبحث الثالث: رحلة المفاهيم : يشكل موضوع دراسة المصطلحات و توظيفها في الممارسة الفكرية والنقدية المعاصرة وضعية مهمة، باعتبار أنها مفاتيح يستعين بها المفكرون والدارسون من أهل الاختصاص في دراسة العلوم و معالجة شتى القضايا – محل النقاش – و كذا الإشكالات التي تكتنف أي مجال من مجالات النقد والأدب و غيرها، ولن يتم ذلك إلا من خلال جملة من المناهج و المفاهيم التي تؤطر اشتغالها ضمن أي أثر أو عمل ما ، لتقوم على « عملية تشريح للمصطلح قصد معرفة جوهره ، كما هو مستعمل في تراث عالم معين أو مدرسة معينة »[1]، استهدفت عملية التشريح هذه مصطلحات المجال التداولي التي يتم إحصاءها و القيام بدراسة تحليلية تفضي إلى رحلة المفاهيم ، لعل أهم شيء يجعل المصطلح محددا و منضبطا بمفهوم معين هو انتماءه إلى مجال بعينه ، فلا وجود خارج دائرة الذي خلق فيه و استمد منها كينونته وكنهه ، و أن هدف طه عبد الرحمن من وراء مشروعه التأسيس والتأصيل للمقاربة التداولية في الفكر العربي وفق أطر رصينة ومتسقة ، و كان همه الوحيد تحرير المصطلحات والمفاهيم المتداولة في الخطابات و النصوص على تنوعها، فلقد « غلب على الباحثين العرب وضع مصطلحاتهم العلمية،

1 كمال بشر ، دراسات في علم المعنى ، بحث مقرر في كلية دار العلوم ، القاهرة ، ص.24.

و بنـاء أجهـزتهم الوصـفية و التفسـيرية، بقوالـب و معـايير اللغـة الأجنبيـة، الفرنسـية، والانجليزية، فلا تكاد تجد معظمهم من الكفاءة العلمية إلا ما كان نقلا حرفيا لمصطلحات أجنبية من غير وعي بأصلها » [1]، و هكذا يؤكد طه عبد الرحمن كثيرا في تحرير المصطلحات والمفاهيم على النقد الذي يكشف من خلاله عن الأنساق و الأوشام النسقية التي تكتنف أي؛ مفهوم ، و في هذا المقام لا يجب أن نفهم النقد على أنه قدحا وتجريحا « فليس معنى النقد هنا هو القدح و الإبطال، و إنما هو وسيلة للتحقيق من قيمة ما يرد علينا، حتى نكتسب الملكة على ضبط المفاهيم »[2]، لقد عمل الدكتور طه عبد الرحمن على اختيار منهج خاص و صارم في الدراسة المصطلحية، يقوم على استمداد المصطلح و متابعته، وبعثه من داخل التراث، و ليس من خارج هذا التراث، فهذا المنهج كان من أبرز مكونات البناء المنهجي في تحقيق المصطلح في فكره، كما كانت وجهات نظر جميل حمداوي الموسوعية إضاءات فكرية تسهم في تفعيل الوعي في التعامل مع المفاهيم الوافدة إلى بيئتنا العربية ، ففي وفودها التصاق بالمضامين و الأنساق المضمرة التي حملت بها قبل هذا الوفود ، فـ « المقاربة المتعددة التخصصات ما هي إلا منهجية نقدية منفتحة تتسع لجميع المناهج النقدية من أجل تفكيك الظواهر الأدبية و الثقافية المعقدة والمتشابكة ، و التي تحتاج إلى مجموعة من المناهج المعرفية لفهمها و تفسيرها و تأويلها ومن هنا، يتعامل هذا الكتاب مع مجموعة من القضايا التي طرأت على الساحة الثقافية الغربية

1 طه عبد الرحمن ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، مرجع سابق، ص.19.

2 طه عبد الرحمن ، الحوار أفقا للكلام، الشبكة العربية ، د.ط، 2013، ص.166.

من جهة ، و استجدت في الساحة العربية الثقافية من جهة أخرى ، و هي قضية التأويل و قضية التفكيك (...) و قضية الثقافة، و قضية المعقد و المتشابك (...) و قضية الإستشراق، و قضية القصة القصيرة جدا ، و قضية السياق ، و قضية التداول »[1]، فحسب وجهات نظره صرنا نعيش غبنا و غموضا مصطلحيا فرضته الثقافة المركزية ، يتطلب منا تفعيل فكرة إعادة استلهام المصطلحات و المفاهيم الغائبة أو التي تم تغييبها من خلال هيمنة ما اصطلح عليه سابقا (**الوشم النسقي**) ، إلا أننا في هذا المقام نرى أن نظرتهم لإشكالية المصطلح النقدي و توظيفه في المقاربة التداولية يجب أن تتم وفق رؤى متكاملة من خلال صياغة الحلول الثنائية و التجرد من الذاتية و التحلي بالموضوعية لحظة التأثيل لمواجهة هذه المعضلة .

1 جميل حمداوي ، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة ، مرجع سابق ، ص.ص.509، 510.

خاتمة

خاتمة

لقد توصلنا من خلال عملنا هذا الموسوم بـ ﴿ **إشكالية توظيف المصطلح النقدي في المقاربة التداولية كتابات طه عبد الرحمن و جميل حمداوي** ﴾ إلى جملة من النتائج تتلخص فيما يلي:

النتائج :

- إن أهم وصف يمكن أن نسم به واقع الفكر في البلاد العربية هو لفظ التبعية بدلا من وصل ما انقطع من التراث القديم ، لذلك صار منوطا بحتمية الفكر الغربي.
- إن العقلانية الغربية التي تبدو في ظاهرها عقلانية متجددة ومنفتحة على التثاقف والحوار المعرفي ، لكنها تحمل في طابعها السلبية وضمنية الأنساق الثقافية ، لنلفيها في تيارين أسهما كثيرا في تشكلها هما : تيارات البنيوية ونقصد بها المنهج البنيوي و الأسلوبي ، وهذا كله لكشف تناقضات كثيرة في بنية العقل العربي ، مما أفضى إلى تعدد وجهات نظر متعددة بين الباحثين حول مسألة التأصيل الفعلي له ، و لعل الأمر الذي أدى إلى هذا التعدد هو العقلانية الغربية من خلال الأثر الذي تفرزه مناهجها و فلسفاتها ، ذلك أن الارتباط بين هذه التيارات(البنيوية و ما بعدها) وبين موضوعنا : إشكالية توظيف المصطلح النقدي في المقاربة التداولية الذي تكونت ملامحه في هذا الفصل التمهيدي عبر محور نسقي يمكن التعبير عنه بالصيغة الآتية:

الفعل البنيوي والأسلوبي وعلاقته بإشكالات التأصيل للمصطلحات و انعكاسات كل ذلك على الفكر في البلاد العربية .

– إن إشكالية المصطلح من أهم الإشكالات التي عرفتها الثقافتين الغربية و العربية على حد سواء، فهي عملية صعبة و جد معقدة ، عولجت منذ زمن بعيد و لا تزال تعالج في وقتنا المعاصر و من ثم ، يقترح كل دارس أو باحث مصطلحه المنوط به على اعتبار أنه الأنسب للتعبير عن المفهوم الأجنبي ، كما تختلف عملية توظيف المصطلحات من اتجاه إلى أخر ، و من منهج إلى آخر .

– يفضي الحديث عن مسألة المصطلح النقدي – في غالب الأحيان –إلى إشكالات تمس الكينونة الفعلية لمجال معرفي بعينه، ذلك أنها ستظل فجوة نقدية إذا لم يتم سدها، فوجب وضع جملة من التحديدات و المعايير اللفظية الضرورية لضبط هذا المفهوم أو ذاك ، فموضوع المصطلح النقدي من المواضيع التي كثر تداولها في الساحة النقدية إلى درجة أن المصطلح فقد بريقه و معانيه الأصلية .

– يعد مصطلح التداولية من المصطلحات التي عرفت التباسا مائعا، و أضحت تستعمل في خطابنا العربي المعاصر بصفة عشوائية أي؛ بدلالة فضفاضة ، لذلك يجب ضبطه من داخل الثقافة العربية ذاتها مع التمسك بالمعنى العربي و التقيد به.

– تداخلت المقاربة التداولية مع مجموعة من العلوم و المقاربات المنهجية المختلفة، مثل: المقاربة النفسية ، المقاربة السيسيولوجية ، المقاربة التطورية و غيرها، الفعل الذي

أفضى إلى تزايد حجم الإشكالات سواء المتعلقة بمسألة المصطلحات و المفاهيم أو غيرها من المسائل النقدية و الأدبية .

– تشكل عملية التأثيل فعلا نقديا لتقويم اعوجاج المصطلحات و المفاهيم المنوطة بمجال معرفي معين ، و المقاربة التداولية كغيرها من المصطلحات عرفت اضطرابا كبيرا على مستوى ترجمتها ، فنلفي ترجمات كثيرة لها نذكر منها : البراجماتية – الذرائعية – التخاطبية – التواصلية – البراجماتيك – السياقية و هلم جرا ...

– ثمة معايير و آليات يستخدمها الباحث أو الدارس في فعله التأثيلي ، بدءا بالمعيار المعجمي و الدلالي ، المورفولوجي و الفقهلغوي انتهاءا بالمعيار التداولي. بمعنى ؛ أن عملية التأصيل لا تتحقق بفضل تصورات مسبقة و أحكام جاهزة ، بل يكون البناء لأفكار منطقية تسهم في إعادة التأسيس لها في وعينا. أي ؛ محاولة أقلمتها مع معطيات الفكر.

– إن عملية التأثيل للمصطلح هي عملية صعبة، وهي في غموض دائم ، لذلك وجب على الباحث في مجال المصطلح أن يكون على دراية بكل مراحل تغيره ، من أجل معالجة تأثيلية صائبة تجعل المصطلح مناسبا أو مكافئا شكلا ومضمونا للمفهوم .

– يشكل التراث محورا مهما في الكتابات النقدية المعاصرة، وجب العناية به و التأصيل له بمعطيات تجعله موازيا للحداثة الغربية دون الذوبان فيها كلية ، فتمثيلنا للمصطلح يحدد وفق معايير وأطر تبرز هويته وتميزه عن غيره ، هذه الهوية تخصه ضمن جماعته المحيطة به ، بالتالي فكل الثقافات تمارس هذا النوع من التمثيل ،

فالمصطلح يتغير بتغير المعايير و الآليات المعتمد عليها ، حيث كان لها الصدى الواسع الذي ساهم في عملية التأثيل .

– شكل موضوع المصطلح أحد أهم الأطروحات التي توصلت إليها التجارب النقدية ، و التي افتتحت مؤشرات حول هذا الحقل المعرفي–بكل تفرعاته – غير أن هذا المجال المعرفي عرف إشكالات كثيرة ارتبطت بالوشم النسقي و هذه هي الومضة التي أحدثت تشققا في المنظومة الفكرية .

– ساهمت أفكار طه عبد الرحمن في صياغة فكرة رحلة المفاهيم فهو بذلك أعاد قراءة التراث العربي و جعلها مشروعه الفكري ليبرز من خلاله قيمة التراث ، و أضاف إليه فكرة تقويمه و المتمثلة في دعاوى الاعتراض على النماذج المجزئة له ، وهذا ما ألفيناه في اعتراضات طه عبد الرحمن على النماذج التجزيئية للتراث من خلال نموذج الجابري .

– ساهمت وجهات نظر جميل حمداوي في فهم مضمون المقاربة التداولية و مجالاتها الفرعية ، باعتباره مفكرا موسوعيا له عديد المشاريع المتنوعة في شتى مجالات الفكر ، الأنثروبولوجيا ، القصة القصيرة ، نظرية الأجناس الأدبية ... و غيرها .

– لقد كانت تصورات جميل حمداوي و لا تزال ميدانا خصبا للثقافة و التاريخ معا ، فإنها تقدم للأجيال معارف ثمينة في ثوب موسوعي تشجع على القراءة ، و تزود القارئ بوسائل التحقيق و التحري عن شتى مجالات الفكر المختلفة ، و يدربه على كيفية إصدار الأحكام الصائبة .

– على أن هذا النوع من الضبط لـ " توظيف المصطلح النقدي في المقاربة التداولية " سيظل أشبه بـ " المصادرة على المطلوب " إذا هو لم يبرر تبريرا فعليا . ونحن نعتقد أنه يجد تبريره الكافي في: وصل ما انقطع من التراث وتفعيل حركية رحلة المفاهيم .

التوصيات :

– نوصي بالاهتمام بالتراث و تفعيل حركيته والتشديد على فكرة تقويمه ، و الرد على دعاوى الاعتراض التي تمثلها النماذج المجزئة له.

– نوصي بالعناية برحلة المفاهيم كحل للحد من إشكالات المصطلحات و صعوبة تأثيلها، و إظهار جملة من الانتقادات في صورة الاعتراض على النماذج المجزئة للتراث و التأصيلات الخاطئة لفئة القادحين فيه ، و إيجاد سبل توافق بين الثقافة العربية والثقافة الغربية في مجال المصطلح وتوظيفه في إطار المقاربات النقدية ، و يبقى مجال هذا البحث مفتوحا لمعالجته من زوايا أخرى.

ملحق

1-السيرة الذاتية والفكرية لطه عبد الرحمن: اتسمت شخصية طه عبد الرحمن منذ نعومة أظافره بنوع من الانفتاح و الاتزان فلقد كان ميلاده في « مدينة الجديدة سنة 1944، متنفحا عبق مطالبة المغاربة باستقلال البلاد من نير الاستعمار، و في عاصمة منطقة دكالة تابع طه دراسته الابتدائية، و بعدها انتقل إلى المدينة المجاورة الدار البيضاء ليكمل فيها دراسته الثانوية، ليحول وجهته صوب العاصمة الرباط حيث حصل على شهادة الإجازة في الفلسفة »[1]، يتمتع طه عبد الرحمن بقوة الفصاحة و البيان ، فهو أديب و فيلسوف ، قد حظي بتكوين ممتاز في رحاب الثقافة العربية منذ صغره ، كما أن ثقافته الواسعة جدا في ميادين الأدب و النقد و الفلسفة مكنته من مطاوعة القلم للأفكار. ألفاظه رصينة يغلب عليها الطابع العقلي، « يمثل طه عبد الرحمن (أستاذ المنطق و فقه اللغة في جامعة محمد الخامس) ظاهرة لفتت أنظار الكثيرين من متابعي الحركة الثقافية و الفلسفية في الوطن العربي خصوصا . و توج هذا الاهتمام الذي ضم المادحين و القادحين و المنكرين و المعجبين بإقامة مؤتمرات تناقش فكر هذا الرجل »[2]، هكذا عد طه عبد الرحمن ظاهرة فتحت المجال أمام الباحثين للاستفادة من أفكارها و مناقشة أعمالها الكثيرة و المتعددة، التي أحدثت صدى واسعا في الحركة الثقافية و الفلسفية في الوطن العربي، و استهوت العديد من عشاقه، و لقد سعى إلى قلب صورة الكتابة ، فجعلها غير مألوفة و ذات دلالات عديدة ، فـ« اشتهر طه بكتابة استدلالية تحليلية مما تدعيه الفلسفة ، و يضفي عليها حلة بيانية

1 رجاء بطاوي " طه عبد الرحمان. آخر حكماء المغرب " أسبوعية ''مغرب اليوم''، الدار البيضاء، ع. 219 (السلسلة الجديدة)، من 20 إلى 26 سبتمبر 2013.

2 فعاليات المؤتمر الدولي الثاني بمدينة مراكش في موضوع: تجديد المصطلحات و بناء المفاهيم في الفكر الإسلامي المعاصر احتفاء بجهود المفكر المغربي طه عبد الرحمن ، مراكش، المغرب ، 2015.

مشـرقة تجعلهـا نابعـة مـن جـوهر البيـان العربـي في شـموخه و صـفائه، و ضـاربة بنحـت مصـطلحاتها في تخـوم معـين المجـال التـداولي اللغـوي العربي »[1]، بهـذه الطريقـة كسـر النمـوذج المألوف ساعيا إلى مفاجئة القارئ و كسر أفق توقعه ، لذا عد ناقدا و فيلسـوفا مثاليا ، وكانت كل كتاباتـه مغـايرة لنمـوذج الكتابـة الـذي عـرف عنـد سـابقيه، و هـو في كل « ذلـك يبحـث عـن صـفات «الإنسـان الكوثر »[2] ، بـذلك عـد طه عبـد الـرحمن نموذجـا مثاليـا للإنسـان الكـوثر الـذي يفجـر طاقـات الإبداع و يجعلها متعـددة الاسـتعدادات و ثريـة الإمكانـات ، ليشـكل علامة فارقـة و مفصـلية في التنظير النقـدي و الأدبي العربي الـراهن فاسـتحق أن يكون أحـد القامـات و الأيقونات الرفيعة في سماء الفكر و المعرفة في المغرب و العالم العربي و الإسلامي.

2-**السـيرة الذاتيـة و الفكريـة لجميـل حمـداوي:** جميـل حمـداوي مـن مواليـد مدينـة النـاظور المغرب سنة 1963. حاصل على دكتوراه الدولة سنة 2001 م، فهو أستاذ التعليم العالي أديب و مبدع و ناقد و باحث، يشتغل ضمن رؤية أكاديمية موسوعية، - عضو اتحاد كتاب العرب و كتاب المغرب[3]، بهذا المعنى فهو من طاقات الإبداع في الوطن العربي ، مفكر جاد ، لا يتناول إلا المواضيع الجادة ، فهـو « مـن منظـري فـن القصـة القصـيرة جـدا و فـن الكتابـة الشـذرية الصعيد العربي ، خبير في البيداغوجيا و السيميولوجيا و الثقافة الأمازيغية، ترجمت مقالاته إلى اللغـة الفرنسـية و اللغـة الكرديـة »[4]، و هكـذا لـه مكانـة أدبيـة مرموقـة ، فهـو مفكـر ، عـرف

1 عباس ارحيلة، بين الإئتمانية و الدهرانية، دار الإبداع ، ط.1، بيروت ، لبنان ، 2016، ص.128.

2 طه عبد الرحمن ، من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، دار الإبداع ، ط.1، 2016، ص.16.

3 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب ، مكتبة المثقف ، ط.1، 2015، (بتصرف) ص.68.

4 جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب مصدر سابق ، ص.68.

بجـرأة آرائـه ، و موسـوعية فكـره ، و غـزارة إنتاجـه كتـب في مجـالات شـتى تتصـل بـالعلوم الإنسانية .

إن بعـض آثـار جميـل حمـداوي تعطينـا صـورة لـبعض القضـايا التي شـغلت بـال النقـاد في المشهد المعاصر ، وتبين مساهماته في بلورة هذه القضايا الموسوعية ، « ومن أهم كتبه :الشـذرات بـين النظريـة والتطبيـق، والقصـة القصـيرة جـدا بـين التنظيـر و التطبيـق، و الروايـة التاريخيـة، تصـورات تربويـة جديـدة، والإسـلام بـين الحداثـة ومـا بعـد الحداثـة، و مجـزءات التكـوين، و مـن سـيميوطيقا الـذات إلى سـيميوطيقا التـوتر، و التربيـة الفنيـة، و مـدخل إلى الأدب السـعودي، و الإحصـاء التربـوي، و نظريـات النقـد الأدبي في مرحلـة مابعـد الحداثـة، و مقومـات القصـة القصـيرة جـدا عنـد جمـال الـدين الخضـيري، و أنـواع الممثـل في التيـارات المسـرحية الغربيـة و العربيـة، وفي نظريـة الروايـة : مقاربـات جديـدة، و أنطولوجيـا القصة القصيرة جدا بالمغرب، و القصيدة الكونكريتية، و من أجل تقنية جديدة لنقد القصة القصـيرة جـدا ، و السـيميولوجيا بـين النظريـة و التطبيـق، و الإخـراج المسـرحي، و مـدخل إلى السـينوغرافيا المسـرحية »[1]، و هكـذا تبـدو شخصـية الكاتـب مـن خـلال مؤلفاتـه فهـو رجـل حـريص على الثقافـة والفكـر في بلاده ، وشخصـية الناقـد الأدبي الـذي يـدرس الإبـداع وأسـباب تقدمه أو تخلفه ، ويدعـو إلى الإصلاح كلما أمكن ذلك .

1 جميل حمداوي ، التداوليات و تحليل الخطاب ، مصدر سابق ، ص.69.



« ما درى أن عبادته لخالقه ليست كعبادته لإنسان مثله. فإذا كانت عبادته لإنسان مثله تخرجه عن التدبير لنفسه . فإن عبادته لخالقه تزيده تدبيرا على تدبيره، ولا درى أن سيادة الخالق عليه ليست كسيادته هو على إنسان مثله. فإذا كانت سيادته على إنسان مثله تسلبه حريته ، فإن سيادة الخالق عليه تزيده حرية على حريته »



« الحوار و الحوار وحده ولا شيء غير الحوار »

« وقع اختيارنا منذ 1970 على مصطلح (التداوليات) مقابلا للمصطلح الغربي (براغماتيقا) ، لأنه يوفي المطلوب حقه، باعتبار دلالته على معنيي(الاستعمال) و التفاعل) معا. ولقي منذ ذلك الحين قبولا من لدن الدارسين الذين أخذوا يدرجونه في أبحاثهم »



و تسمى هذه المقاربة كذلك بالمقاربة التواصلية،



أو المقاربة الوظيفية،

أو المقاربة الذرائعية، أو المقاربة المنطقية،

أو المقاربة البراجماتية، أو المقاربة الحجاجية ... و هلم جرا.

جميل حمداوي

3- تراجم الأعلام :

أ

أبو حيان التوحيدي Abu Hayyan Al - Tawhidi فيلسوف متصوف،

أحمد المتوكل Ahmed Al motoakel مفكر مغربي.

أحمد مومن Ahmad Moamen كاتب من الجزائر .

أفرام نعوم تشومسكي Avram Noam Chomsky أستاذ لسانيات و فيلسوف أمريكي ، إضافة إلى أنه عالم إدراكي و عالم بالمنطق و مؤرخ و ناقد و ناشط سياسي .

أمينة إبراهيم رشيد Amina Ibrahim Rashid أستاذة جامعية و ناقدة مصرية.

أنيس إبراهيم Ibrahim Anis من رواد الدراسات اللغوية العربية، باحث لغوي.

إيلونا كوفاكس Ilona kovàcs كاتبة هنغارية .

الجيلالي الكدية Jilali Alkdia باحث و مترجم و قاص مغربي .

السعيد بوطاجين Al-Saeid Buatajin كاتب، قاص و روائي، ناقد، مترجم، و أكاديمي من الجزائر.

الطيب تيزيني Tayeb Tizini مفكر سوري .

عبد الرحمن الحاج صالح Abdul Rahman Al Hadj Saleh عالم و باحث من الجزائر ، لقب بـ" أبو اللسانيات" و" الرائد في لغة الضاد"، قضى حياته أستاذا وباحثا وعاشقا للغة العربية، واشتهر بمشروعه اللساني " الذخيرة اللغوية العربية "، توفي عام 2017.

ب

بول فاليري Paul Valéry شاعر فرنسي و كاتب مقالات و فيلسوف. لقد كانت اهتماماته تشمل أشياء عديدة .

ت

تيموثي ميتشل Timothy Mitchell عالم سياسي بريطاني و دارس العالم العربي ، و أستاذ دراسات الشرق الأوسط في جامعة كولومبيا .

ج

جابر عصفور Gaber Asfour كاتب و مفكر مصري و رئيس المجلس القومي للترجمة .

جاك ديريدا Jacques Derrida فيلسوف فرنسي و ناقد أدبي ، يعد دريدا أول من استخدم مفهوم التفكيك ضمن مجال الفلسفة بهذا المعنى .

جلال الدين السيوطي Jalal al- din al - Suyuti من كبار علماء المسلمين .

جورج فيلهلم فريدريش هيغل Georg Wilhelm Friedrich Hegel فيلسوف ألماني ولد بشتوتغارت ، المنطقة الجنوبية الغربية من ألمانيا. يعتبر أحد أهم الفلاسفة الألمان.

ح

حسن الواد Hussein Al-Wad أكاديمي تونسي و شاعر و ناقد .

حسن حنفي Hassan Hanafi مفكر مصري، مقيم في القاهرة، يعمل أستاذا جامعيا.

حسن خمري Hassan Khamri أستاذ مساعد مركز البحوث بكلية اللغات والترجمة بجامعة الملك سعود

حسن سعيد بحيري Said Hassan Beheiri أستاذ و مفكر مصري.

حسن ناظم Hassan Nazem ناقد و مترجم و أستاذ جامعي من العراق.

حمادي صمود Hammadi Sammoud جامعي و كاتب تونسي، و عضو في مؤسسة بيت الحكمة.

حميد لحمداني Hamid Lihmidani أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب بفاس.

خ

خالدة سعيد Khalida Said ناقدة سورية. زوجة الشاعر والمفكر السوري أدونيس أشهر كتبه الموسوم بحركية الإبداع.

خولة طالب الإبراهيمي Khaoula Taleb Ibrahimi باحثة و أستاذة جامعية جزائرية ، من المهتمين بمجال اللغة العربية و البحث اللغوي .

ر

رشيد بن مالك Rashid Ben Malek ناقد من الجزائر .

ز

زيجريد هونكه Sigrid Hunke مستشرقة و باحثة ألمانية.

س

ستيفن أولمان Stephen Olman لغوي مجري قضى معظم حياته في إنجلترا، و كتب عن الأسلوب و علم المعاني في اللغات الرومانسية و اللغات الشائعة.

سعد البازعي Saad Al Bazei ناقد و مفكر سعودي.

سعد مصلوح Saad Maslouh أستاذ في اللسانيات و النقد.

سعيد الغانمي Saïd Al.Ghanimi كاتب و باحث و مترجم من العراق .

سعيد علوش Saïd Allouch أديب و بروفيسور مغربي .

سعيد يقطين said yaktin ناقد و مفكر مغربي .

سمير حجازي Sameer Hijazi مفكر مصري

سيجموند فرويد Sigismond Freud طبيب نمساوي من أصل يهودي، اختص بدراسة الطب العصبي و مفكر حر يعتبر مؤسس علم التحليل النفسي. وهو طبيب الأعصاب النمساوي الذي أسس مدرسة التحليل النفسي و علم النفس الحديث.

ش

شكري عياد Shukri Ayad ناقد و قاص و أستاذ جامعي مصري.

ص

صابر الحباشة Sabre Al Habasha باحث تونسي متخصص في اللسانيات.

صالح هويدي Salih Huaydi أستاذ النقد الأدبي و مفكر من العراق

صلاح فضل Salah Fadl الناقد و المفكر الأدبي المصري .

ع

عبد السلام المسدي Abdul Salam Al Massadi مفكر تونسي من أهم الباحثين في مجال الأدب و اللغة .

عبد العزيز حمودة Abdel-Aziz Hammoudah أستاذ الأدب الإنجليزي بالقاهرة.

عبد القادر الفاسي الفهري Abdelkader Fassi Fihri عالم لسانيات و خبير لساني دولي مغربي.

عبد القادر فهيم الشيباني Abdelkader fahim chibani كاتب و باحث جزائري. .

عبد الكريم شرفي Abdelkrim cheurfi أستاذ جامعي بكلية الآداب واللغات ، بجامعة يحي فارس بالمدية .

عبد الله إبراهيم Abdullah Ibrahim مفكر و ناقد من العراق متخصص في الدراسات السردية و نقد المركزيات الثقافية .

عبد الله العروي Abdullah al–Urawi مؤرخ و روائي مغربي .

عبد الله الغذامي Abdullah Ghathami أكاديمي و ناقد أدبي و ثقافي سعودي.

عبد المالك مرتاض Abdul malek Mortad أستاذ جامعي و أديب جزائري حاصل على الدكتوراه في الأدب .

عزت محمد جاد Izzet Mohamed Gad كاتب و مفكر مصري .

علال الفاسي Allal al – Fassi مفكر مغربي .

علي سعيد أدونيس Ali Said Adonis شاعر ومفكر سوري .

غ

غالي شكري Ghali shukry كاتب و باحث و ناقد و مؤرخ مصري كبير اشتهر بأبحاثه و كتبه النقدية الكثيرة.

ف

فرانسيس جاك français Jacques كاتب فرنسي.

فريدريك نيتشه Friedrich Nietzsche فيلسوف ألماني، ناقد ثقافي، شاعر و ملحن و لغوي ، باحث في اللاتينية و اليونانية. كان لعمله تأثير عميق على الفلسفة الغربية و تاريخ الفكر الحديث. فولفغانغ إيزرWolfgang-Isère الكاتب الألماني من أبرز المنظرين لنظرية المتلقي و القراءة، و أحد أهم أقطاب مدرسة كونستانس الألمانية.

فيرديناند دي سوسير Ferdinand de Saussure عالم لغوي سويسري شهير. يعتبر بمثابة الأب للمدرسة البنيوية في علم اللسانيات. فيما عده كثير من الباحثين مؤسس علم اللغة الحديث.

م

مارتن هيدجرMartin Heidegger فيلسوف ألماني ، درس في جامعة فرايبورغ تحت إشراف إدموند هوسرل مؤسس الظاهريات.

مانويل سيليو كونسيساو Manuel Celio Conceicao كاتب و مفكر إسباني.

محمد أمطوش Mohammed Amtouch باحث و كاتب مغربي .

محمد برادة Muhammad brada روائي و ناقد مغربي. يكتب القصة و الرواية، كما يكتب المقالة الأدبية و البحث النقدي .

محمد رشاد الحمزاوي Muhammad rshad alhmzawy باحث و جامعي و معجمي تونسي .

محمد سبيلا muhamad sabila هو أحد أبرز المفكرين والفلاسفة المغاربة.

محمد شوقي الزين Mohammed Chaouki Zine كاتب و فيلسوف من الجزائر.

محمد عابد الجابري Mohammed Abed Al-Jabri مفكر مغربي .

محمد عناني Mohammed Anani مترجم و كاتب مسرحي و ناقد مصري، يلقب بعميد المترجمين

محمد محمد يونس علي Mohamed Mohamed Younes Ali دكتور في اللسانيات من جامعة إدنبرا ببريطانيا رئيس قسم اللغة العربية و آدابها بجامعة الشارقة أستاذ اللسانيات .

محمد مفتاح Mohamed Meftah الناقد المغربي السيميائي.

مسعود صحراوي Messaoud Sahraoui أستاذ و مفكر من الجزائر .

مطاع صفدي Mutae Safad مفكر سوري .

مولاي علي بوخاتم Moulay Ali Boukhatem مفكر و كاتب من الجزائر .

ميجان الرويلي Meghan Al Ruwaily أديب و ناقد سعودي.

ميشال فوكو Michel Foucault فيلسوف فرنسي، يعتبر من أهم فلاسفة النصف الأخير من القرن العشرين .

ن

نبيل سليمان Nabil Suleyman كاتب سوري .

هـ

هانز روبرت ياوس Hans Robert Jauss الناقد والمؤرخ الأدبي الألماني من أبرز أعلام مدرسة كونستانس.

و

وفاء كامل فايد Wafaʾ Kamil Fayid أستاذة اللغويات بكلية الآداب – جامعة القاهرة .

وليد إخلاصي Walid Ekhlasy روائي سوري.

وهبة مجدي Wahiba Majdi أستاذ جامعي و مترجم و معجمي مصري .

ي

يورغن هابرماس Jürgen Habermas فيلسوف و عالم اجتماع ألماني معاصر.

يوسف وغليسي youcef oughlici ناقد و مفكر جزائري .

يوئيل يوسف عزيز Yoel Joseph Aziz دكتور عراقي ظهرت جهوده في مجال الترجمة من اللغة الانكليزية .

قائمة المصادر

و المراجع

أولا / المصادر: - طه عبد الرحمن، تجديد المنهج في تقويم التراث ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، ط.2.

-طه عبد الرحمن ، فصل من كتاب اللسان والميزان – التكوثر العقلي، لغة ابن رشد الفلسفية من خلال عرضه لنظرية المقولات، المركز الثقافي العربي ، بيروت ط.1، 1998.

- جميل حمداوي ، التداوليات وتحليل الخطاب، مكتبة المثقف ط.1، 2015.

ثانيا / المراجع :

1-إبراهيم السامرائي ، في شعاب اللغة العربية ، دار الفكر ، دمشق ،ط.1، 1990.

2-إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط.6، 1987.

3-إبراهيم مشروح، طه عبد الرحمن، قراءة في مشروعه الفكري، مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي، الطبعة الأولى، بيروت 2009.

4-أبركرميسي لاسل، قواعد النقد الأدبي، تر: محمد عوض محمد ، لجنة التأليف، القاهرة ، 1936.

5-أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ، دار الثقافة نشر وتوزيع ، الدار البيضاء ، المغرب ، ط.1، 1985.

6-أحمد عفيفي، نحو النص – اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق ، ط.1، 2004.

7-أحمد مومن ، اللسانيات – النشأة والتطور – ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية – بن عكنون – الجزائر ، ط.2، 2005.

– اللسانيات : النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2002.

9-أحمد وهبة رومية، شعرنا القديم والنقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، د.ط، 1996.

10-إدريس السغروشني ، مدخل للصواتة التوليدية، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء – المغرب، ط.1، 1997.

11-أدونيس ، الأصول، دار الساقي ، بيروت ، د.ط، ج.2.

-فاتحة لنهايات القرن، بيانات من أجل ثقافة عربية جديدة ، دار العودة، بيروت ، ط.1، 1980.

-أدونيس، الثابت والمتحول، (صدمة الحداثة)، دار العودة ، بيروت ، ط.4، 1983 .

14-إديث كريزويل، عصر البنيوية، تر: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الصفاة، الكويت، ط.1،1992.

15-أمنية رشيد، تشظي الزمن في الرواية الحديثة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998.

16-أنطوان برمان ، الترجمة والحرف أو مقام البعد ، تر : عز الدين الخطابي ، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.1، بيروت ، لبنان، ماي 2010.

17-آنيا لومبا ، في نظرية الاستعمار وما بعد الاستعمار الأدبية تر: محمد عبد الغني غيوم ، دار الحوار للنشر والتوزيع ، اللاذقية–سوريا، ط .1 ،2007 .

18-أيزابرجر آرثر ،النقد الثقافي، تر: وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى ، المجلس الأعلى للثقافة،الجزيرة، القاهرة، ع. 603، ط.1، 2003.

19-بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية – من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط.1، 2010.

20-بيير جيرو، الأسلوبية، تر: منذر عياشي ، مركز الإنماء الحضاري – حلب، سوريا، ط.2، 1994.

21-بيير. ق. زيما، التفكيكية – دراسة نقدية، تع: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الحمراء، بيروت، ط.1، 1996.

22-تيري إيجيلتون، نظرية الأدب، تر: ثائر ديب، منشورات وزارة الثقافة، الجمهورية العربية السورية، دمشق، د.ط، 1995.

23-تيموثى ميتشل ، دراستان حول التراث والحداثة ، تر: بشير السباعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، د.ط، 2015.

24-جاك ديريدا، الكتابة والاختلاف، تر: كاظم جهاد، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب،ط.2، 2000.

-المهماز (أساليب نيتشه)، تر: عزيز توما، إبراهيم محمود ، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية- سورية، ط.1، 2010.

- مواقع، تر: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب،ط.1، 1992.

27-جميل حمداوي، سيميوطيقا الترجمة، مكتبة المثقف، المغرب، ط.1، 2016.

-نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة، الناظور، المغرب ، د. ط، نوفمبر 2011.

29- جورج طرابيشي ،المثقفون العرب ، دار الساقي، د.ط ، د.ت .

30-جون ليونز ، تشومسكي، تر: محمد زياد كبة، النادي الأدبي بالرياض، ط.1، 1987.

31-جين- ب- تومبكنز، نقد استجابة القارئ- من الشكلانية إلى ما بعد البنيوية، تر : حسن ناظم، علي حاكم، المجلس الأعلى للثقافة، د.ط، 1999.

32-حسن حنفي، التراث والتجديد-موقفنا من التراث القديم ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت، لبنان، ط.4، 1992.

33-حسن شحاتة ،الذات والآخر في الشرق والغرب- صور ودلالات وإشكاليات، دار العالم العربي، القاهرة، ط.1، 2008.

34-حسن ناظم، البنى الأسلوبية – دراسة في أنشودة المطر للسياب- المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، ط.1، 2002.

35-حسين الواد، في مناهج الدراسات الأدبية ، منشورات المغرب ، ط.2، 1985.

36-حمادي صمود، الوجه والقفا –تلازم التراث والحداثة، الدار التونسية في النشر، تونس، د. ت، سبتمبر1988.

37-حميد لحميداني ، النقد الروائي والإيديولوجيا من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب، ط.1، 1990.

38-خالدة سعيد، حركية الإبداع، دراسات في الأدب العربي الحديث، دار العودة، بيروت ط.1، 1979.

39-خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية، مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، العلمة، الجزائر، ط.1، 2009.

40-خولة طالب الإبراهيمي ، مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة ، الجزائر ،د.ط،2000.

-مبادئ في اللسانيات ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، ط.2، 2000، 2006.

42-دايفيد جاسير، مقدمة في الهرمنيوطيقا، تر: وجيه قانصو ، الدار العربية للعلوم – ناشرون، منشورات الاختلاف، ط.1، 2007.

43-رامان سلدان، النظرية الأدبية المعاصرة، تر: جابر عصفور، دار قباء للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر، د.ط،1998 .

44-روبرت سي هول، نظرية الاستقبال- مقدمة نقدية- تر: رعد عبد الجليل الجواد، دار الحوار للنشر والتوزيع- اللاذقية – سورية ، ط.1، 1992.

45-رولان بارث، لذة النص، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، سورية- حلب-ط.1.

-نقد وحقيقة، تر: منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، سوريا، ط.1، 1994.

47-زهران محمد جبر عبد الحميد، مناهج النقد الحديثة- الرؤيا والواقع- دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، الزقازيق، مصر، ط.1، 1989.

48-زيغريد هونكه، شمس العرب تشرق على الغرب، تر: فاروق بيضون وكمال دسوقي، دار الجيل ودار الأفاق الجديدة، بيروت، ط.8، 1993.

49-سعد البازعي ، الاختلاف الثقافي وثقافة الاختلاف المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ،المغرب ، ط. 1، 2008، مجموعة مقالات.

50-سعد البازعي وميجان الرويلي ، دليل الناقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط.1، 2004.

51-سعيد بحيري حسن ، النص – المفاهيم والاتجاهات ، دار نوبار للطباعة ، القاهرة ، مصر ، ط.1، 1997.

52-السعيد بوطاجين ، الترجمة والمصطلح : دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، الدار العربية للعلوم – ناشرون – ط.1، 2009.

53-سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة (عرض وتقديم وترجمة)، سوشبريس، الدار البيضاء – المغرب، ط.1، 1985.

54-سمر روحي الفيصل ، اللغة العربية الفصيحة ، منشورات اتحاد كتاب العرب ، دمشق، سوريا، 1993.

55-شكري محمد عياد، المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين، سلسلة عالم المعرفة ، ع.177، سبتمبر 1993.

56-صابر الحباشة ، التداولية والحجاج ، مدخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر والتوزيع ، سورية ، دمشق، ط.1، 2008.

57-صالح هويدي، النقد الأدبي الحديث- قضاياه ومناهجه ، زوارة ، الجماهيرية الليبية، د.ط، د.ت.

58-صفاء عبد السلام علي جعفر، ، هرمنيوطيقا التفسير (الأصل في العمل الفني) ، دار المعارف للنشر والتوزيع ، مصر، 2000.

59- صلاح فضل، علم الأسلوب – مبادئه وإجراءاته، دار الشروق، مدينة نصر ، مصر، ط.1، 1998.

- مناهج النقد المعاصر و مصطلحاته، ميريت للنشر والمعلومات، ط.1، 2002، ص.07.

- نظرية البنائية في النقد الأدبي (من المقدمة)، دار الشروق، ط.1، مصر، القاهرة

.

62-الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا إليه، مركز دراسات الوحدة العربية (مجموعة مقالات- الآخر في الثقافة العربية)، بيروت– لبنان، ط. 1، 1991 .

63- طه عبد الرحمن ، الحوار أفقا للكلام، الشبكة العربية ، د.ط، 2013.

- سؤال الأخلاق ، مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المركز الثقافي العربي ، بيروت ، لبنان ، ط.1، 2000.
- فقه الفلسفة ، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ط.1، 1995.
- من الإنسان الأبتر إلى الإنسان الكوثر، دار الإبداع ، ط.1، 2016.
- التواصل والحجاج، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، أكادير ، المغرب ، د.ط، 1993، 1994.
- حوارات من أجل المستقبل، دار الهادي، بيروت – لبنان، ط.1، 2003.
- في أصول الحوار وتجديد علم الكلام ، المركز الثقافي العربي ، الرباط ، المغرب، ط.2، 1986.

- 71- عادل عبد الله، التفكيكية،إرادة الاختلاف وسلطة العقل، دار الحصاد للنشر والتوزيع والطباعة ، دمشق، سورية، ط.1، 2000.

72-عباس ارحيلة، بين الإئتمانية و الدهرانية، دار الإبداع ، ط.1، بيروت ، لبنان ، 2016.

73-عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة، وأنواعها، تح: مجموعة من الباحثين، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط.3، 2008.

74-عبد السلام المسدي، الأسلوب والأسلوبية ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، المغرب ،ط.3، 2009.

- اللسانيات وأسسها المعرفية ، الدار التونسية للنشر ، د.ط، أوت 1986.
- الأدب وخطاب النقد، دار الكتب الوطنية / بنغازي، ليبيا، د.ط، مارس 2004.
- الأسلوبية و الأسلوب ، الدار العربية للكتاب، تونس، ط.3، جانفي 1982.
- المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم للنشر والتوزيع، د.ط، 1994.
- قضية البنيوية، دراسة ونماذج، منشورات دار أموية، تونس، ط.1، 1991.

80-عبد السلام بنعبد العالي، سياسة التراث، دراسات في أعمال محمد عابد الجابري، دار توبقال، المغرب، 2011.

81-عبد العزيز حمودة، الخروج من التيه- دراسة في سلطة النص- عالم المعرفة، د.ط، نوفمبر2003.

- المرايا المقعرة – نحو نظرية نقدية عربية ، عالم المعرفة، الكويت ، د.ط، 2001.

- المرايا المحدبة- من البنيوية إلى التفكيك، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب – الكويت ، 1998.

84-عبد الغني بارة، إشكالية تأصيل الحداثة، حوارية في الأصول المعرفية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، 2005.

85-عبد القادر بن مصطفى المغربي، كتاب الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال، مصر، د.ط، 1908.

86- عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة: دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007.

87-عبد الله إبراهيم ، سعيد الغانمي، عواد علي ، معرفة الآخر- مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط.2، 1996.

88-عبد الله العروي، الأيديولوجيا العربية المعاصرة، المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء، المغرب، ط.1 ،1995.

89-عبد الله الغذامي ، الصوت القديم الجديد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، 1987.

- النقد الثقافي ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، ط.1، 2000.
- تشريح النص ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط.2، 2006.

- الغذامي- الناقد- قراءات في مشروع الغذامي النقدي، إسماعيل السماعيل ، كتاب الرياض، مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض، السعودية، د.ط، ج.2، 1997، 1998.
- ثقافة الأسئلة – مقالات في النقد والنظرية ، دار سعاد الصباح، الكويت، 1993.
- الخطيئة والتكفير، من البنيوية إلى التشريحية، دراسة نقدية لنموذج معاصر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط.6، 2006.

95- عبد المالك مرتاض ، في نظرية النقد، دار هومة ، الجزائر، 2002.

- عبد المالك مرتاض مائة قضية... وقضية ، مقالات ودراسات تعالج قضايا فكرية ونقدية متنوعة ، دار هومة، الجزائر، د.ط، د.ت.

-عبد المالك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، ط.3، 2015.

- في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، والآداب، ديسمبر 1998.

99-عدنان بن ذريل ، اللغة والأسلوب ، منشورات اتحاد الكتاب ، دمشق، 1980.

100-عزت جاد محمد، نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، جامعة حلوان، مصر، د.ط، 2002.

101-علي بن إبراهيم الحمد النملة، إشكالية المصطلح في الفكر العربي- الاضطراب في النقل المعاصر للمفهومات، مكتبة الملك فهد الوطنية للنشر ، ط.1، 2010.

102-علي بن لونيس ، ملامح من إشكالية الهوية وتحليل الخطاب الاستعماري عند إدوارد سعيد ، إسماعيل مهنانة، الهجنة ، السرد ، الفضاء الإمبراطوري ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، دار الروافد الثقافية –ناشرون ، لبنان، ط.1. .

103-علي بن محمد أبو حيان التوحيدي، كتاب الإمتاع والمؤانسة: وهو مجموع مسامرات في فنون شتى، صححه وضبطه وشرح غريبه: أحمد أمين وأحمد الزين، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، د. ت، ج.1.

104- علي حرب ، خطاب الهوية (سيرة فكرية) ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، بيروت ، ط.2، 2008.

105-غالي شكري ، برج بابل – النقد والحداثة الشريدة ، رياض الريس للكتب والنشر ، د.ط، 1989، د.ط.

106-فرانسوا أرمينكو ، المقاربة التداولية ، تر : سعيد علوش ، مركز الإنماء القومي ، الرباط ، المغرب ، د.ط، 1986.

107-فردينان دوسوسير ، علم اللغة العام ، تر: يوئيل يوسف عزيز، أفاق عربية ، الأعظمية ، بغداد ، ط.1، 1915.

108-فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (في الأدب)، تر: حميد لحمداني، الجيلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل ، المغرب ، فاس، د.ط، 1994.

109-فيليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية – سورية، ط.1، 2007.

110-كريستوفر نوريس، التفكيكية – النظرية والممارسة، تر: صبري محمد حسن، دار المريخ، الرياض - المملكة العربية السعودية ، د. ط، 1989.

111-كلود جرمان ، ريمون لوبلون ، علم الدلالة ، تر: نور الهدى لوشن ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، ليبيا ، ط.1، 1997.

112-كمال الرياحي ، مواجهات حوارية أدبية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، د.ط، د.ت.

113-كمال بشر ، دراسات في علم المعنى ، بحث مقرر في كلية دار العلوم ، القاهرة .

114-ماري نوال غاري بريور، المصطلحات المفاتيح في اللسانيات، تر: عبد القادر فهيم الشيباني، د.ن، سيدي بلعباس، الجزائر،ط.1، 2007.

115-الماضي شكري ، في نظرية الأدب ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت، لبنان ، ط.1، 2005.

116-محمد الشيخ ، محمد عابد الجابري مسارات مفكر عربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط.1، نوفمبر، 2011.

117- محمد برادة وآخرون، الرواية العربية واقع وآفاق، دار ابن رشد للطباعة والنشر، لبنان ط.1.

118-محمد سبيلا ، مدارات الحداثة ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر ، بيروت ، ط.1، 2009.

119-مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب- دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، ط.1 ، لبنان ، بيروت ، 2005، ص.15.

120-محمد شوقي الزين ، إزاحات فكرية – قراءات في الحداثة والمثقف ، منشورات الاختلاف ، وهران ، ط.1، 2005.

- تأويلات و تفكيكات- فصول في الفكر الغربي المعاصر، منشورات ضفاف، بيروت- لبنان، ط.1، 2015.

122-محمد عابد الجابري، التراث والحداثة، دراسات ومناقشات، مركز دراسة الوحدة العربية، بيروت، ط.1، 1991.

- المسألة الثقافية في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط.3، بيروت، لبنان، 2006.
- تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط5، د.ت.
- مواقف-إضاءات وشهادات- دار النشر المغربية، الكتاب الخامس عشر، ط.1، ماي2003.

126-محمد عباس عبد الواحد، قراءة النص و جماليات التلقي بين المذاهب الغربية الحديثة و تراثنا النقدي -دراسة مقارنة- دار الفكر العربي، ط.1، 1996.

127-محمد عزام ، المصطلح النقدي في التراث الأدبي ، دار الشرق العربي، حلب – سوريا، د.ط، 2010.

128-محمد فكري الجزار ، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، المصرية العامة للكتاب ، مصر ، د.ط،1998.

129-محمد محمد علي يونس ، مدخل إلى اللسانيات ، دار الكتاب الجديد المتحدة ، بنغازي ، ليبيا ، ط.1، 2004.

- مقدمة في علمي الدلالة و التخاطب ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي – ليبيا ، ط.1، 2004.

131-محمد محمود السيد أبو حسين، الدرس التداولي في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 2010، د.ط.

132- محمد ناصر العجيمي، النقد العربي الحديث ومدارس النقد الغربية ، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع ، صفاقس، تونس، ط.1، ديسمبر، 1998.

133-محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، القاهرة (مكتبة غريب)، د.ط، 1993.

134-مطاع صفدي، نقد العقل الغربي- الحداثة و مابعد الحداثة- مركز الإنماء القومي، د.ط، رأس بيروت، لبنان، 1990.

135-مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيميائي - الإشكالية والأصول والامتداد ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق – سوريا ، 2005.

136-ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، 2000 ، ط.2.

137-ميخائيل باختين ، الخطاب الروائي ، تر: محمد برادة ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، ط.1، 1987.

138-ميشـال زكريـا، الألسـنية التوليديـة والتحويليـة وقواعـد اللغـة العربيـة (الجملـة البسيطة) ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط.2، 1986.

139-ميشال فوكو ، حفريات المعرفة ، تر : سالم يفوت ، المركز الثقافي العربي ، بيروت، لبنان، ط.2، 1987.

140-ميلكا إفيتش، اتجاهات البحث اللساني، تر: سعد عبد العزيز مصلوح- وفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة ، د.ب، ط.2 ، 2000.

141-نبيل سليمان ، مساهمة في نقد النقد الأدبي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية ، 1986.

- فتنة السرد والنقد، دار الحوار للنشر والتوزيع ، سورية ، 1994.

143-نصر حامد أبو زيد ، إشكالية القراءة وآليات التأويل ،المركز الثقافي العربي، ط.4، 1996.

144-نواري سعودي أبو زيد : في تداولية الخطاب الأدبي ، المبادئ والإجراء ، بيت الحكمة ، الجزائر ، ط.1، 2009.

145-يورغن هبرماس ، القول الفلسفي للحداثة ، تر : فاطمة الجيوشي ، منشورات وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية السورية ، دمشق ، د.ط، 1995.

146- يوسف مقران، من قضايا الترجمة في العالم العربي؛ تطبيق على مدونة من الترجمات اللسانية (مبادئ اللسانات العامة، تأليف أندري مارتيني، تر: أحمد الحمو): نحو تأسيس المصطلحيات ، دت.

147-يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف ، بيروت ، ط.1، 2008.

ثالثا/ القواميس والمعاجم :

1-باتريك شارودو دومينيك منغو، معجم تحليل الخطاب، تر: عبد القادر المهيري – حمادي صمود، مرجع سابق ، 109.

2-مجدي وهبة ، معجم مصطلحات الأدب : انكليزي - فرنسي - عربي ، مكتبة لبنان ساحة الرياض ، د.ط، 1994.

3-محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة –دراسة ومعجم إنجليزي –عربي- الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان- القاهرة –مصر، ط.3، 2003.

4-رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص- عربي، إنجليزي، فرنسي ، دار الحكمة، د.ط، 2000.

5-سعيد حسن بحيري ، علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات، المكتبة المصرية العالمية للنشر –لونجمان ، الجيزة ، مصر ، ط.1، 1997، ص21.

6-عبد السلام المسدي ، قاموس اللسانيات – عربي – فرنسي ، فرنسي- عربي مع مقدمة في علم المصطلح ، الدار العربية للكتاب ، د.ط، د.ت.

7-عبد القادر الفاسي الفهري: معجم المصطلحات اللسانية: إنجليزي – فرنسي – عربي ، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت، لبنان، د.ط، 2009، (بتصرف)

8-عبد النور جبور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط.2، جانفي 1984.

9-فرانسواز أرمينكو :المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع ، ط.1، 1987.

10-فليب بلانشه ، التداولية من أوستين إلى غوفمان ، تر: صابر الحباشة ، دار الحوار ، المنامة ، البحرين ، د.ط، 2006.

رابعا/ الأطروحات الجامعية :

1- ، إشكالية ترجمة المصطلح اللساني و السيميائي من الفرنسية إلى العربية معجم المجيب لأحمد العايد أنموذجا – مشروع تعليمية اللغات و المصطلحاتية – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان ، إعداد الطالبة : بن مالك أسماء ، إشراف الدكتور : زبير دراقي ، 2013-2014.

2- إشكالية ترجمة المصطلح النقدي في مسرد المصطلحات لكتاب مناهج النقد الأدبي المعاصر للدكتور سمير حجازي - مشروع تعليمية اللغات و المصطلحاتية – مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير ، جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان، إعداد الطالبة سيفي حياة ، إشراف الدكتور : زبير دراقي ن 2013-2014.

خامسا / المجلات والدوريات :

1- رواء نعاس محمد، المثاقفة والمثاقفة النقدية (في الفكر النقدي العربي)، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، مج.7 ، ع.(3، 4)، 2008، ص.178.

2-إبراهيم مدكور، لغة العلم المعاصر، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، عمان، س. 10، ع.30. 1986، ص 10.

3- أحمد عبد الحليم عطية ، جاك ديريدا-استراتيجية القراءة ونقد التمركز الغربي، أوراق فلسفية – مجلة علمية محكمة ، منتدى سور الأزبكية ، الجيزة ، مصر، ع.13 ، 2005.

4-جابر عصفور: « قراءة في نقاد نجيب محفوظ... ملاحظات أولية »، مجلة فصول ، م.1، ع.3، أفريل 1981، ص.164.

5-رجاء بطاوي " طه عبد الرحمان. آخر حكماء المغرب " أسبوعية "مغرب اليوم"، الدار البيضاء، ع. 219 (السلسلة الجديدة)، من 20 إلى 26 سبتمبر 2013.

6-عامر الزناتي الجابري، إشكالية ترجمة المصطلح- مصطلح الصلاة بين العربية والعبرية أنموذجا- مجلة البحوث والدراسات القرآنية، عين شمس ، مصر، ع.9، سنة.5، 6، ص.333.

7-عبد الرحمن الحاج صالح، البحث اللغوي وأصالة الفكر العربي، الثقافة مجلة تصدرها وزارة الثقافة والإعلام بالجزائر، س.5، ع.26، أفريل- ماي 1975م، ص.16

8-عبد السلام المسدي الازدواج والمماثلة في المصطلح النقدي، المجلة العربية للثقافة، م.ع. للثقافة، ع. 24، مارس 1993، ص 54.

9-عزت جاد، المصطلح النقدي المعاصر بين المصريين المغاربة، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مج:2، ع.3، 2003، ص.84.

10-لـؤي علي خليـل، المكـان في قصـص وليـد إخلاصـي، مجلـة أبحـاث الفكـر، الكويـت، م 25،ع.4، أبريل، 1997 ، ص.24.

11- مصـطفى ناصـف، النقـد العربي – نحـو نظريـة ثانيـة، سلسـلة ثقافيـة شـهرية يصـدرها المجلـس الـوطني للثقافـة والفنـون والآداب - عـالم المعرفـة – الكويـت، د.ط، مـارس 2000، ص.07.

12-ممدوح خسارة، أثر التعريب في تسمية اللغة العربية ، مجلة التعريب، ع.29، 2005.

سادسا / الملتقيات والحوارات:

1-طه عبـد الـرحمن، هـوس الترجمـة الإبداعيـة ، حـوار أجـراه مـع مالـك التريكي ، مسـتويات الترجمـة- الترجمـة التأصـيلية والموقـف مـن ابـن رشـد ، مكـة المكرمـة ، المملكـة العربيـة السـعودية ، ج.5، 11-07-2018 ، https://www-aljazeera-net.cdn.ampproject.org، الساعة : 17:20.

2-فعاليات المؤتمر الدولي الثاني بمدينة مراكش في موضوع: تجديد المصطلحات و بناء المفاهيم في الفكر الإسلامي المعاصر احتفاء بجهود المفكر المغربي طه عبد الرحمن ، مراكش، المغرب ، 2015.

3-مصطفى درواش ، ثقافة العولمة والحوار النقدي الحداثي/ هل من استراتيجية ؟ ، جامعة مولود معمري / تيزي وزو، بلحسين محمد، عيساني محمد، النقد العربي القديم في ضوء المناهج النقدية المعاصرة، كتاب جماعي، مطبوعات المركز الجامعي أحمد بن يحي الونريسي، تسمسيلت 2015، ص.02.

سابعا / المراجع الأجنبية :

1-Ilona kovàcs and others، Introduction aux méthodes de la critique littéraire ،bÖlcsész konzorcium، Hungary، Budapest ، MÚZEUM KRT،2006.

2-Michel Foucault، The Politics Of Truth ، Edited by Sylvére lotringer، Introduction by John Rajchman ، Translated by lysa hochroth &

catherineporter ، published by semiotext (e) ، 2007، wilshire Blvd.، suite 427، los Angeles، CA 90057.

3-Jacques Derrida, *qu'est-ce que la déconstruction* ?, Le Monde, mardi Octobre 2004. Propos recueillis par R.-P. D. (article sur Internet).

4-E. Benveniste, Problèmes de linguistique générale, T.2, coll, tell, Ed. Gallimard, Paris, 1974.

5-Jean Dubois et des autres , Dictionnaire de linguistique libraire, Paris, 1973.

6-Lyons John، language linguistics : An introduction cam- bridge، cam bridge university press ،1981.

7-Étienne Gillon, Claude moreau, jean – louis moreau, pluridictionnaire Larousse- la dictionnaire des collèges, 17 rue du Montparnasse 75298 , paris cedex 06, librairie Larousse, 1997.

8-Catherine kerbrat-Orrecchioni: Enonciation de la subjectivité dans le langage, Paris, Armond Colin, 1980.

فهرس
المحتويات

فهرس المحتويات :

الموضوع **الصفحة**

الإهداء

شكر و امتنان

مقدمة..... أ

الفصل التمهيدي: مهاد التأصيل للفكر العربي **09**

أ/ واقع الفكر في البلاد العربية.....09

ب/ النقد وصوره في المنجز الغربي.....13

الفصل الأول : المصطلح النقدي و المقاربة التداولية **36**

المبحث الأول : مدخل إلى المصطلح النقدي **36**

- مفهوم المصطلح 36
- مفهوم النقد 38
- معاناة المصطلح النقدي.....39

المبحث الثاني : تيارات ما بعد البنوية **53**

- التفكيكية 53
- نظرية التلقي 62
- النظرية التأويلية 68

المبحث الثالث : المقاربة التداولية **72**

- مسألة المصطلح 72
- إشكالية المفهوم 76
- إشكالية التصنيف 79
- مؤثرات فكرية وثقافية لظهور التداولية 83

الفصل الثاني : قراءة في النموذج التراثي العربي..... **91**

- **المبحث الأول : دلالة التداولية في فكر طه عبد الرحمن**.....**93**
  - مجال التداول أو المجال التداولي 103
  - المجال التخاطبي / التواصل أو التواصلية 104
- **المبحث الثاني : دراسة نقد – نقدية لمصطلحات المجال التداولي**.....**105**

- النص.....105
- الحيز 106
- الزمانية و المكانية 109

- **المبحث الثالث : قيمة التراث عند طه عبد الرحمن.....112**
- التراث و الحداثة و حساسية المنهج 112
- الجابري و مسألة التراث / قضايا بين النفي و الإثبات 138
- ملتقي أحباب الحداثة 144
- **الفصل الثالث : المقاربة التداولية – إشكالات التأثيل.....148**
- **المبحث الأول : قلق العبارة 152**
  - القلق التعبيري 152
  - القلق النحوي 154
  - القلق الصرفي..... 155
  - من قلق العبارة إلى قق الجملة في النقد العربي المعاصر 157
- **المبحث الثاني : غموض أغراض الترجمة 163**
- غموض الغرض التعبيري 169
- غموض الغرض الدلالي 174
- الغموض الاصطلاحي.....175
- غموض الغرض التأويلي.....177
- غموض الغرض التداولي 179
- **المبحث الثالث : طرائق تحليل المصطلحات النقدية و اللسانية في مجال التداولية 182**
- تداوليات pragmatics / Pragmatique 183
- تبادل Commutativité.....187
- سياق Contexte.....190
- تأويل Interprétation.....194
- ضمني Implicite-Implicit 197
- البنية /الأبنية /بنائية نقدية /structurés / structure/ Criticisme/..... 200

- تقليد Imitation 202

الفصل الرابع :التداولية :المشروع و المسار..... 207

المبحث الأول: المنطلقات المعرفية للتأصيل لمنهج التداولية 207

المبحث الثاني : المشهد التداولي العربي..... 222

- النص..... 227
- الأدبية 228
- الاتصال..... 229
- مرسل..... 232
- مرسل إليه..... 233
- رسالة 234
- شفرة / الأفعال كلامية / التناص / الإنزياح .....235/ 237/ 238/ 240.
- **المبحث الثاني : رحلة المفاهيم 243**

- **خاتمة 247**
- **ملحق 253**
- **ثبت المصادر و المراجع..... 265**
- **فهرس المحتويات 282**
- **ملخص باللغة الأجنبية 286**

ملخص

ملخص البحث: يختص هذا البحث في معالجة الإشكالات التي تناط بتوظيف المصطلح النقدي في الثقافة العربية ، و يضم ثلاثة فصول تطبيقية دونت في مراحل متتالية، و تناقش بعض القضايا المرتبطة بمسألة التراث والحداثة ، و فيه مباحث ذات صلة بمصطلح التداولية والمصطلحات المرتبطة بها ، و عندما نلج إلى فصول هذا البحث نلفي دراستين عن إشكالات مصطلحات المجال التداولي ، و كذا مسألة التراث و الحداثة في مدونتي تجديد المنهج في تقويم التراث و اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي) ضمن الفصل الموسوم بـ (لغة ابن رشد الفلسفية من خلال عرضه للمقولات النقدية) للناقد و الفيلسوف المغربي طه عبد الرحمن ؛ الذي لم يكن بحاجة إلى شهادة إثبات في محاولاته الجادة لتقويم التراث وفق رؤية تكاملية من خلال اعتراضه على أصحاب النظرات التجزيئية له . أما الدراسة الأخيرة فهي عن مصطلحات المجال التداولي وإشكالية ترجمتها في (مدونة التداوليات و تحليل الخطاب) لنظيره جميل حمداوي الذي يقدم وجهات نظر و تصورات للتداولية في الخطاب النقدي ، من خلال ترجمات كثيرة : الذرائعية، و التداولية ، و البراكماتية ، و الوظيفية ، و الاستعمالية ، و التخاطبية ، و النفعية ، و التبادلية... التي تشكلت من خلال اختلاف ذهنيات النقاد والمفكرين ، و الصراع القائم بين الأدب و الفلسفة كأكبر حاجز آثم كاد يطغى على تاريخ الأدب كلية ، و يطرح كل من طه عبد الرحمن و جميل حمداوي في المدونات - سابقة الذكر –

إشكالات ترجمة مفاهيم هذا المجال : التداولية ، النص ، الخطاب ، الزمان ، المكان ، السياق ، الحوارية ، تأويل ، الأدبية ، الانزياح ، مرسل ، مرسل إليه ، رسالة ، سنن (شيفرة)، متلقي و هلم جرا . و في المنظور التراثي الخاص بإشكالية استلاب الحداثة الغربية للتراث العربي ، لتغدو النظرة التجزيئية مجسدة بين دارسي الثقافة العربية الواحدة ، فنجد كل منهم يفضل أن يكون مصطلحه الأنسب الذي تستقر عليه أراء النقاد، كذلك تقدم المدونات من جانبين : جانب الإشكالات التي تناط بتوظيف المصطلحات في المقاربات النقدية – بشكل نسقي (مضمر) ، و من جهة أخرى نموذج رحلة المفاهيم التي تشكل محاولة تقريبية لتقويم اعوجاج المصطلحات في تناسبها و تناسقها مع المفهوم المراد التعبير عنه ، و هكذا نأمل أن يسهم هذا البحث في الكشف عن بعض الإشكالات التي تواجه توظيف المصطلح النقدي في ضوء المقاربة التداولية و الصراع القائم بين التراث و الحداثة ، و أن تكون رحلة المفاهيم أخرى سبيلا للحوار مع الآخر على حدتعبير طه عبد الرحمن الحوار و لا شيء غير الحوار ، و إلى الكشف عن تأصيلات أخرى متحاورة و موازية لما ورد في بحثنا هذا .

Research summary: Choose this research in addressing the problems which employ the term cash in the Arabic culture, and includes three application classes taken in consecutive phases, and discuss some of the

issues associated with the issue of heritage and modernity, and where directly related to the term parliamentary terminology associated with it, and when we get to the chapters of this research only two studies on problematic terminology of the deliberative Council, and the issue of translation and modernity in the code of my home renovation in the calendar of the soil and the tongue and the field or lot mental) within the chapter is marked by language (the language of Ibn Rushd's philosophy through his presentation for cash transactions) The critic and philosopher of Morocco Taha Abdel Rahman ؛ Who didn't need a certificate of proof in his serious attempts to correct the legacy with an integrative vision by objecting to those with partial views of it. The recent study they are for the term of the deliberative Council and problematic translations in the (code of the deliberative and discourse analysis) for all Hamadoui has that offers the views and perceptions of interactivity in the discourse, through many translations : the instrumental, and deliberative, and part, and functional, and are, and conversational, and utilitarian, and interactive... Formed by hijacking the mind of critics, intellectuals, and the conflict

between literature and philosophy as the largest barrier to sinning almost drown out the history of the literature college, and knocking all of Taha Abdul Rahman and all the jamil Hamdaoui d in blogging - a former Gold – problematic translation of the notions of this council : parliamentary documentation, text, speech, time, place, context, dialogue, and interpretation of, the literary, dysplasia, sender, addressee, message, Sunan (the code), the receiver, and so on . And in the traditional perspective of the problem of alienation of Western modernity, The bride, the cover system is a fragmented operating between Darcy Arab culture per hour, we find all of them prefer to have the terminology best suited to the opinions of critics, as well as the data from two sides : the side of the shenanigans that employ the terminology in the monetary penalties – In a pattern (implied), and on the other hand, model the flight of the concepts that constitute an attempt an approximate warp the terminology in the fits and their consistency with the concept to be expressed, and so we hope to contribute to this research in revealing some of the shenanigans that continues to employ the term cash in light of the deliberative and conflict

between heritage and modernity, and the trip should be concepts another way to dialogue with others on here, Taha Abdul-Rahman of the dialogue and nothing but dialogue, and to disclose this to other civilized vehicle and parallel to what is stated in our research this .